وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء المقدسة/ كلية العلوم الإسلامية

قسم الدراسات القرآنية والفقه

نظرية التمكين في القرآن الكريم -

دراسة تفسيريّة

رسالة مقدمة إلى مجلـس كلية العلـوم الإسلاميـة / جامعة كربلاء وهي

جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالب

رعد ناظم كريم الموسوي

بإشراف

أ.د محمد حسين عبود الطائي

ايلول ٢٠٢٣م صفر ١٤٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ)

صدق الله العلي العظيم .

سورة القصص : الآية ٦

م/ ترشيح رسالة للطبع

نظرا لإنجاز فصول ومباحث الرسالة الموسومة **(نظرية التمكين في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية)** للطالب الماجستير **(رعد ناظم كريم)** فاني ارشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: أ.د محمد صاحب

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٦/ ٦/ ٢٠٢٤

م / اقرار مشرف

اشهد ان الرسالة الموسومة (نظرية التمكين في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية) التي قدمها طالب الماجستير (رعد ناظم كريم) قد تم اعدادها تحت اشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الاسلامية .

التوقيع :-
المشرف :- ا.د محمد صاحب
مكان العمل :- جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية
التاريخ :- ١٤ / ٦ / ٢٠٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :-
الاسم :- م. د. محمد ناظم محمد
التاريخ :- 2023/8/14

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة/أطروحة الطالب/ـــه ( ) الموسومة

بـ (نظرية التماسك في القرآن الكريم)

وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

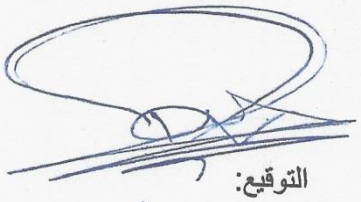

التوقيع:

المرتبة العلمية : أستاذ مساعد

الاسم : د. مشكور حمود كاظم

مكان العمل : جامعة كربلاء

التاريخ: كلية العلوم الإسلامية

٢٠٢٢/٧/٤

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**نظرية التمكين في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية**) وناقشنا الطالب/ـة (**رعد ناظم كريم جابر**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جدا) لنيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية.

التوقيع:

الاسم :أ.د. حميد جاسم عبود

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. عزام فرحان شهاب

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م. شهيد عبد الزهره الخطيب

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د. محمد حسين عبود

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: **أ.د.ضرغام كريم كاظم الموسوي**

العميد وكالة

التاريخ: 2023/10/3

الإهداء

اهدي هذه الرسالة المتواضعة الى روح . . . . . والدي الغالي رحمه الله

الى من حملتني وتحملتني . . . . . والدتي حفظها الله بحفظه

الى من شاركتني عناء الدراسة . . . . . عائلتي الكريمة

الى كل من وقف معي لأنجاز هذا العمل . . . . اساتذتي أصدقائي .

إلى كل من سار على طريق الحق

شكر وعرفان

الشكُر اولاً وآخراً لله تبارك تعالى والى اسبابَ الوجود وانوارُ الخلود محمد واله (عليهم السلام) أُولي الفضلَ والجودُ ....

والشكر كل الشكر الى استاذي الفاضل الدكتور **محمد حسين عبود الطائي** الذي لولا جهوده الاستثنائية في تصويب سير العمل لم ير هذا البحث النور ولم يكن كما هو عليه الآن لقد كان حماسه المعهود وعلميته الحاضرة وإهتمامه الشديد مصدر إلهام وإشراق، فله مني كل الشكر والتقدير وجزاه الله عني كل خير ...

ولي كلمة شكر أقولها بحق الاستاذ الدكتور **حكمت عبيد الخفاجي** الذي كان له دور كبير في بلورة هذا العنوان واخراجه بحلته النهائية، فله مني كل الود والامتنان والثناء والعرفان سائلا الله ان يجعله خيمة لطلبة العلم انه سميع مجيب ..

كما أتوجهُ بالشكرِ لعمادةِ كلية العلوم الإسلامية بعميدها ومعاونيها ورئيس قسم الدراسات القرآنية والفقه المحترم وأساتذتها المبجلين وكل العاملين لاحياء هذا المُنتج العلمي ...

ولي كلمة شكر أخص بها الأخوة والأخوات الزملاءِ الذينَ أسهموا في توفيرِ المصادرِ العلميةِ فضلاًمن المكتبات العلمية التي أسهمت في صيرورة هذا العمل، ولا أنسى أصحابَ الفضل من والأصدقاءِ الداعمين معنوياً والمعضدينَ لي طوّال مدة الدراسةِ، والشكر موصول الى عائلتي الكريمة الذين تحملوا انشغالي وتقصيري عنهم لكوني غارق في ثنايا البحث والدراسة

وأسجل شكري وعرفاني لكلِ من أسهمَ في النصيحة أو التوجيهِ أو أعارني كتاباً او قدمَ لي معلومةً...

فجزاكم الله عني كل خيرَ.

الخلاصة

ولغرض استيفاء تلك الدراسة، انتظمَ البحثُ على مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة فصول وخاتمة تكلمَ الباحثُ في المقدمة عن مشكلةِ البحثِ، وأسباب اختياره للعنوان، ثم فرضياتِ البحث والدراساتِ السابقةِ، ومن بعدها خطة البحث .

أما في التمهيد فقد تطرقتُ لمعنى النظرية والآراء فيها، ووجهةِ نظر البحث في آيات اللهِ والتأمل فيها، والخروج بنظريةٍ قرآنيةٍ بمستوى نظر الباحث، الذي يتحمل وجهة نظرهِ في آيات اللهِ، ولايحمل القرآن تلك النظرةِ .

أما الفصل الأول فقد حمل عنوان تعريف التمكين وانواعه وحدوده، وقد انتظم على ثلاثة مباحث، جاء الأول حاكياً عن تعريفات التمكينِ اللغويةِ والاصطلاحيةِ والمصطلحات والمبحث الثاني مصطلحات ذات الصلة بالتمكين وأسبابه ووصف المبحث الثالث وحدود التمكين.

أما الفصل الثاني فقد وسم بـ أنواع التمكينِ في القرآنِ الكريم، وكانَ على ثلاثة مباحث، جرى الحديثُ في المبحث الأول على التمكين السياسي للمؤمن وغير المؤمن، أما في المبحث الثاني فقد كان الحديث يدور فيه عن التمكين الاقتصادي للمؤمن وغير المؤمن، وفي المبحث الثالث جرى الحديث فيه عن التمكين العسكري للمؤمن وغير المؤمن .

أما الفصل الثالث فقد خُصص للجمع بين التمكين في النص القرآني والموروث الروائي، وكان على ثلاثة مباحث أيضاً ،تناول في المبحث الأول التمكين في العهد النبوي ،وهوعلى مطلبين الأول خصص للعهد المكي والثاني للعهد المدني ، أما المبحث الثاني قد خصص للتمكين في عهد الإمامة، وقد انتظم على مطلبين الأول كان من نصيب التمكين عند الامام علي عليه السلام، والثاني التمكين عند الأئِمة عليهم السلام، والمبحث الثالث سلط الضوء على واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن سواء العادل أو الظالم ..

ثم أُتبع البحث بخاتمة ذكر فيها البحث اهم ما توصل اليه من نتائج خلال مسيرة بحثه، ثم جملة من التوصيات التي يراها ضرورية ، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي إستقى منها البحث معلوماته .

وختاماً إن ما جاء في هذا البحث من جهد ما كان إلا بتوفيقٍ من الله تعالى، أما ما جاء فيه من هفواتٍ وهناتٍ فهو من تقصير الباحث الذي يسألُ الله ان يغفر له زلتهُ، وحسبي إنني لم أدخر وقتًا ولا جهدًا إلا بذلتهُ .

وآخر دعوانا انّ الحمدُ لله ربِّ العالمي

قائمة المحتويات

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١	الآية القرآنية	أ
٢	الإهداء	ب
٣	الشكر والعرفان	ج
٤	قائمة المحتويات	د ـ ل
٥	المقدمة	١
٦	التمهيد	٧
٧	أولا: النظرية في اللغة والاصطلاح	٨
٨	النظرية في اللغة	١٠
٩	النظرية في الاصطلاح	١٢
١٠	ثانيا: علاقة النظرية بالقرآن	١٣
٦	**الفصل الاول: تعريف التمكين واسبابه وحدوده**	١١- ٦٠
٧	المبحث الأول: تعريف التمكين والمفردات ذات الصلة	١١
١١	المطلب الأول: التمكين في اللغة والاصطلاح	١١
١٢	أولاً: التمكين لغةً	١١
١٣	ثانياً: التمكين اصطلاحاً	١٦
١٤	المطلب الثاني: مصطلحات ذات صلة بالتمكين	١٧
١٥	أولاً: الاستخلاف	١٧
١٦	ثانياً: النصر	١٩
١٧	رابعا: الامن	٢٢
١٨	المطلب الثالث: صورة عن التمكين	٢٥
١٩	المبحث الثاني: أسباب التمكين وأهدافه	٢٩

٢٠	المطلب الأول: أسباب التمكين	٢٩
٢١	أولاً: الأسباب المعنوية	٢٩
٢٢	١ـ الإيمان بالله	٣٠
٢٣	٢ـ التوكل على الله	٣١
٢٤	٣ـ الصبر	٣٤
٢٥	٤ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٦
٢٦	٥ـ الثبات على الحق	٣٧
٢٧	ثانياً: الأسباب المادية للتمكين	٣٩
٢٨	١ـ اعداد العسكري	٣٩
٢٩	٢ـ الاعداد الاقتصادي	٤٢
٣٠	٣ـ الاعداد العلمي	٤٤
٣١	المطلب الثاني: أهداف التمكين	٤٧
٣٢	المبحث الثالث: حدود التمكين	٥٨
٣٣	المطلب الأول: التمكين الممدوح في القرآن الكريم	٥٨
٣٤	المطلب الثاني: التمكين المذموم في القرآن الكريم	٦٠
٣٥	**الفصل الثاني: أنواع التمكين في القرآن الكريم**	٦١ـ١١٢
٣٦	المبحث الأول: التمكين السياسي في القران الكريم	٦٨
٣٧	المطلب الأول: التمكين السياسي لسليمان (عليه السلام)	٦٩
٣٨	أولاً: وراثة سليمان داوود	٦٩
٣٩	ثانياً : الصفات القيادية لسليمان (عليه السلام)	٧٢
٤٠	ثالثاً : العلاقات الخارجية في دولة النبي سليمان (عليه السلام)	٧٤
٤١	المطلب الثاني: التمكين السياسي ْ فرعون	٧٧
٤٢	المبحث الثاني: التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم	٨٤
٤٣	المطلب الأول: التمكين الاقتصادي لنبي الله يوسف(عليه السلام)	٨٥

٤٤	المطلب الثاني: التمكين الاقتصادي ْ قارون	٩٢
٤٥	المبحث الثالث: التمكين العسكري في القرآن الكريم	٩٨
٤٦	المطلب الأول:التمكين العسكري للمؤمن ذي القرنين	٩٨
٤٧	المطلب الثاني :التمكين العسكري لغير المؤمن	١٠٦
٤٨	أولاً: نبوخذ نصر	١٠٦
٤٩	ثانياً: النمرود	١٠٨
٥٠	**الفصل ا لثالث: التمكين بين النص القرآني والموروث الروائي**	١١٣ـ ١٦٥
٥١	المبحث الأول: التمكين في عهد النبي محمد	١١٣
٥٢	المطلب الأول: التمكين في العهد المكي (صلى الله عليه وأله وسلم)	١١٦
٥٣	أولاً: الدعوة السرية	١١٦
٥٤	ثانياً: الدعوة العلنية	١١٩
٥٥	ثالثاً: الهجرة	١٢٢
٥٦	المطلب الثاني: التمكين في العهد المدني	١٢٥
٥٧	اولاً: فتح مكة	١٢٦
٥٨	ثانياً: فتح خيبر	١٢٩
٥٩	المبحث الثاني: التمكين في عهد الإمامة	١٣٣
٦٠	المطلب الأول: التمكين الاقتصادي للإمام علي (عليه السلام)	١٣٤
٦١	أولاً: الرقابة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام)	١٣٥
٦٢	ثانياً : التوزيع العادل للمال في عهد الإمام علي (عليه السلام)	١٣٨
٦٣	المطلب الثاني: التمكين العلمي في زمن الائمة	١٤٢
٦٤	أولاً: التمكين العلمي للإمام جعفر الصادق (عليه السلام)	١٤٢
٦٥	ثانياً: التمكن من تحقيق العدالة في عهد الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)	١٤٦
٦٦	المبحث الثالث: واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن	١٥٢

٦٧	المطلب الأول: واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن العادل	١٥٢
٦٨	المطلب الثاني: واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن الظالم	١٥٨
٦٩	الخاتمة	١٦٧
٧٠	النتائج _التوصيات	١٦٨
٧١	المصادر والمراجع	١٦٩

المقدّمةّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله حمداً كثيراً مباركاً، الحمد لله حتى يبلغَ الحمد منتهاه، الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وافضل الصلاةُ واتم التسليم على الحبيب المصطفى محمد والهِ الطيبين الطاهرينَ وبعد:

يُعد القرآنُ الكريم المعين الصافي الذي ينهل منه المسلمون علومهم، فكلُ علم يرتبط بالكتابِ العزيزِ ينالُ شرفاً ومكانةً نابعةً؛ من شرف ذلك الكتابِ الكريم، وطالما جعل الله تعالى في الارض سنناً عديدةٌ تبين تنجّز الارادة الالهية وسريانها على جميع العباد ومن هذه السنن هو التمكين الذي هو وعد من الله تعالى لعباده الصالحين، بأن يُمكن لهم في الأرض، ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، وفي قِبال هذا الوعد للصالحين، هناك نوعُ من التمكين شمل الكافرينَ، بغية اقرار الحكمة الالهية لاختبار البشر وتحقيق أرادة السماء، وهنا تكمن ثمرة البحث الذي اخذ يتتبع الآياتِ الكريمةِ، بغية الوقوفِ على تلك النظريةِ القرآنيةِ، والإحاطةِ بمسألةِ التمكين.

إن هذهِ الأمة في يوم ما كانت أمةٌ مُمَكنةٌ إتسع صيتها، ليصل إلى أطراف العالم ؛ لأنها سارت وفق شروط وضوابطِ ما أراد الله منها، وهذا هو التمكينُ ..وهو لا يعني السلطةَ والتسلطَ على الآخرين، بقدر ما يعني التمكنَ من إدارةِ شؤون الناس، وفق ما أراد الله وما وضعه لها رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم)، غير إن هذه الأمة انحرفت وابتعدت عن ما أراد الله ورسوله (عليه وآله الصلاة والسلام)، فدفعها الله عن قيادة العالم وأزال عنها التمكين، حتى أصبحت تحت سلطةِ الآخرين يحركونها كيف ما يريدون، ويتحكمونَ بخيراتها غير إنه بالإمكان رجوع هذه الأمة لعهدها، بشرط التزامها بما خطهُ لها الله ورسوله (صلى الله عيله واله وسلم)، وهذا يتطلب جهدًا بغية تكوين قاعدة صلبة، تعمل على نصرةِ الدولة المُمَكنة .

مشكلة البحث

إن مشكلة البحث تكمن في ان التمكينُ في الأرض أحد اهمُ سنن الله في خلقه الانسانِ، والذي هو خليفهُ الله في أرضهِ، وجعل من التمكينِ سبباً من أسباب صلاح الأرض ومن عليها، وبه يَعمُ العدل بين الرعيةِ، فأفضل أنواعِ العدلِ ما كان على يد ملك حكيم، وأشدُ أنواع الظلم ما خرج من ملك جبارٍ مُتمكن من رقابِ الرعيةِ ،ان عرض القرآن الكريم للتمكين كان ضمن الرؤية الإلهية التي لو أتُبعت من قِبل أفراد الأمة لحُلت جميع مشاكلها .

فموضوعُ التمكين موضوعٌ بالغ الأهمية؛ كونهً مرتبطاً بحياة الناس إرتباطٌاً مباشراً، فكثير من الامم مرتْ بعملية تمكين معينة ولكنها فقدتها نتيجة عدم التمسك باسباب التمكين الحقيقية، والامة الاسلامية لم تكن بمعزل عن الامم السابقة فهي ايضا كانت ممكنة في زمن معين ، وفقدت ذلك التمكين نتيجة الابتعاد عن أسبابه، ولكن مايميز هذه الامة عن غيرها انها بإمكانها العودة الى زمن التمكين لان المقومات متوفرة فيها بخلاف غيرها وهنا اعني بالتمكين الصالح والا فكثير من الامم مُمَكنة تمكينًا غير صالح وهذا مالافائدة فيه أمثال الفراعنة الذين كان تمكينهم تمكين إبتلاء وإختبار ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾]آل عمران ١٧٨[

وهنا يلحظ إن مقومات وشروط التمكين متوفرةُ في هذه الأمة، إلا إن هذه الأمة فقدة تمكينها بسبب بعدها عن المنهج الذي خطه لها رسول الله (صلى الله عليه وآله عليه وسلم) ومشكلة البحث تمكن في الإجابة عن السؤال الآتي لماذا فقدت الامة تمكينها ؟

أسباب إختيار العنوان

من اهم الاسباب التي دفعت البحث لاختيار موضوع بحثه هي :

أولا: الرغبة الجادة للنظرِ في آيات الله؛ التي تختص بالجانب الأهم في حياة الناس، وهو التمكين، والتَّمَكن من إدارة شؤون الرعية؛ لذلك جمعت آراء المفسرين والعلماء والباحثين في آيات التمكين، وما يرتبط بها من أجل الجمع بين الأصالةِ والمعاصرةِ وتقديم الحلول الصحيحة، للمشكلات التي تتعلق بتولي المتمكنين لإدارة شؤون الرعية.

ثانيا : بيان مقومات وشروط وحدود وفهم التمكين كحقيقة قرآنية، من خلال ابراز أسبابها وشروطها ومراحلها وأهدافها، وذلك عبر محاولة جمع آيات التمكين في عمل موحدٍ، يعطي فكرةً قابلةً للأخذ والرد، من خلال التأمل في الآيات الحاملة لهذا المفهوم .

ثالثا : إبراز دور الرعية في تمكين الصالحين، منهم والوقوف معهم وتعضيدهم وكذلك سحبُ البساط من تحت المتمكنين الظالمين .

رابعا : إعدادُ جيل التمكين على وفقَ ما أراد الله تعالى، من أجل بناء دولة العدل المنتظرةِ، والوصول بالإمةِ نحو التمكين الشامل، لدينها من خلالِ دولةِ المهدي (عج)المنتظرة.

فرضيات الدراسةِ:

لقد افترضت الدراسةُ أن هناك منظومة أو سنة متكاملة يعرضها القرآن الكريم، حولَ عملية التمكّين على المستويات كافة سواءٌ تمكّين المؤمن أو الكافر، عبر الاجابةِ عن الأسئلة الأتية، ماذا تعني النظرية من وجهةِ نظر الباحثِ؟ ما التمكينَ؟ ما أنواع التمكين؟ هل التمكين اقتصر على نوع واحد ؟ ماهي نتائج تمكين المؤمنِ؟ ماهي نتائج تمكين الكافرِ؟ ماهي واجبات الرعيةِ اتجاه الحاكمِ المُمَكنِ؟

منهج البحث

لقد وظفَ الباحث جملةً من المنهجياتِ لغرض السير في أغوار بحثهِ، والوقوفِ على مضان الدراسةِ، واستيفاء حقها نذكر منها:

اعتمد البحثُ على المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على تتبع الادلةِ على وجود نظريةِ التمكينِ، وابرازها والبرهنة عليها .

أولاَ: إستقراء هذه الآيات واجمالها

ثانياً : إرجاع الآياتِ القرآنيةِ الخاصةِ بموضوع البحث الى سورِها، مع ذكر اسم السورةِ ورقم الآية، ثم ردفها بتفاسير المسلمين المعتمدة .

ثالثاً : تخريج الأحاديث الشريفة قدر الإمكان من كتبِ الحديثِ المعتبرةِ .

الدراسات السابقة

إنَّ مراجعةَ الباحثِ لعدد من البحوث القريبةِ من بحثهِ؛ يضع الباحثَ على الطريق الصحيح، فمراجعة من سبقهُ في هذا العمل يضيف إليه خبراتٌ متعددةٌ لخبرتهِ القليلةِ، وكذلك يضع له الإنطلاقةَ من حيث إنتهى الآخرونَ، فلا يَضيع جهده في موضوع أشبع بالبحث والدراسة، لذلك ومن خلال ما إطلعتُ عليه من دراسات سابقة في موضوع التمكين، لم أجد من أحدٍ تطرق للتمكين يهذا الوصف ، ولم أجد أحدهم نظرَ من هذه الزاوية، وكلُ من كتب في آيات التمكينِ تطرق لها كسنه من سنن الله عزوجل، أو أخذ الجانب الفقهي منها فقط، أوتطرق لمراحلها بمعزل عن شروطها أو تطرق لمقاوماتها فقط، لذلك اخذتها كحقيقة قرآنيةٍ تفسيريةٍ متكاملةٍ، تجمع ما تقدم من دراساتٍ، وأضفت عليها واجبات واستعداداتُ الامة للتمكينِ المنشود، لدولة العدل المنتظرةِ، وهذا مالم أجده في الدراسات السابقة؛ لذلك أكملتُ ما توقف عنده الاخرونَ.

الدراسة الأولى: (صلى الله عليه وأله وسلم)**فقه التمكين وأثره في تطبيق الاحكام الشرعية** (صلى الله عليه وأله وسلم)دراسة تقدم بها طالب الماجستير عمر لطفي الجزار تطرق بها الباحث للتمكين من الجانب الفقهي ومن خلال فهمهِ للتمكين الشرعي ومن خلال ظروف الطالب والأجواء المحيطة به ركز على جانب التمكين عن طريق الجهاد وفرض إرادة الواقع كما تطرق للأثار التي تتعلق بتطبيق فقه التمكين .

الدراسة الثالنية: (صلى الله عليه وأله وسلم)**سنه التمكين وأثرها على السياسة الشرعية** (صلى الله عليه وأله وسلم)وهذه دراسةُ تقدم بها طالب الماجستير إبراهيم عبدالله المبارك في جامعة المدينة العالمية في ماليزيا اخذ موضوع التمكين كونه سُنة من سنن الله مرادفة لسنة الاستخلاف والنصر وركز على الجانب السياسي منها فقط ،ولم يتطرق للجوانب الآخرى من التمكين وأخذ جانب الخلافة الراشدة أنموذجاً للتمكين ولم يتطرق لتمكين الأنبياء والأئمة والصالحين.

الدراسة الثالثة : (صلى الله عليه وأله وسلم)**مراحل التمكين دراسة قرآنية** (صلى الله عليه وأله وسلم) للأستاذ في جامعة الأزهر الدكتور رمضان خميس زكي الغريب اخذ بها ملامح التمكين ومراحله وربط مراحل التمكين بحال الأمة اليوم ولم يتطرق لمرحلة تمكين الظالمينَ وكذلك لحال دولة التمكينِ المستقبلية وإكتفى بلمحا

التمهيد

التمهيد :

أولاً : النظرية في اللغة والاصطلاح

١ـ النظرية لغةً: إنَّ الأصلَ اللغوي لهذهِ المفردة مأخوذٌ من الفعلِ الثلاثي نَظر وعندَ الرجوعِ إلى معاجمِ اللغةِ نجدهُ يحملُ دلالاتٍ متعددةٍ أهمها.

أولاً: النظرُ بمعنى البصرِ المادي كقولهم فلانٌ رجلُ نَظور أي كثير النظرِ حولهُ، وإلى هذا المعنى أشارَ الكتابُ العزيزُ في قوله تعالى:(**فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه**)[١]، وهنا جاءَ النظرُ بمعنى البصرِ بالجارحةِ.

وثانياً: النظرُ بمعنى الانتظارِ: سواءٌ الزماني فيقالُ أنظرت الدَيْن أي انتظرتهُ، وإلى هذا المعنى أشارَ الكتابُ العزيزُ في قوله تعالى:(**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**)[٢]، أو المكاني كقولهم نظرتُ فلانُ أي انتظرتهُ حتى وصلَ[٣]،

ثالثاً: التدبُر والتعمقُ والتأملُ والى هذا أشارابن فارس بقوله : النون والظاءُ والراءُ أصلٌ صحيحٌ يرجعُ فروعه الى معنى واحدٍ وهو تأملُ الشيءَ ومعاينتهُ[٤]، وهذا كثيرٌ في الكتاب العزيز كقوله تعالى :(**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**)[٥]، وقوله تعالى :(**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**)[٦]، والبحث يميل إلى المعنى الثالث أي التأملُ والتدبر لكثرةِ وروده في القرآنِ الكريم وتماشيه مع فحوى البحث.

---

(١) سورة البقرة : الآية ، ٢٥٩.
(٢) سورة البقرة : من الآية ، ٢٨٠.
(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن مصطفوي، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، ط طهران ، ١٤١٠هـ ، ١٦٦/١٢.
(٤) معجم مقاييس اللغة : احمد بن زكريا بن فارس(٣٩٥هـ) ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ـ ايران ، ط١، ١٤٠٤هـ ، ٤٤٤/٥.
(٥) سورة الغاشية : الآية، ١٧.
(٦) سورة ق : الآية، ٦.

٢ـ النظرية اصطلاحاً :

تعرفُ النظريةُ بتعريفاتٍ عدةٍ عند أرباب الاصطلاح تكادُ تتقاربُ في المعنى وإنْ أُختلفَت في الألفاظ، نذكر أهمها: ما ذهب اليه أصحابُ الموسوعاتِ الفلسفية كتعريف معجم لالاند الفلسفي الذي وصفها بأنها هي انشاءٌ تنظيريٌ للعقل يربط النتائج بالمبادئ[١]، وأما كلود برنار*، فجعل النظرية خاضعة للاختبار والمحاكمة فيقول : النظرية هي الفرضية المحققة بعدما جرى اخضاعها للرقابةِ المحكمةُ العقليةُ والنقد الاختباري [٢]، اما صاحب المعجم الفلسفي الذي يعرفها على انها قضيةٍ عقليةٍ بحتةٍ تحتاج للبرهان حتى تُثبتْ إذ يقول: النظرية قضية تثبت ببرهان، وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي، مؤلف من تصورات منسقة ، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ [٣]، في حين يرى صاحب موسوعة المنطق بانها قضايا كلية فيعرفها قائلاً: هي القضايا الكلية التي لا يُمكن الانسان ان يفعل بارادته جميع اشخاصها [٤]، في حين سعى آخر الى وسمها بالآراء واخرجها من دائرة القضايا بقوله : هي طائفة من الاراء التي تحاول تفسير الوقائع العلمية والظنية والبحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع أو السبب والمسبب [٥]، وبناءً على تلك التعريفات يظهر أنَّ النظرية هي نتاجٌ عقليٌ بحتٌ، يهدف الى التأمل والتدبر في المسائلِ العلميةِ، ومحاولةِ ربط مقدماتها ونتائجها بالمبادئ والخروج برأي نهائي حيالها، وهنا يلتقي المدلول اللغوي للنظريةِ بالمدلول الاصطلاحي؛ كون كلاهما يشيران إلى إنَّها نتيجةٌ من نتائج الفكرِ والتأملِ العقلي .

---

(١) موسوعة لالاند الفلسفية : اندريه لالاند ، تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ـ باريس، ط١، ٢٠٠٢م، ١٤٥٤.

* كلود برنار: عالم فرنسي شهير ولد سنة ١٨١٣ في مدينة "سان جوليان" الفرنسية، يعتبر مؤسس المدرسة التجريبية العلمية وصاحب عدة بحوث هامة أدت إلى اكتشاف وفهم الوسط الداخلي والاستتباب، له عدة مؤلفات منها اكتشاف الاستتباب للمزيد: ظ ، https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٢) نقلا عن : معجم لالاند الفلسفي : اندريه لالاند ، ١٤٥٥.

(٣) المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، ٤٧٧/٢.

(٤) موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب : رفيق العجم واخرون ، مكتبة لبنان ، بيروت لبنان ، ط١، ١٩٩٦م، ١٠٦٣.

(٥) نقلا عن: نظرية التحول في الخطاب القرآني : فاضل الاحبابي ، مجلة جامعة اهل البيت ، العدد ١٨، ٣٣٦.

ثانيًا: علاقة النظرية بالقرآن:

وإذا سعى الباحث لصناعة نظرية إنما ينطلق منها آفاق النصوص الظنية الدلالة ومن هنا فالنسبية والظنية وكل ما يجري على الباحث من عوارض إنسانية انما تُلحق بصاحب النظرية، لا النص ذاته هذا من آداب التعامل مع القرآن والسنة المطهرة، بدلاً من إدعاء الوصاية عليها والنطق باسم الوحي أو الخلط بين النص القرآني والفهم الإنساني المظنون النسبي[١]، ويذهب بعض الباحثين الى ان يحصل احياناً ان ينظر الى مراجعة القرآن بأكمله استيضاح وجهة نظر المفسر، بشأن موضوع خاص ولابد ان تتكرر هذه النظرة من أجل استخلاص النظرية القرآنية ومن ثم يتطلب البحث موضوع آخر ينظر فيه[٢].

ونظراً للخلاف القائم بين مصطلح النظرية وغيره فقد دفع ذلك عدد من الباحثين لاتخاذ موقف ظاهره الرفض القاطع في استخدام (النظرية) لوصف القرآن الكريم ومنهم قول سيد قطب: خطاء بالقياس الى الإسلام ان تتبلو العقيدة في صورة نظرية مجردة للدراسة المذهبية المعرضة للثقافة [٣]، وفي النتيجة البيانات التي يجمعها الباحث هي عبارة عن نظريات مؤقتة، يمكن ان نسميها بالفروض أوالشروح وهذا الشرح يمكن ان يتضمن فهم الباحث وحلوله المؤقتة، حيث ان الباحث او المفسر يفسر شيئاً معيناً يظل لفترة طويلة حتى يأتي باحث أومفسر آخريناقض الرأي السابق لتلك النظرية، ومن المؤكد لا يمكن للباحث غيرالمعصوم شرح وتفسير جميع الظواهر بطريقة مرضية فهو ناظر والناظر قد يجانب الصواب احياناً ، وقد تقوم نظريته بشرح جزء من الدلالة ولكنها تفشل في شرح الأجزاء الأخرى كونها نظرية والنظرية مجموعة من الفروض...وهذا ما لا ينطبق على القران لكنه ينطبق على الباحث أو المفسر[٤].

---

(١) نظرية المعرفة في القرآن الكريم: احمد محمد الدغثي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ،ط١ ،٢٠٠١، ٨١/٢ـ ٨٢

(٢) ظ :النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم: زهير الاعرجي ، مكتبة نور الهدى ، قم ـايران، ط١٤١٤،١هـ ، ٢٦٣.

(٣) نظرية المعرفة في القرآن الكريم : احمد محمد الدغثي ،٧٦/٢.

(٤) اصول البحث العلمي ومذاهبه : احمد بدر ، المكتبة الاكاديمية ١٩٧٣م، ١٠٤ ـ ١١٢.

فالنظرية هي نتاج فعل بشري ، من خلال النظر في آيات الله ويخرج بقراءات لظاهر تلك الآيات، محاولاً الكشف عن مدلولها من خلال تجميعها والخروج بفرضيات وبقراءات، تمثل وجهة نظر الباحث، قد تصيب اليوم وقد لا تصيب، ثم يأتي باحث آخر أو مفسر يرى في هذه الآيات غير ما يرى البحث فيها .

الفصـــل الأول: تعريـــف التمكـــين واســـــــــبابه وصـــــــــوره

الفصل الأول: تعريف التمكين واسبابه وصوره

من المباحث الاتية:

المبحث الاول: تعريف التمكين لغة واصطلاحاً والمفردات ذات الصلة

من المطالب الاتية :

المطلب الاول: التمكين لغةً واصطلاحاً:

اولاً: التمكين لغةً: التمكين في اللغة مصدر من الفعل مَكّن أي قوي واشتد[١]، والمُكن هو بيض الضب وإنما أُطلق عليه المُكن لاستقراره في مكانه[٢]، والعرب تسمي موضع الطير مكنته ، لتمكن الطير فيه ، والمكانة المنزلة وتمكن من الشيء وإستمكن أي ظفر به وله مُكنة أي له قوة وشدة[٣]، ومن التمكين المكانة: تقول العرب: إن بني فلان لذو مكنة من السلطان أي تمكُن[٤]، والمكانة عند العرب هي المنزلة عند الملك والجمع مكانات وقد مكنه فهو مَكِين والجمع مكناء ....

والمكان عند أهل اللغة: الموضع الحاوي للشيء[٥]، وقيل أيضاً: إن التمكين يعني القدرة على الشيء والاستمكان منه قال الطريحي مكنّاهم: أي ثبتناهم وملكناهم، يقال: مكّنتك ومكُّنت لك ومكُّنة الله من الشيء وامكنه منه وتمّكن الرجل من الشيء أي قدر عليه وله قدرة أي قوة وشدة[٦]، وقيل ان التمكين من يعطي معنى الأستقرار والعظمة والأرتفاع بدليل قوله تعالى:**(إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)**[٧]، أي في مكان

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ه) ،ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة دار الهجرة ، قم ، ٢ /٥٧٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس، ٥ /٣٤٣ . و ظ : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : حسن مصطفوي ، ١٥١/١١.

(٣) المصباح المنير : الفيومي، ٢ /٥٧٧ .

(٤) لسان العرب ، محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي (٧١١ ه)، ط٣،١٤١٤هـ دار الفكر للطباعة ـ دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ١٣ /٤١٤.

(٥) المفردات : الراغب الأصفهاني (٥٠٢ه)، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، منشورات دفتر كتاب ـ إيران ، ٤٧١ .

(٦) مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي (١٠٨٥ه)، ط٣، ١٤١٧هـ ، المرتضوي ،طهران ، ٦/ ٣١٧.

(٧) سورة يوسف : الاية ، ٥٤.

مستقر[١]، وعليه فالتمكين في اللغة يدور بين معاني عدة منها: المكانة والنفوذ، ومنها القدرة والقوة، وكذلك الارتفاع والعظمة والتمكن من الشيء والاستقرار في الموضع.

ثانياً: التمكين اصطلاحاً :

عرّف الاستاذ محمد يوسف: بأنه دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية، والمقومات التي تُرجع الأمة إلى التمكين والعوائق التي تعترض العمل للتمكين ... [٢]، وبهذا نجد أنَّه لم يعط تعريفا للتمكين بقدر ما تكلم عن كيفية فقدانه وإعادته للأمة الإسلامية في حين ذهب الدكتور علي عبد الحليم الى تعريف التمكين أنَّه :الهدف الأكبر لكل مفردات العمل من أجل الإسلام ويشترط أن تكون البرامج والخطط نابعة من القرآن الكريم وإن التمكين لدين الله في الأرض هو الهدف الأكبر من كل عمل إسلامي [٣]، ويلاحظ أن التعريف الأخير سلط الضوء على نوع من أنواع التمكين وهو الديني في حين أهمل الأنواع الأخرى كالعسكري والسياسي والاقتصادي وتمكين غير المؤمن، فيما ناقش عمر لطفي التمكين من حيث المقدمات وكيفية الحفاظ عليه بعد الوصول إليه إذ قال: التمكين هو مجموعة من الأحكام الشرعية التي تختص بإقامة الدولة الإسلامية وتثبت أركانها [٤]، وهو بهذا يخصص التمكين في الأحكام الشرعية للحكومة الإسلامية في حين نجد أنَّ المفهوم يتجاوز ذلك الى الحكومات التي نشأت قبل الاسلام، ويعرف أيضا بأنَّه بلوغ حالة من النصر وامتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع ، وهو لون من ألوان الترشيح في الأرض وعلو الشأن [٥]، ويبدو أنَّ هذا التعريف هو أقرب التعريفات السابقة إلى حقيقة التمكين .

---

(١) ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم : المصطفوي ، ١١/ ١٥١.

(٢) التمكين للأمة في ضوء القرآن الكريم : محمد يوسف ، ط٣، ٢٠٠٣م، دار السلام للنشر والطباعة ، حلب ـ سوريا، ١٣ .

(٣) فقه المسؤولية: علي عبد الحليم ط١، بلات ، دار القاهرة للنشر والتوزيع ، مصر ، ٣٥٨ .

(٤) فقه التمكين وآثاره : عمر لطفي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة، ٢٠١١م ، ١٣ .

(٥) فقه سنة التمكين : فتحي يكن ، مجلة المجتمع ١٢٤٩محرم٦ ، ١٩٩٧م، ١٣

وهنا يظهر أنَّ العلماء من خلال تعريفاتهم للتمكين نظروا إليه من زاوية واحدة هي إدارة شؤون الرعية في ظل الإرادة الالهية، الا أنَّ هذه التعريفات لم تكن جامعة مانعة لذا يمكن أنْ نضع تعريفاً إجرائياً للتمكين فنقول هو القدرة والإمكانية على أدارة تاريخ الإنسانية إيجاباً وسلباً وعلى جميع الأصعدة وبهذا يحصل التلاقي بين المداليل اللغوية والاصطلاحية لمفردة التمكين .

المطلب الثاني : مصطلحات ذات صلة بالتمكين:

وهي على النحو الاتي :

أولاً: الاستخلاف :

١-الإستخلاف لغةً :إن لفظة الإستخلاف مأخوذة من الجذر خلف وهو يعطي معنى مجيء شيء عند ذهاب غيره فيقوم مقامه ، وعليه فالخلف بفتح الفاء أوله ووسطه ماجاء بعد الشيء يقال ((خلف صدق من أبيه_ أو هو خلف سوء من أبيه)) فإذا لم يذكر خير ولاسوء قيل للجييد (١) وكذلك انه يعطي معنى الخلف ضد القدام (٢) والخلف ضد القدام

٢-**الاستخلاف إصطلاحاً** :من العسير جدا ان نجد تعريفا متفقا عليه بين الدارسين للإستخلاف إذ إن كلاً منهم ينظر له من جانب لكن الجانب اللغوي هو الطاغي على تعريفات الاستخلاف ، ومنهم من أخذ مفهوم الاستخلاف وانطلق منه ، فهم يقصدون في تعريفاتهم المختلفت امرين لا أكثر الأول الوالي أو الحاكم والثاني أن تحل جماعة مكان جماعة أخرى

إن استخلاف الأرض وعمارتها والتمكين فيها هو مطلب يكاد يكون جماعياً فالجميع يفتش ويبحث عنه؛ كونه داخلاً تحت عنوان الإستخلاف لأنَّه ابن الخليفة الأول للأرض آدم (عليه السلام)، إذ يسعى المستخلف في الأرض بكل إمكانياته وما

(١) مقياس اللغة : أحمد بن فارس ٢١٠/٢
(٢) لسان العرب : إبن منظور،٨٢/٩

أوتي من قوة أن يحقق ذلك الإستخلاف الذي هو وعد من الله تعالى لعباده و سُنة كونية منذ أن خلق الله الخلق، فالإستخلاف عنوان قرآني خصّ الله تعالى به الإنسان وكرمه من بين مخلوقاته واختاره خليفة له في الأرض[١]، قال تعالى :(**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)[٢]، التي جاء في تفسيرها ان الإستخلاف مختصٌ بجنس الانسان وهو يشمل جميع بني الانسان ولم يختص بآدم(عليه السلام)؛ لأنَّه عنوان عام والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: **(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)** فإنهم أرادوا من هذا الجنس أن يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية [٣]، وعليه فقد خلق الله هذا الكون بكل أشكاله وألوانه ووضع مراتب ودرجات لخلقه فأعطى أعلى مرتبة للإنسان، فوضعه في أعلى مكانة ومرتبة إذ جعله مسؤولاً وأناط به التكليف، والنظر إلى كتاب الله وخصوصاً آيات الاستخلاف نجد أنها تدور حول آدم **(عليه السلام)**ومن سار على نهجه من بنيه، وسخر الله كل ما في الأرض لذلك الخليفة الشرعي الأول، قال تعالى :**(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ)**[٤] .

وعليه فإن مفهوم الاستخلاف مفهوم قرآني عام؛ لأنَّه سنة من الله عزوجل قائم على الاستبدال سواء أقوام بدل أقوام أو أشخاص بدل أشخاص، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى :**(... وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا)**[٥]، جاء في تفسيرها أنَّ عملية الاستخلاف سنة كونية جارية قائمة على الاستبدال والتغيير بحسب الطبيعة البشرية[٦]، وفي آية أخرى أشار الله عز وجل إلى أن الأمر بالاستخلاف سنة وكذلك التمكين الذي يأتي بعد الاستخلاف هو بمعية الله عزوجل

(١) مقياس اللغة : أحمد بن فارس ٢/٢١٠
(٢)لسان العرب : إبن منظور،٨٢/٩
ظ : الاستخلاف بين الفهم القرآني والواقع المائل دراسة دعوية : د. إبراهيم احمد نور الدين ، جامعة الرباط ، العدد ٢٨ ، رمضان ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤م ، ٥٤ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .
(٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي محمد سلامة ، دار طيبة ، ط٢، ١٩٩٩م، ٢١٦/١.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٥ .
(٥) سورة هود ، الآية : ٥٧ .
(٦) ظ : الميزان في تفسير القران : محمد حسين الطباطبائي(١٤٠٢هـ)، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ـ ايران، بلا. ط، بلا. ت ، ٣٠٣/١٠.

حيث يمكّن اشخاصاً واقواماً من بعد اخرين :(**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ**)[١]، التي يفهم منها بيدكم مقاليد الأمور والتصرف فلكم الانتفاع بها، أو جعلكم خلائف للأمم الذين سبقوكم فأورثكم الله ما كان بأيديهم ووضعه تحت تصرفكم وفي متناول أيديكم وهذا يستوجب شكر النعمة بالطاعة والتوحيد، أو استبدالكم كما كان قبلكم من الأمم الذين لم يصدقوا وكذّبوا رسلهم فأهلكهم واستخلفكم الله مكانهم فاتعضوا بحالهم وما حل بهم والخطاب عام [٢]، ولا زال مستمراً إلى نهاية الكون وزواله .

والإستخلاف على أنواع فتارة يكون عاماً كما سبق واخرى يكون خاصاً كما يرى بعض المفسرين أن الوعد بالإستخلاف جاء للخاصة من أولياء الله الذين اصطفاهم وهم أصحاب الرسل ومنهم أصحاب رسول الله محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) ولا يقصد بالأرض جميعاً، فالإستخلاف مقدمة للتمكين فبعد ان يُستخلف الإنسان فلابد من أن يُسيّس أُموره الدنيوية والدينية فيُمكن شخصاً أو أشخاصاً من ادارتها، فيما يرى بعضهم الآخر أن إستخلاف الأرض فهو موضع جدل هو إشارة إلى حكومة الإمام المهدي(عج) التي تَستخلف الأرض في آخر الزمان، وتكون الأرض من شرقها إلى غربها تحت حكم الله المتمثل بحكومة المهدي من آل محمد (عليهم السلام)[٣].

ومن خلال ما تقدم يتبيّن المائز بين مفهومي التمكين والإستخلاف، على أن الأول: يمتاز بسمة الخصوص أي أنَّه عنواناً خاصاً لبعض بني البشر، والثاني بسمة العموم، فالتمكين إنما هو لفئة معينة من الناس سواء كان ايجاباً أم سلباً ، وعليه فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص .

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٩ .
(٢) الاستخلاف بين الفهم القرآني والواقع المائل : د. إبراهيم احمد نور الدين ، جامعة الرباط العدد ٢٨ ، رمضان ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م ، ٧٢ .
(٣) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ١٢/ ١١٠ .

ثانيا : النصر:

تكررت مادة نصرفي القرآن الكريم ١٥٥مرة[١]، وجاءت بمعان عدة منها المنع كقوله تعالى :**(لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)**[٢]، ومنها أيضاً العون والنصرة كقوله تعالى :**(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)**[٣]، فيما وردت بمعنى الظفر وقوله تعالى :**(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)**[٤]، والمعنى وما الظفر بالأعداء والنصر عليهم إلا من عند الله عز وجل، وكذلك للنصر معنى آخر وهو الانتقام من العدو والتغلب عليهم في قوله تعالى :**(وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ)**[٥]، أي انتقم من ظالمه، ومما تقدم يتبين إن للنصر معاني ومفاهيم عدة أوردها القرآن الكريم وأولاها جانبا كبيرا من الاهتمام فكانت القرائن وسياق الآيات تدل على معانيها المتعددة، إلا أن بينها اختلاف وتمايز بحسب تلك القرائن التي تعطي المعاني المتعددة[٦]، والتي توقف عندها البحث.

إن من سنن الله الثابتة والتي يؤمن بها كل مسلم هو نصر المؤمنين وتمكينهم، وهذا ما حرص عليه القرآن الكريم في آيات عديدة كقوله تعالى **:(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّـهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّـهِ قَرِيبٌ)**[٧]، والتي جاء في تفسيرها ان الدين نوع هداية من الله سبحانه للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونعمة حباهم الله بها، فمن الواجب ان يسلموا له ولا يتبعوا خطوات الشيطان، ولا يلقوا فيه الاختلاف، ولا يجعلوا الدواء دائا، ولا يبدلوا نعمة الله سبحانه كفرا ونقمة من اتباع الهوى وابتغاء زخرف الدنيا وحطامها فيحل عليهم غضب من ربهم كما حل ببني إسرائيل حيث بدلوا نعمة الله من بعد ما جائتهم، فإن المحنة دائمة، والفتنة قائمة، ولن ينال أحد من الناس سعادة الدين وقرب

(١) ظ : موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: كتاب ألكتروني ، ٢٧٩
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٨ .
(٣) سورة الحج ، الآية : ٤٠ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٦ .
(٥) سورة الشورى : الآية ، ٤١ .
(٦) ظ: النصر الإلهي سنن النصر في القرآن الكريم :، اعداد مركز نون للتأليف والترجمة ، بلا . ط، ٢٠١٥م جمعية المعارف ـ بيروت، ٣٠ .
(٧) سورة البقرة : الاية ، ٢١٤.

رب العالمين إلا بالثبات والتسليم[١]، ولاريب ان هذا النصر هو وعد من الله تعالى بالنصر والتمكين وإن الله منجز وعده ومحققه؛ لأن الله عز وجل صادق لا يخلف الوعد وهذا مسلّم به وهو الصادق المصدق وهذه الثقة بوعد الله هي نقطة قوة تضاف لنقاط القوة لدى الفرد المسلم المؤمن إذ أنه يتذكر ذلك دائماً عند مواجهة أهل الباطل والكفر والنفاق، حيث يتصدى لهم ويحارب مشاريعهم ومما يعزز الصبر عند الفرد المسلم هو تذكر وعد الله بالنصر فيعطي له الصبر على الشدائد وهو موقن بأن النصروالتمكين سوف يأتي ولو تأخر قليلاً، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة تحقق قسماً منها ولا يزال القسم الآخر طور التحقيق في المستقبل[٢]،قال تعالى :(**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**)[٣]، وهذا وعد لمستقبل مشرق والله سبحانه تعالى أوجب على نفسه تعضيد ومناصرة ومؤازرة المؤمنين حين جعل النصر لهم حقاً، فضلاً وكرماً، وقد جاء هذا التعضيد بصيغ جازمة تحدد هذا النصر والتمكين وهذا وعده سبحانه وهو أصدق القائلين (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)**[٤] وبالمجموع تعطي الآية هذا المعنى إن نصر المؤمنين من المسلم به هو في عهدتنا وهذا الوعد سنجعله عمليا دون الحاجة إلى نصر من الآخرين [٥] وبهذه الصيغة الجازمة خاطب الله رسله وقد يتأخر النصر لكنه يأتي وفي طبيعة الإنسان عجول يقيس الأمور وفق مقياسه الضيق؛ لأنه يحسب الأمور ويقدرها بقدره لا بقدر الله والله هو الحكيم الخبير له الأمر من قبل ومن بعد[٦].

فالنصر والتمكّين السريع الذي يأتي بغتة أو يأتي هبة بسبب ظروف أو عوامل أو مصالح لجهة على أخرى، فإن أمثال هذا النصر سوف يسهم في تعطيل الطاقات الكامنة من الظهور؛ لأنه لا يدعوها ولا يحفزها، والنصر بهذه الطريقة سهل الفقدان

(١) الميزان : الطباطبائي ، ١٦٠/٢
(٢) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي، ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار القلم، دمشق ، ٥٨ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ، ١٠ .
(٤) سورة الروم : الآية ، ٤٧ .
(٥) الأمثل : الشيرازي ، ٥٦٠/١٢.
(٦) ظ : تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين : تقديم : محمد صفوت نور الدين ، تأليف : الدكتور سيد بن حسين العفاني ، دار ماجد عسيري ، السعودية ، ٦٨ ـ ٦٩ .

والضياع لأنه رخيص الثمن ولم تبذل من أجله المهج والتضحيات، وكذلك الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تعرق جباههم ولم يزلزلوا ولم يصعدوا جبلاً ولم ينزلوا وادياً، وقد يبطئ النصر والتكّمين؛ لأنَّ الامة غير مستعدة بعد ولم تكتمل بنيتها المؤمنة، فالنصر يحتاج لقاعدة من النضج الذي يمكّن الأمة من النصر الداخلي على نفسها، وإن تمكنت اليوم من النصر بهذه البنية الخاوية فسوف تفقده غداً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً[١]، ومن جانب آخر ليس بالضرورة أن يكون النصر للأمة عن طريق الحرب والغلبة ونتيجة لمعركة تخوضها الأمة مع من يقف أما نصرها وتطورها فربما يكون النصر بشكل سلمي وذلك عندما تحرص الأمة في وقت السلم على تطبيق عوامل النصر إذ تجعل تلك العناصر الأمة مصانة ومهابة عزيزة يخشاها القريب والبعيد، فالعدو يفكر ألف مرة قبل أن يحاول النيل منها وهذا بحد ذاته هو النصر السلمي، الذي لا يكلف سوى الحذر والحفاظ على مقومات النصر ومرتكزاته[٢]، فالأمة المُمَّكنة مهابة مصانة بشعبها ومدى قدرته على الحفاظ على مقومات النصر والتمكين لديها .

ومن زاوية أخرى إن سُنّة النصر والتمكين للمؤمنين ثابتة في القرآن الكريم، كذلك سُنَة هلاك الكافرين ثابتة مقابل سنة النصر ، فالنصر لا يأتي إلا بعد هزيمة العدو سواء كانت تلك الهزيمة مادية أو معنوية أو كانت بطريقة سلمية كما أسلفنا أو بطريقة الحرب والمواجهة، فآيات كثيرة في القرآن الكريم هددت الكافرين وبشكل صريح وواضح بهدف قتل همتهم وإضعاف معنوياتهم ، **(سيهزم الجمع ويولون الدبر)**[٣]، وهذا يأتي ضمن الحرب النفسية الواضحة التي يشنها القرآن الكريم بين الحين والآخر على الأعداء بهدف دعم المؤمنين والقضاء على إرادة أعدائهم ، وبهذا يزداد ثبات المؤمنين على الحق وتحديهم للباطل وتزداد بهذا ثقتهم بالمستقبل [٤]،

---

(١) ظ : تثبيت أفئدة المؤمنين : سيد بن حسين العفاني تقديم محمد صفوت ،دار ماجدعسيري للنشر، الرياض ـ السعودية ، ٦٩ .

(٢) ظ: عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام : محمد هلال الصادق ، ٧٨١.د.ط د.ت

(٣) سورة القمر: الاية ، ٤٥.

(٤) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق ـ سوريا ، ٢٠٠٤.١٤٠٠

وبهذا تظهر العلاقة بين النصر والتمكين إنها علاقة متبادلة فالنصر احد مقومات ونتائج التمكين والأخير أعم من النصر.

العلو :

يبلغ المؤمن المتمكن مرحلة من السمو والعلو والتهذيب الوجداني بحيث لايخرج عن جادة الصواب المستقيمة التي خطها الله له فالاسلام يعلو بالفرد والجماعة ولايعلو عليه أي شيء اخر حيث استدل الفقهاء بهذا بان لاتكون للكفار سلطة على مؤمن ويجرون هذا مجرى القاعدة حيث يشير الشيخ الصفار الى دلالة الحديث : حيث إنها ظاهرة في علو الإسلام ذاتاً كدين ومبادئ وأحكام ....وصفة كسيادة وقوة وحجة وعدم علوٌغيره عليه في الجهتين فهو يثبت من جهة وينفي من جهة أخرى [١] فالذين اصطفاهم الله ومكنهم في الأرض يعلون والمراد من تمكينهم هذا إقدارهم على إختيار مايرونه من نحو الحياة من غير مانع يمنعهم أو مزاحم يزاحمهم فهم الاعلون فهم تمكنوا في الأرض واعطوا الحرية في اختيار ما يستحقون من نحو الحياة وعقدوا مجتمعا صالحا تقام فيه الصلاة وتؤتى فيه الزكاة ...وهذا العلو هو غاية التمكين في الأرض وهذه الصفات هي من طبع المسلم بما هو مسلم فعلوه يعني خدمة المجتمع [٢]وهذ العلو والتمكين في الأرض يعني بعدم جواز تولي الكفار للحكومة او الامارة او المنصب او الملوكية على المسلمين لانه من اجلى مصاديق العلو والسبيل كما لاتنعقد بيعة ولا رأي او تمثيل او نيابة لهم [٣] .

الإرتقاء:

إن أعلى درجات التمكين هو الإرتقاء بالفرد المسلم الى رؤية الله تعالى وقد سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين (عليه السلام)فقال : ((هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام أفأعبد مالا أرى ؟ فقال له : كيف تراه ؟ فقال : لا تراه العيون

(١) فقه العلو والارتفاع ،فاضل الصفار ، دار المعارف ،٩١_٩٣
(٢) الميزان ،الطبطبائي ،٤١٩/١٤
(٣) فقه العلو والارتفاع ،فاضل الصفار ،٢٦٥_٢٦٧

بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان)) وكذلك من ثمرات التمكين إرتقاءالانسان الى معرفة حقائق الولاية حيث يقول عليه السلام ((إن أمرنا صعب مصتصعب لا يحمله إلا عبد مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان ...)) فتلك الفئة التي ارتقى بها التمكين لا تلهو في الأرض ولا تلعب كالجبابرة بعد تمكينهم ولا ياخذهم الكبر والغرور وإنما ترى النصر سلماً للإرتقاء بالفرد المسلم الى طاعة الله لإ رتباطها بالله القوي وهذه الفئة بعد تمكينها تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتضع الدعامات القوية لبناء المجتمع المسلم حيث تملك وترتقي الى ان تصل مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدين على يدها وتموت البدع والباطل حتى لا يرى ظالم ولابد من لفت النظر الى ان المؤمن وعلى الرغم من صلابته الإيمانية فهو يتصف بالمرونة مثل العشب الناعم ينحني امام النسيم فهو يرتقي ولاينكسر امام العاصفة حيث يقول الامام الصادق عليه السلام ((المؤمن له قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين)) فهناك علاقة وثيقة بين التمكين والارتقاء بالفرد والجماعة كلما ارتقى المؤمن في ايمانه كلما حسنت اخلاقه فعليه نجد ان المؤمن يتصف بخلق رفيع والأخلاق بدورها سور واقي يرتقي بالمسلم ويصونه من التردي في مهاوي الضلال والرذيلة .

ثالثا- الأمن :

من ابرز المصطلحات ذات العلاقة بالتمكين هو الامن الذي يعرف لغة بانه الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما هو الأمانة : وهي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان(صلى الله عليه وأله وسلم)[1]، فيما يقول الراغب: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله تعالى ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾ أي ما امنتم عليه(صلى الله عليه وأله وسلم)[2]، قال الزمخشري: فلان

(١) معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس ، ١ /١٣٣ .
(٢) المفردات في غريب القران : الاصفهاني ، ٢٥/١

أمنه يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته(صلى الله عليه وأله وسلم)[١].

وفي الاصطلاح يعرّفه الجرجاني (ت٨١٦هـ)بانه الأمن عدم توقع مكروه في الزمن الآتي[٢]، وقيل هو مجموعة القواعد والوسائل الشرعية التي تطبقها الحركة السياسية أو الدينية لتكسب عناصر القوة، وتحقق لنفسها الحماية الخارجية والداخلية من الأخطار المحتملة والواقعة[٣]،وهنا يفهم ان الامن هو : تأمين سلامة الدولة من الأخطار الخارجية والداخلية، والتي قد تؤدي بها في حال حصولها إلى وقوعها تحت السيطرة الخارجية نتيجة انهيار الداخل، او هو تأمين الدولة والأفراد من الداخل خوفاً من التهديد الخارجي .

من خلال التعريفات السابقة يمكن القول انها تباينت بحسب المشارب ْواختلاف اتجاهات الكُتاب لكنها في النهاية تشترك في مصير واحد تتفق عليه أغلب الأطراف، فالأمن يهدف إلى تحصيل حياة كريمة هانئة يعيش فيها الفرد بسلام وأمن[٤] ، فالأمن ينقسم إلى أقسام عدة منها الأمن الداخلي والأمن الخارجي وكذلك

(١) أسس البلاغة: أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، ١٩٧٩م ، دار الفكر ، ١٠ .
(٢) معجم التعريفات: علي بن محمد الجرجاني ، ٣٤.
(٣) كيف نفهم الأمن : سعيد بن سليم ، ٨. د.ط د. ت.
* الحسبة : من الوظائف التي يتَّصِل عملها بعملِ القضاء والشرطة، لكنها مستقلة عنهما، ويقال لصاحبها: (المحتسب)، و(صاحب الحسبة)، والحسبة في الشريعة الإسلامية: إزالةُ المنكر إذا ظهر فعله، والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ويمثل نظام الحسبة بذلك نظامًا رقابيًّا يتكامل مع النظام الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي ، والمعروف ما أمر الشارعُ بعَمَلِهِ، والمنكَر ما نهى الشارع عن فعله، لكن - مع التطور الحضاري - قد تظهر بعض السلوكيات والعادات والأمور العُرْفية، فتخضع لتحسين الشرع وتقبيحه، ولا يخضع الشرع لها. ظ ، احياء علوم الدين : ابو حامد الغزالي ،٢/ ٣٣٣.وظ ، المقدمة : ابن خلدون ، ٢٢٥.

(٤) ظ: الأمن العسكري في السنة النبوية دراسة موضوعية :نهاد يوسف شكري ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية ـ غزة ، ٢٠٠٧م. ٥ .
* الحسبة : من الوظائف التي يتَّصِل عملها بعملِ القضاء والشرطة، لكنها مستقلة عنهما، ويقال لصاحبها: (المحتسب)، و(صاحب الحسبة)، والحسبة في الشريعة الإسلامية: إزالةُ المنكر إذا ظهر فعله، والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ويمثل نظام الحسبة بذلك نظامًا رقابيًّا يتكامل مع النظام الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي ، والمعروف ما أمر الشارعُ بعمِلِه، والمنكَر ما نهى الشارع عن فعله، لكن - مع التطور الحضاري - قد تظهر بعض السلوكيات والعادات والأمور العُرْفية، فتخضع لتحسين الشرع وتقبيحه، ولا يخضع الشرع لها. ظ ، احياء علوم الدين : ابو حامد الغزالي ،٢/ ٣٣٣.

الأمن الاقتصادي والفكري، فمن خلال سيطرة الدولة في هذا المجال نستطيع بناء مؤسساتها المختلفة المُتمكنة .

وقد كان الأمن ولا زال من أهم الوظائف؛ لأنه يرتبط ارتباطا مباشرا بحياة الناس، لذلك اهتمت الدولة الإسلامية بالأمن منذ بدايتها لأنه شرط لتمكينها وبقاءها فخصصت وظيفة لحفظ الأمن أسمها نظام الحسبة * وكانت في البداية مخصصة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه بمرور الأيام واتساع حاجة الدولة والفرد للأمن كونه جزء من التمكين أصبحت هذه الوظيفة من الوظائف الهامة جداً، ومن المناصب الحساسة في هيكلية الدولة الإسلامية وأصبح المحتسب شريكاً لرجل الشرطة في تنفيذ أحكام الدولة الإسلامية، وكذلك أصبح المحتسب أن ينظر في مراعاة أحكام الشرع والإشراف على النظام الداخلي للأسواق وعلى الموازين والمكاييل وغير ذلك مما له صلة بالأمن الداخلي والأمن الاقتصادي والفكري، وهذا له مردود كبير في حفظ أمن البلاد والعباد وتمكينهم في كل صورة [١].

وقد وضع الإسلام تشريعات لحفظ الأمن الداخلي والخارجي، وقد رتبت الشريعة الإسلامية عقوبات للإخلال بتلك الشريعة تتراوح بين التعزير والحد، وذلك بحسب الجريمة المرتكبة فكلما كانت الجريمة أكبر كان العقاب أكبر حتى وصلت إلى القصاص، وكل هذا من أجل الحفاظ على تمكين الدولة الإسلامية وإدارة شؤونها، وهذا النظام يتنافي مع غيره من النظم في الحد من الجريمة والحفاظ على الأمن سواء كان الأمن الداخلي أو الخارجي[٢]، فالأمن نعمة من نعم الدنيا دعا بها المرسلون والأنبياء لأقوامهم وبلدانهم سواء كانت في الدنيا ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا** ﴾[٣]، وكذلك هو نعمة في الآخرة ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [٤]،والتي جاء في تفسيرها وفيه تثبيت للأمن في الطريق ووعد بالاهتداء التام بناءا على ما ذكروه: من كون اسم الفاعل حقيقة في الاستقبال فليفهم

(١) ظ : الأمن في الإسلام : احمد عمر هاشم ، ٢٤ ـ ٢٥ .د.ط د.ت
(٢) ظ : دروس العقيدة في تكريس الأمن الفكري : احمد محمود عابد، كتاب الكتروني ، ٩٣٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٢٦.
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ .

فهذا نعت من نعوت الصراط المستقيم كما حذّر الإسلام من الشائعات التي تستهدف الأمن سواء كانت الإشاعات داخلية أو خارجية ؛ لأنها تؤدي لفقدان الامة تمكينها واستقرارها فالتمكين مرتبط بالامن والاستقرار.

حذّر الإسلام من زعزعة الامن عبر إشاعة أخبار الحرب كما، إذ حصر الحديث عنها لأرباب الاختصاص والرجوع لهم في حال سماع خبر هنا أو هناك، فهذه الأخبار ومثيلاتها إذا أذيعت بين العامة فإنها تدعو إلى التراخي الأمني وعدم الأخذ بأسباب القوة، وإن مثل هذه الأخبار قد تفتك بأمن وأمان الرعية واستقرارهم وتمكينهم من أجل هذا وقف الإسلام بالضد من الشائعات المغرضة والتأكد من ناقلي الأخبار والأنباء[1]، إذ قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ...**﴾[2]، فالإشاعات مصدرها العدو الخارجي أو الداخلي إلا أن تأثيرها بالداخل كبير جداً بسبب الإخلال بالنظام والأمن الداخلي للفرد وللدولة ، وعلى الرغم من هذا فالآن الإسلام يدعو للسلم والأمن المشروط في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ...** ﴾[3]، والتي جاء في تفسيرها ويحتمل في تفسير هذه الجملة المتقدمة أنهم إذا بسطوا أجنحتهم للسلم فابسط جناحيك أنت للسلم أيضا، لأن جنحوا فعل مصدره الجنوح وهو الميل، ويطلق على كل طائر أنه جناح أيضا، لأن كل جناح في الطائر يميل إلى جهة، لذلك يمكن الاستناد في تفسير هذه الآية إلى جذر اللغة تارة، وإلى مفهومها الثانوي تارة أخرى.

فالسلم والسلام كلمتان كثيراً ما تتردد في المحافل الاجتماعية الداخلية والخارجية سواء كانت في المحافل الصغيرة أو الكبيرة قديماً وحديثاً، والكل بطبيعة الحال يريد الخير لنفسه، ومن هنا تصادمت المصالح والإرادات في الاستحواذ على مقتضيات الأمن وهذا ما تسبب في كثير من الأحيان في حروب ونزاعات وثورات

(١) ظ: الأمن في الإسلام : احمد عمر هاشم ، دارالمنار، بلا ط ، بلات ، ٢٣ .
الميزان ،الطبطبائي ٣٠/١
(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٣ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

واضطرابات وأسباب للعنف ... وهنا تستدعي الحاجة إلى تفعيل القانون للمحافظة على السلم والسلام في كافة المجالات[١]، فالأمن احد عوامل وركائز التمكين للدولة فوجوده يؤدي الى استمرار التمكين وبفقدانه تفقد الدولة تمكينها وقدرتها على إدارة شؤون الرعية .

وبعد هذا البيان يظهر المائز بين الامن والتمكين من ان الاول هو الاطمئنان والقدرة على احلال السلم في كافة الاصعدة أما التمكين هو القدرة على الادارة ، وبهذا تكون العلاقة بينهما تكمن في ان التمكين يوظف الامن في تحقيق الإدارة الناجحة .

المطلب الثالث :صورة قرآنية عن التمكين :

وردت كلمة التمكين في القرآن الكريم مشتقة باشتقاقها ثماني عشرة مرة، كما أنها أي لفظةْ التمكينْ لم تأتِ بمفردها وإنما تأتي بضميرٍ متصلٍ بها تمكّن ـ مكنا ـ مكناهم ـ نمكن لهم للدلالة على إمتلاك المرء ما حاز عليه وانه لايكون إلا بمشيئة الله؛ لأن التمكين من الدين يأتي على وفق ما يريد الله سبحانه وتعالى لا على ما يريد المرء المُمَكن[٢]، فالتمكين يستوجب تحرك الفرد تحت إرادة الله وتحت ظله، فهو أفعال بشرية تؤكدها الآيات القرآنية، ولعل ما يلفت الانتباه أن أول إشارات التمكين جاءت في هذه الآية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[٣]، إذ تشير هذه الآية إلى أن التغيير والتمكين في الأرض سواء في العقيدة أو المنهج أو السلوك مرتبط بالتغيير من الداخل أولاً، إذ يستدعي التمكين وجود إرادة فاعلة حتى تحصل الكمالات المطلوبة وفق شروط التمكين التي أرادها الله للبشرية، وأن كل ما حصل للمسلمين من تمكين في عصر الدعوة الإسلامية إنما هو بإرادة بشرية وقرار بشري تحت رعاية الله وتوفيقه، ولو أجلت النظر في مآثر الحضارة الإسلامية وما خلفته من

(١) ظ : الفقه السلم والسلام :سيد محمد الشيرازي ، ط ١/ دار العلوم للطباعة ـ ٢٠٠٥مركز القائمية ـ اصفهان ، ٢٨ .
(٢) ظ: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري ،دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ٩٠ ، ١٥٥ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

جهد بشري ضخم ... إنما هو تم بسواعد بشرية وإرادة بشرية سامية، فما على الإنسان إلا السعي والأخذ بالأسباب والتدبير والتيسير من الخالق وحده[١]

ولا بد للمسلمين الأخذ بأسباب التمكين وشروطه والعوامل المساعدة عليه والتي تؤدي إلى النصر والتمكين، وإدارة نفسها بنفسها إذ أكدت العديد من الآيات على التغيير والجهد الذي يؤدي إلى التمكين لدين الله وتمكين المسلمين من تحقيق ذلك الهدف على أرض الواقع قال تعالى : **(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ)**[٢]،

ومن جانب آخرفإن التمكين في الأرض يعني العيش بكرامة وسلام إذ أن الساعين للتمكين يحاولون أن يعيشوا آثار هذه الآية الكريمة **(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ)**[٣]، وهو إقامة الدين وإقامة الشرائع فعدم التمكن يجعلك غير قادر على إقامة الشعائر الخاصة بك[٤]، فلا يصح التكليف إلا مع التمَكُين، والقوة مع القدرة التي يصح بها الفعل هذا ما يراه الشيخ الطوسي في تفسيره للآية الكريمة[٥]، ويُقال للعدةْ قوة ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم** ﴾، **وكذلك قال : (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ)** ولا تعني القوة هنا السلطة والتسلط على الآخرين بقوة السلاح، وهذا للأسف ما تعيشه بعض الدول المسلمة المتمَكنة اليوم ومنها الدول العربية، التي تعتمد القبضة العسكرية والأمنية لإدارة مفاصل الدولة وشؤونها، فهذا الفهم مغلوط ، فالتمكين كما أراد الله لا بد له أن يكون على وفق سننه وأن يكون التمكين بمعيته، وهذا في ضوء الآيات القرآنية؛ لأن التمكين في الإسلام هو أن تصبح هذه الأمة مُتمكنة من إدارة شؤونها، وأن يكون الإسلام هو الدين الراسخ، وأن تكون العدالة الإسلامية هي المبدأ السائد بين شعوب الأمة لا بل شعوب

(١) ظ: الأمثل : الشيرازي ، ٣٥٦/٧ ـ ٣٥٧..
(٢) سورة الحج : الآية : ٤٠ .
(٣) سورة الحج : الآية : ٤١.
(٤) ظ : التمكين الشيعي : صادق جعفر ، ط١ ، ٢٠١٥م ، منشورات الرضا ، ايران ، ٤٢ .
(٥) ظ : التبيان في تفسير القرآن : محمد بن الحسن الطوسي ،ط١٤٠٩/١هـ ، داراحياء التراث العربي، بيروت لبنان ، ٦ ، ٤١ ـ ٤٢ .

الأرض وهذا ما يريده الله من التمكين وأن تكون ممتلكاتهم وأرواحهم وأرزاقهم في أمن وأمان، وأن يعيش الجميع بحرية وإخاء [1].

وهذا بالتأكيد التمكين فيما أراد الله عز وجل. فبعد هذا الجهد يجني المؤمن ثمرات التمكين، وأهمها هو نشر الدعوة إلى الله في أرجاء المعمورة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بعد أن ساد الظلم والفساد والجور وتبديل الخوف بالأمن، وهذا يتطلب معرفة سُنّة التمكين في الأرض، وأخذ العبرة من تمكين السابقين، والأخذ بالأسباب والمسببات من أجل عودة الأمة الى تمكينها السابق.

(1) ظ ، التمكين الشيعي : صادق جعفر ، ط١ ، ٢٠١٥م ، منشورات الرضا ، ايران ، ٤٢ .

المبحث الثاني: أسباب التمكين وأهدافه :

ويتكون من المطالب الاتية :

المطلب الأول : أسباب التمكين :

لاريب إن لكل شيءٍ أسباب ودواعي ، وهذا الكون العظيم يجري بموجب أسباب ومسبباتٍ وضعها خالق عظيم دقيق فيما يخلق، قال تعالى:﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ** ﴾[1]، أي بوسيلة وعلة كالحبل ونحوه[2]، وهذا القانون يتميز بالإحكام والشمول إذ أنه لا يخرج عن هذا القانون شيء ولا يفلت منه مخلوق، فكل شيء لا استثناء تحت قانون السببية من أصغر جرم في الكون إلى أكبر جرم فالكل خاضع ومنقاد إلى هذا القانون ومنها الانسان وسُنَة الله تلك تبينها آيات قرآنية كثيرة[3]، منها قوله تعالى :(**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**

والتمكين في الأرض يحتاج الأخذ بالأسباب المعنوية والمادية والتي هي على النحو الاتي :

أولاً : الأسباب المعنوية :

لا يختلف اثنان بأنّ للسبب المعنوي أهمية كبيرة في القرآن الكريم ،فقد نال مقاماً عالياً؛ كون هذه الأسباب تؤدي إلى اعداد إنسان التمكين بشكل يتناسب مع المهمة الموكلة له، وهو العنصر الأساس في المعركة إذ أن منه الجندي ومنه القائد ومنه الخليفة، وللإعداد المعنوي عناصر عدة اهمها :

---

(١) سورة الحج : الآية : ١٥ .
(٢) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ٣٤٢/١٤.
(٣) ظ: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : عبد الكريم زيدان ، ط١ ، ١٩٩٣م ، مؤسسة راسل ، الكويت ، ٢٣ ـ ٢٥ .

١ـ الإيمان بالله :

وهذه المزية من اهم الركائزالاساسية التي تؤدي إلى التمكين، فالإيمان نية وقول وعمل خالص لله تعالى مع أهل الإيمان وناصرهم ومُمَكّنهم، وهذه من أساسيات الشريعة وحقيقة من حقائقها وهذا واضح في جملة الآيات الكريمة الحاكية عن مفهوم التمكين وربطه بالايمان بالله تعالى، كقوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ... وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ**... ﴾[١]،والتي جاء في تفسيرها فتمكّين دينهم المرضى لله سبحانه لهم إكمال ما في علم الله وإرادته من الدين المرضى بأفراغه في قالب التشريع، و جمع اجزائه عندهم بالانزال ليعبدوه بذلك بعد أياس الذين كفروا من دينهم(صلى الله عليه وألـه وسلم)[٢]، وعليه فقد جعل الله الإيمان سبباً من أسباب التمكين والإستخلاف والنصر، أضف إلى ذلك أن الذين أمنوا يضّحون في سبيل الله من أجل أن يَتمكن ذلك الدين في جميع الأرض[٣]، والايات الدالة على الايمان بالله تعالى وعلاقته بالتمكين تارة تحمل معنى التمكين الجماعي كقوله تعالى :(**لَّقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)**[٤]، والتي يستفاد من تفسيرها ان التمكين الذي وعد به المسلمون انما هو نتيجة الايمان بالله تعالى ونصرة الرسول (صلى الله عليه وألـه وسلم)[٥]، فكان الايمان بالله احد العوامل المهمة لتمكين المسلمين في فتح مكة المكرمة ، واخرى تحمل معنى التمكين الفردي كقوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّـهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّـهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾[٦] والتي يستفاد من تفسيرها ان التمكين للنبي ابراهيم لم يات من فراغ وانما كان نتيجة الايمان بالله تعالى والتضحية في سبيلة فكان تمكينا له ولمن سار على

(١) سورة النور : الآية : ٥٥ .
(٢) الميزان : الطباطبائي ، ٢٠٠/٥.
(٣) ظ: فقه التمكين وأثره في تطبيق الاحكام الشرعية : عمر لطفي ، ١ / ٨ ـ ٩ .
(٤) سورة الفتح : الاية ،١٨.
(٥) ظ ، التبيان : الطوسي ،٣٢٨/٩.
(٦)سورة النساء، آية: ١٢٥

نهجه بان جعله الله خليلا : أنه (الله) إنما اتخذ إبراهيم خليلا لطاعته ومسارعته إلى رضاه لا لحاجة منه سبحانه إلى خلته [١]

ومن أهم أسباب التمكين هو الإيمان الصادق بالله ، فقد تكفل الله بنصر المؤمنين كمل تكفل قبل ذلك بنصر الرسل والأنبياء **(عليهم السلام)** بقوله تعالى:(**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[٢]، وعليه (صلى الله عليه وأله وسلم) فالرسل (عليهم السلام) منصورون في الحجة ؛لأنهم على الحق والحق غير مغلوب وهم منصورون على أعدائهم بإظهارهم عليهم واما بالانتقام منهم اما [٣]، وعليه فالإيمان هنا في هذه الآية عامل مساعد على النصر والتمكين للمؤمنين بل عامل أساس في إحراز التقدم على العدو وهذا وعد وسنة من سنن الله والله لا يخلف وعده والله لا يخلف الميعاد، وفي هذه السنة تشريف للمؤمنين وتكريم لعباد الله الصالحين[٤] ، وبهذا يظهر ان الايمان بالله تعالى من أهم العوامل التي تدعو الى التمكين .

٢- التوكل على الله :

يُعَد التوكل على الله تعالى من ابرز أسباب التمكين التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز بقوله تعالى:**(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)**[٥]،أي قُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَثِقْ بِهِ وَاسْتَعِنْهُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(صلى الله عليه وأله وسلم)[٦]، وقوله تعالى : **(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٧]، وقوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)**[٨]، والتي جاء في تفسيرها وَقالُوا ... وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، أَيِ: الْمَوْكُولُ إِلَيْهِ

(١) الامثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٧٣/٣.
(٢) سورة غافر ، الآية : ٥١ .
(٣) الميزان: الطباطبائي ، ١٧٧/١٧.
(٤) ظ : أسباب النصر والهزيمة في ضوء القرآن الكريم : عبد الله إبراهيم المغلاج، ٧٤٠. د.ط ،د.تت
(٥) سورة آل عمران: الآية ،١٥٩.
(٦) تفسير البغوي : البغوي ، ٥٢٧/١. ظ: الميزان الطباطبائي ، ٤/ ٥٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ،٢٣.
(٨) سورة آل عمران: آية، ١٧٣.

الْأُمُورُ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ [١]، وقيل أن التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها [٢] لابد لهذا المخلوق الضعيف الفقير المحتاج لغيره من حسن التوكل على الله وتفويض كل الأمور إليه، وهذا شرط من شروط تمكينه في الأرض فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في إيمانهم ونصرة دينهم واعلاء حقهم وجهاد أعدائهم، ومن صدق في توكله على الله حصل على ما يريده ، وكل منهم له هم في التوكل فمنهم من توكل على الله من أجل الحصول على الملك ، ومنهم من توكل على الله من أجل الحصول على رغيف الخبز [٣]

فيما يعتقد كثيرون أن التوكل على الله عز وجل يقتضي التوكل فقط وترك الأسباب والمسببات وعدم الأخذ بها وعدم السعي الجاد في طلب الأشياء، وأن مثل هذا الفهم للتوكل إنما هو شيء قادح له، وقد نشر مثل هكذا فهم للتوكل الخاطئ المتصوفة في دار فلكهم، وهذا الرأي بالتأكيد لا ينسجم مع ما يريد الله من توكل عليه والأخذ بأسباب العيش في طلب الرزق وغيره، كقوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** [٤]، وعليه فالتوكل على الله من أهم الأسباب المعنوية للتمكين، فمن توكل على الله فالله عزوجل حسبه ومُمَكنهُ مما يُريد ولو بعد حين .

٣ـ الصبر:

يُعد الصبر من مقومات التمكين الاساسية إذ ورد ذكره في آكثر من (٢٥) مرة في ايات الذكر الحكيم بعضها جاء مرتبطا بالتمكين كقوله تعالى : **﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)** [٥] ،وقوله تعالى:(**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا**

(١) تفسير البغوي : البغوي، ٥٤٢/١. . ظ: التبيان : الطوسي ،٢ /٥٢.
(٢) مختصر جامع العلوم والحكم : ابن رجب ،، ١٨٥ . د.ط د.ت
(٣) ظ : الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم : جهاد احمد ، ١١٦ .
(٤) سورة الملك : الآية ،١٥ .
(٥) سورة ال عمران : الآية ، ١٢٥.

وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [1]، وغيرها[2]، فالصبر طريق إلى النصر وتحقيق التمكين والخلاص إذ قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾[3]، وكذلك يقول الله تعالى : ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[4]،والتي جاء في تفسيرها ولنبلونكم ولنصيبنكم إصابة المُختَبر هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين أي بالجنة كما مر [5]، ومفهوم الصبر يُركّز بشدة عند الانبياء اولى العزم لاسيما نبينا محمد ﷺ الذي صبر على الأذى وهو القائل ((**ما اوذي نبي مثلما أوذيت**))[6]،فالصبر يقدم زاداً للمؤمنين فمن خلاله يثبتهم على الحق مما يعطيهم الحافز على التحمل ويدفعهم إلى مرحلة النصر، وسوف يحكم الله بين المؤمنين وعدوهم وتنتهي هذه المواجهة بنصر المؤمنين الصابرين وتحقيق وعد الله الذي وعدهم، ويوقع وعيده وغضبه على الكافرين بقوله تعالى:﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ**﴾[7]، فالاتباع الجاد لشرع الله والصبر الجميل على ما يريد والانتظار الايجابي شرط من شروط التمكين وعامل مساعد على تحقيق وعد الله، ومن المعلوم يقيناً أن الحياة مزيج من العسر واليسر والنصر والهزيمة والصحة والمرض والشدة والرخاء ... الخ، وكل ذلك الابتلاء

---

(١) سورة الانعام : الآية ، ٣٤.

(٢) بعض الايات القرآنية الكريمة جاء مفهوم الصبر فيها مرتبطا بالتمكين كقوله تعالى " قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"سورة الاعراف :الآية ، ١٢٨. وقوله تعالى : "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ" سورة الاعراف : الآية ، ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران : الآية ، ١٢٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ، ١٥٥ .

(٥) تفسير الصافي : محمد محسن الفيض الكاشاني،صححه وعلق عليه حسين الاعلمي ، منشورات مكتبه الصدر ، طهران ، ط٢، ١٤١٦هـ ، ٢٠٤/١.

(٦) مستدرك سفينة البحار: علي النمازي الشاهرودي: تحقيق حسن النمازي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٠٢/١.

(٧) سورة يونس : الآية ، ١٠٩ .

والصبر طرق للتمكين حتى قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[١] أي نصرِّفها للناس، للبلاء والتمحيص [٢].

فالأنسان بحاجة ماسة إلى مزيد من الصبر على التكاليف والصبر على مواجهة المكاره، فالصبر الذي يقرن بالعمل الصالح هو الأمل في تحقيق النصروالتمكين قال تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**)[٣]،

فلا يوجد إصلاح من غير ثمن، ولا يوجد تمكين من غير صبر.

٤ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا يخفى على الجميع أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرله أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع،، وكذلك له دور ريادي في بقاء التمكين وأحد نتائجه وهذا ماحرصت عليه آيات الذكر الحكيم عبر ربْط التمكين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى:﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[٥]، وحين يقوم أفراد المجتمع المسلم الذي هو تحت حكم شريعة الله فيدين بدين التوحيد ولا يتخذ ديناً غيره، فهنا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل ذلك المجتمع ويتطرق لما يحدث فيه من أخطاء تقع هنا أو هناك وانحرافات عن المنهج الحق ... ولكن حين لا يكون أو لا يوجد مجتمع مسلم مثلاً وتكون في مجتمع ليس فيه الحاكمية وشريعته، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا يجب أن يتجه ُالى أسلوب آخر، وهو تقرير العبادة لله وحده وتحقيق اللازم لقيام مجتمع مسلم، وكذلك المنكر الأكبر هو حكم الطاغوت واستبعاد الناس وتوجيههم لغير الله،

(١) سورة آل عمران : الآية ، ١٤٠ .
(٢) تفسير جامع البيان : الطبري ، ٢٤١/٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ، ١٥٣ .
(٤) سورة الحج : الآية ، ٤١.
(٥) سورة التوبة: الآية ، ٧١.

وهذا ما يقف بوجه التمكين للمؤمنين الصالحين عن طريق حكمهم في غير ما أنزل الله وفي غير ما أراد الله ، فمن واجب الجماعة المؤمنة التي عقد الله معها البيعة أن ترد المجتمع غير المُمَكن من الدين إلى الله وتكفه عن الذنب[1] ، وأن تحافظ على داخل المجتمع المسلم كي لا ينزلق، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما أراد الله ورسوله .

أما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا خلاف فيه عند الجميع بحسب أدلة القرآن بل هو ضرورة من ضرورات التمكين للأمة الصالحة فهو يسبق التمكين تارةً وتارةً أخرى يكون نتيجة للتمكين **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**[2]، وهذا دليل كافٍ من القرآن الكريم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولتكن كون الأمة هي الداعية للخير والآمرة بما أراد الله من معروف وناهية لما نهى الله عنه من منكر، ولا يقال : إن الآية لا تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ؛ لأن الخير أعم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص، فظهور الفعل في قوله تعالى: ﴿ **ولتكن منكم أمة** ... ﴾ قد تقدم على ظهور متعلقه، وعلى هذا يتخصص المعروف بالواجبات وكذلك يختص المنكر بما حرم الله، وعليه فالآية المباركة دالة وبشكل واضح على وجوب الدعوة إلى ما أوجب الله من واجبات والأمر بما أمر الله من أوامر، والنهي عن كل ما نهى الله عنه من منكرات[3]، وهذا هو المطلوب وهو أحد أركان التمكين لدين الله في الأرض، أما في مواجهة العدو فمن مستلزمات النصر أن يثبت من يريد النصر والتمكين وأعظم ساعة تحتاج للثبات هي عندما يدب الذعر بين صفوف المقاتلين وتأخذ الشائعات من الجند مأخذها وتكون الهزيمة قاب قوسين أو أدنى فحينها من يثبت في أرض الميدان يكون النصر حليفه وقد جاء الأمر في القرآنحاثاً على الثبات في الميدان ومواجهة العدو وعدم الانسحاب والانهزام أمامهم

(١) ظ : النصر والتمكين آت بإذن الله : علي بن نايف ، ط١ ، ٢٠١٢م ـ ١٤٣٣هـ ، ٧٨ ـ ٧٩ .
(٢) سورة آل عمران: الآية : ١٠٤ .
(٣) ظ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: محسن الخزازي ، ط١ ، ١٤٣٤هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ١٧ ـ ١٨ .

قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[1]، وفي هذه الآية هو تعليم وتثقيف لعباد الله المؤمنين كيف يثبتوا وكيف يلاقوا عدوهم، وبهذا يتحقق التمكين للأمة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامل أساس من عوامل التمكين التي حرص القرآن على ايرادها في آياته الكريمة .

٥ـ الثبات على الحق:

إن الثباتَ على الحق وملازمته بالقولِ والفعلِ والاستقامةِ على ما أراد الله من شريعتهِ يعد من السنن والعوامل الإلهية الداعية الى تمكين المؤمنين والآيات القرآنية الدالة على ذلك كثيرة منها قال تعالى: **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ)**[2]، والتي جاء في تفسيرها كلمة التوحيد ، وهي قول : لا إله إلا الله (في الحياة الدنيا) يعني قبل الموت (وفي الآخرة) يعني في القبر . هذا قول أكثر أهل التفسير وقيل : في الحياة الدنيا: عند السؤال في القبر ، وفي الآخرة: عند البعث والأول أصح [3].

وعليه يمكن القول ان العلاقة بين الصبر والثبات والتمكين علاقة تلازم يتقدم الصبر على الثبات أحياناً ويتأخر أحيان أخرى لكن لا يفترقان عن بعضها وكلاهما في ظل مقومات التمكين الاساسية .

(١) سورة الأنفال : الآية ، ٤٥ .
(٢) سورة إبراهيم: الآية ، ٢٧.
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير الغوي) : الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ١، ١٤٢٠ه، دار احياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ٣/ ٣٨.

ثانياً: الأسباب المادية للتمكين :

كما ان للتمكين أسبابا معنوية فمن الطبيعي أن تكون له أسبابا مادية، وكما أن الاعداد المعنوي ركن مهم من أركان التمكين كذلك الإعداد المادي مطلوب ومهم أيضاً، ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) خير دليل عندما أراد الهجرة المباركة أعد لها إعدادها المادي من زاد وراحلة وطعام وشراب، وكذلك شخص يدله على الطريق وأزال كل ما يمكن أن يتخذه العدو دليلاً للوصول إليه حتى آثار أقدامه، وهو بذلك يحافظ على السرية التامة[1]، والإعداد المادي للتمكين اليوم وفي عصرنا الحالي له فروع عدة منها :

١-الإعداد العسكري :

لاشك أن إعداد القوة هو أحد أهم الجوانب المادية في التمكين فانه يساعد المؤمنين على الثقة بالنفس وإحداث الرعب في قلوب الأعداء وهذا المفهوم جاء في الكتاب العزيز في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ...)**[2]، الْإِعْدَادُ: اتِّخَاذُ الشَّيْءِ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ. مِنْ قُوَّةٍ، أَيْ: مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ قُوَّةً عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالسِّلَاحِ[3]، وهنا جاءت كلمة القوة نكرة لم تحدد بشكل واضح ولم تحدد أي قوة بالضبط ، وإنما ذكر منها نوعا واحدا فقط ولم تذكر الأنواع الأخرى فهي مما يتقوى به، ولا شك أن كل ما يمثل القوة هو مطلوب للتمكين وهو ضمن الإعداد المادي للدفاع من أجل الدين، في كل زمان ومكان وهو مطلوب من المسلمين إعداده لرد شر العدو ومغالبته وهزيمته ودفع شره والتمكن منه، والمتبين من معاني القوة واستعمالاتها والقرائن إن القوة تعني الارادة المراد تنفيذها من قبل صاحبها شاء من شاء ورفضها من رفض، فقد تكون هذه القوة متعلقة بالسلاح أو متعلقة بالجند أو متعلقة بالناحية الاقتصادية والانتاجية أو متعلقة بالعلم

(١) ظ: فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية : عمر لطفي ، ١١ .
(٢) سورة الأنفال: الآية ، ٦٠ .
(٣) تفسير الغوي : البغوي ، ٣٠٣/٢.

والمعرفة، أو متعلقة بإعداد العلماء لكل المجالات مثل الصناعة والزراعة بأنواعها[١]،

فيبقى الأمر دالاً بالوجوب وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... وهذا خطاب واضح وجلي لهذه الأمة - اعداد القوة - والذي يقوم مقام الأمر المخاطب بشكل مباشر، والذي عليه إعداد هذه القوة هو من انتخبته ليقوم مقامها مستفيداً من ما يملكه من سلطة لتنفيذ ما خوطب به من أحكام شريعته التي هي تخص الأمة ومنها القوة بجميع أنواعها، ومنها تعليم العلوم الدنيوية في كافة المجالات وهنا يكون تعلمها كفائي من أجل تمكين هذه الأمة[٢].

لقد ارتبط مفهوم الاعداد للقوة بمفهوم التمكين في أيات الذكر الحكيم كقوله تعالى :**(قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ)**[٣]، والتي يرى المفسرون انها دالة على التمكين بالاعداد القوة فلما تمنى النبي لوط (عليه السلام) القوة جاءه المد الالهي بالتمكين إن الخطاب في الآية للضيوف دون القوم، ومعنى الآية أنه قال لضيوفه: أتمنى أن يكون لي بسببكم قوة ألقاهم بها. وفيه أن الانتقال من خطاب القوم إلى خطاب الضيوف ولا دليل من اللفظ ظاهرا يدل عليه إبهام وتعقيد من غير موجب، وكلامه تعالى أجل من ذلك، قوله تعالى: (قالوا يا لوط إنا رُسل رَبك لن يصلوا إليك) إلى آخر الآية عدم وصولهم إليه كناية عن عدم قدرتهم على ما يريدون [٤].

إن عالمنا اليوم لا يحترم ولا يقدر إلا القوي أما الضعيف غير المتمكن لا أحد يُقيم له وزناً، فدول العالم في زمننا الحاضر تخصص أكبر الميزانيات لوزارة الدفاع أو ما يسمى وزارة الحرب من أجل تمكينها، فالإعداد للقوة العسكرية من أولويات الدول الكبرى لحفظ تمكينها وأمنها أولاً وللتقوي على غيرها ثانياً وحفظ مكانتها بين الأمم

(١) ظ: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية : عبد الكريم زيدان ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ٦٧ .
(٢) ظ: المصدر نفسه ، ٦٧ .
(٣) سورة هود: الاية، ٨٠- ٨١.
(٤) الميزان: الطباطبائي ، ٣٤٢/١٠.

فضلاً عن أن التمكّين لها[١]، كذلك من أهم أسباب التمكين هو الإعداد الأمني الذي هو جزء من تلك القوة المطلوبة لحفظ أمن الأمة فمن خلالها ينشأ حس أمني للأفراد العاملين في حفظ الأمن، وقد أشار القرآن الكريم الى أهمية الأمن في آيات كثيرة ذكرنا بعضها فالقوة هي من تديم التمكين وتقويه .

٢ـ الاعداد الاقتصادي:

يُعد الجانب الاقتصادي جانباً مادياً مهماً وسبباً من أسباب التمكين، وهذا المفهوم وإن لم يرد بصورة نصية في القرآن الكريم، إلا أنه ورد بطريق الاشارة الى الاعداد الاقتصادي وربطه بالتمكين في قوله تعالى:(**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**)[٢]وقوله تعالى:﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾[٣]، اي وَلَنَخْتَبِرَنَّكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ(صلى الله عليه وأله وسلم)[٤] بالإنتاج اهتماماً كبيراً وهذا ما حث عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة في بذل كل الإمكانيات والأساليب المُمَكّنة في سبيل تنمية الانتاج وتحسينه في كافة وجوهه وتمكين الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض وحثه على السيطرة على نعم الأرض وخيراتها والتمكّن منها ، لكن الإسلام حينما يطرح تنمية الإنتاج يطرحها من الجانب الحضاري الإنساني البحت، والذي فيه خدمة للإنسانية وهنا يختلف مع النظام الرأسمالي الذي يعد تنمية الإنتاج هدف وغاية بذاتها، بينما لاينظر الإسلام الى المال والثروة بهذا المنظار بل هو وسيلة لإيجاد الرخاء وتمكين العدالة الاجتماعية وشرط من شروط الخلافة الصالحة على الأرض، فالمال في نظر الإسلام وسيلة للتمكين وليس غاية [٥] .

وَقد عمل الإسلام منذ بدايته على تحرير الناس من أشكال الفقر والرق ومن الفقر والجوع والجهل ... والمسلم حر في الانتاج والعمل والملك، ولا تنتهي حريته إلا

(١) ظ: فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية : عمر لطفي ، ١٣ .
(٢) سورة يوسف : الاية ،٥٥.
(٣) سورة البقرة : الاية ، ١٥٥.
(٤) تفسير البغوي : البغوي ، ١/ ١٨٥.ظ: الميزان : الطباطبائي ، ١/ ٣٤٢.
(٥) ظ: الإسلام يقود الحياة : السيد محمد باقر الصدر،ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، اصدار وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ٩٣ .

حين تبدأ حرية الاخرين ومنها حرية الانتاج فالنظام الاقتصادي عند المسلمين يعتمد وبشكل كبير على الدين والخلق الرفيع، وهذا الدين بطبيعته يعتمد على اهتمام وآداب وسنن .. فهو ينصف الضعيف ويعطيه حقه وينصف القوي كذلك، فيحمي الفقير من الغني حتى لا يسلبه حقوقه، أما الأنظمة الأخرى ومنها النظام الرأسمالي فهو يعتمد وبشكل كبير على قوانين وضعية يشّرعها الأقوياء والأثرياء المتمكنين مادياً من أصحاب الشركات ورؤوس الأموال الضخمة، فهو يكرس قوة الأقوياء وفقر الفقراء لا بل أنه يزيد الضعيف ضعفاً والقوي قوة وتكبر الفجوة بشكل واضح بين الضعفاء والأقوياء وتختفي في الطبقة المتوسطة في النظام الرأسمالي ليس معنى هذا أن المجتمع الإسلامي لا توجد فيه طبقة الأقوياء وطبقة الضعفاء وهذا غاية التمكين الاقتصادي، لكن الأقوياء في المجتمع الإسلامي لا يستطيعون اضطهاد الضعفاء وأخذ حقهم والتمكن منهم[1]، فالنظام الاقتصادي الإسلامي نظام يوازن بين الضعيف والقوي والغني والفقير، من أجل عدم تمكين الأغنياء من رقاب الناس والتمكن من ثرواتهم ، وهذا ما سنشهده في دولة التمكين المنتظرة بإذن الله.

٣ـ الإعداد العلمي :

لا يختلف إثنان في أن العلم والمعرفة سبب أصيل من أسباب التمكين ومقوماته فعندما يتصف قائد التمكين وجنوده بالعلم فإن هذا بالتأكيد سيكون زاداً من أفضل ما تُزوّد به الدولة من أجل استدامتها قال تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...)**[2] والتي فسرها العلماء لعلم وعدمه مطلقان لكن المراد بهما بحسب ما ينطبق على مورد الآية العلم بالله وعدمه فإن ذلك هو الذي يكمل به الانسان وينتفع بحقيقة معنى الكلمة ويتضرر بعدمه، وغيره من العلم كالمال ينتفع به في الحياة الدنيا ويفنى بفنائها[3]، وفي كل هذه الوجوه التي ذُكرت يلحض منها ان هناك عملية تفريق بين المتمكن علميا وغيره .

---

(١) ظ: أصول الاقتصاد الإسلامي : د. رفيق يونس المصري ، ط١ ، ٢٠١٠م ، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبد العزيز ، ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) سورة الزمر: الآية : ٩ .
(٣) الميزان : الطباطبائي ، ٢٣٤/١٧.

فالعلم ركيزة مهمة ولا نقصد بالعلم على الجانب النظري فقط، بل نقصد به جانب العمل والتوظيف وجانب المعرفة والإدراك، فإن الحضارات لا يمكن أبداً أن تبنى بالشعارات الرنانة؛ وإنما تبنى وتؤسس على أساس العلم الصحيح والعمل في سبيل الوطن[١]، وللتمكين العلمي أهمية كبرى على مستوى الفرد والجماعة حتى أن أي إنسان يدعيه لنفسه ويفرح حين يصفه الآخرين بالعلم حتى وإن كان جاهلاً لا بل حتى الجاهل لا يقبل أن يُقال عنه جاهلاً ويَقبل أن يُقال عنه عالِماً ، وفي شرف العلم قال رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) في طلب العلم والتمكن فيه [٢]، لما فيه من خير في بناء الدولة المُمَكنة حيث قال: (صلى الله عليه وأله وسلم) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[٣] وكذالك الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه من هو فيه [٤]، وفي أفضلية العلم والتمكين العلمي قَرَن الله سبحانه وتعالى شهادة أولي العلم والملائكة بشهادته سبحانه وتعالى إذ قال: (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[٥]، أن مفهوم العلم في نظر الإسلام وفق التصور الإسلامي مفهوم واسع جداً، إذ شمل كل العلوم النافعة النظرية والتطبيقية، فالإسلام لا يهتم بجانب دون آخر، بل حرص على جميع الجوانب والمنهجيات لو صح التعبير، فإن العلم وفق هذا المنظور أي المنظور الإسلامي إنما هو المعرفة الواسعة بقوانين الله في الكون وتطبيقها ، وكذلك هو الإدراك الشامل للأشياء وكيفية وجودها ومن حيث أنه وجود مادي محسوس أو غائب غير شاهد .

فالتمكين العلمي في المنظور الإسلامي جاء من الله عز وجل لكي يستقيم الإنسان على دين الله الحق وليُعمّر الأرض التي أستخلفه الله فيها وفق المنهج الذي

(١) ظ: مراحل التمكين دراسة قرآنية : رمضان خميس زكي الغريب ،كليةالدراست القرأنية ،جامعة الأزهر ، ٤٨ .
(٢) ظ: مكانة العلم والعلماء : محمد بن عمر بازمول ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة ـ أصول الدين ، ٤.
(٣) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، ١/ ١٧٢.
(٤) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، ١٨٥/١..
(٥) سورة آل عمران ،الآية : ١٨ .

أراده الله فالعلم الإسلامي وسيلة المؤمن كي يُعلي ما أراده الله ويُقيم شرع الله ونظامه في الأرض ويُمكن لدين الله [١]، فالله والإنسان والكون قضية واحدة لا يفهم أحدها إلا بفهم الآخر ولا يمكن أن يفصل طرف عن طرف آخر فالله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد وأينما نتجه ونولي وجوهنا فثم وجه الله، وهو معنا أينما تكون ويؤكد هذا الشعور دون تفلسف فيعطي للإنسان الطمأنينة والسكينة، وهذا عكس ما يتصوره العلمانيون الذين يضعون التمكين العلمي في علبة والدين في علبة أخرى، فالدين ذاته العلم والعلم ذاته الدين فالعلم بالله لا ينفصل عن العلم بمخلوقاته ، فالمعرفة بالصانع لا تنفك عن المعرفة بصنعته [٢].

وإذا تأملنا في دولة التمكين ومواصفاتها وعلى سبيل المثال دولة (سليمان **عليه السلام**) وجدناها كانت دولة العلم والدين ولا يوجد فاصل بينهما بل هي تعني كل جانب من جوانب الدولة المُمَكنة التي عمادها الدين والعلم الصادق، فقد حفلت كذلك دولة داوود **(عليه السلام)** بالعلم النظري والتطبيقي وكذلك تميزت في جانب الحكم والقضاء بين الناس، فهي دولة تجمع بين العلم بكل معانيه المختلفة، وكذلك جمعت هذه الدولة المُمَكنة بالدين بكل معانيه وإلى جانب العلم تجلت سمات الإيمان في القيادة الدينية النبوية والجندي الذي كان الإيمان والعلم يعتريه بكل جوانبه [٣] ، فالقيادة كانت تخاطب الناس باسم الله الرحمن الرحيم: **(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** [٤] ،

ونفهم مما تقدم أن للتمكين أسباب مادية ومعنوية، من أخذ بها وأستند اليها كمقومات له استطاع أن ينشر دين الله ويُمكن له في الأرض، ومن لم يأخذ بتلك الأسباب ومن ظن أن التمكين يأتي بالدعاء وحده، هُزم وتقهقر فالله لا يعطي بالمجان فالجهد مقابل التمكين هكذا تكون المعادلة .

---

(١) ظ: الإسلام والعلم : محمود احمد أبو سمرة ، جامعة الخرطوم ، أ.د عماد احمد البرغوثي جامعة القدس ، ٢٠١٦م ، بلا . ط ، ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) الإسلام ما هو .. ؟ : مصطفى محمود ، بلا .ط ،بلا .ت ، ١١٤ ـ ١١٦ .
(٣) مراحل التمكين دراسة قرآنية : رمضان خميس زكي ، ٦٥ ـ ٦٦ .
(٤) سورة النمل : الآية ، ٣٠ .

المطلب الثاني : أهداف التمكين :

من المؤكد ان للتمكين أهدافا في غاية الدقة والاهمية ذكرها الله تعالى في قوله: **(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)**[1] والتي جاء في تفسيرها والمراد من تمكينهم في الأرض إقدارهم على اختيار ما يريدونه من نحو الحياة من غير مانع يمنعهم أو مزاحم يزاحمهم. يقول تعالى: إن من صفتهم أنهم إن تمكنوا في الأرض وأعطوا الحرية في اختيار ما يستحبونه من نحو الحياة عقدوا مجتمعا صالحا تقام فيه الصلاة وتؤتى فيه الزكاة ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وتخصيص الصلاة من بين الجهات العبادية والزكاة من بين الجهات المالية بالذكر لكون كل منهما عمدة في بابها(صلى الله عليه وأله وسلم)[2]، ، التي أسلفنا ذكرها في صدر كلامنا عن أهداف التمكين، إذ يقول الدكتور مصطفى السباعي: أن الآية الكريمة تصرح بالنتائج التي تترتب على انتصار المؤمنين في القتال المشروع، فهي ليست استعمار الشعوب ولا أكل خيراتها والتمكن منهم ولا انتهاب ثرواتها ولا اذلال كرامتها، وإنما هي نتائج لمصلحة الإنسانية[3]، وإننا على يقين تام أن الناس كل الناس عائدون الى الله في يوم ما قريب ليس ببعيد، عائدون إلى منهجه وأن المستقبل لهذا الدين دون غيره من الأديان، فهذه سنة شهد لها القرآن في أكثر من موضع وهذا واضح من خلال مراجعة التاريخ الذي تحدث عن تاريخ الأمم ودلالات الواقع البشري من هناك وهناك، إن الإسلام أضخم حقيقة وأصلب عود وهو أكبر بكثير من أن يجتثه أعداء الحياة [4] ، فالإسلام كالشمس إذا غرب في جهة أشرق في جهة أخرى ، وبما أنه عاقبة الأمور كلها بيد حكيم عزيز فإنه جعل العاقبة لعباده المؤمنين المتقين الذين يحافظون على تمكين الله لهم ، وشرط المحافظة على التمكين هو الالتزام بما أراد الله وتطبيق الأحكام التي أرادها (**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا** ..)، أن التمكين لا

(١) سورة الحج :الآية ، ٤١ .
(٢) الميزان : الطباطبائي ، ١٤/ ٣٨٦.
(٣) ظ: الصحيح من سيرة النبي الأعظم : جعفر مرتضى العاملي ، ٣/ ١٢٢.
(٤) ظ: تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين : سيد بن حسين ، ٢٥ .

يكون إلا من عند الله الخالق، فهو الذي بيده كل شيء وهذه عقيدتنا بالله فهو مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء، فالمؤمنون يشكرون الله على هذه النعمة ألا وهي نعمة التمكين، فيقيمون الصلاة ويأتون الزكاة، وهذا الالتزام في إقامة دين الله وشرعه بعد التمكين هو شرط لاستمرار ذلك التمكين [١] ، فالتمكين نعمة وبشكرها تدوم، ويرى السيد الطباطبائي أن من صفاتهم يعني الذين إذا تمكنوا في الأرض أعطوا حرية الاختيار فيما يستحبونه، وانشئوا مجتمعاً صالحاً تقام فيه مراسيم العبادة وتخرج فيه الحقوق، ويكون التمكين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه واضحاً وجلياً، وإن كان هناك تخصيص للذين أمنوا في صدر الآية لكن المراد بها عامة المؤمنين بل عامة المسلمين الى يوم القيامة والتخصيص هنا خص الطبع الذي عليه المسلمين ألا وهو الاصلاح في الأرض، فمن طبع المسلم بما هو مسلم هو عمارة الأرض وإصلاحها بما يرضي الله [٢] .

واذا أراد الله الخير للبشرية في هذه الحياة فسوف يُمَكن هذه الأمة فذلك خير للبشرية كلها وأن أحوال هذه البشرية مرتبطة بحال هذه الأمة ، فإن رشدت ومُكن لها في الأرض فسوف يعم الخير في أرجاء هذه المعمورة كما كانت سابقاً هذه الأمة مُمَكنة وكانت دول العالم كلها ومنها أوربا تنهل من عطاء هذه الأمة وتستمد منها بداية نهضتها بعد أن خرجت من ظلمتها في القرون الوسطى ، ونهضت تلك الأمم سبب احتكاكها بالمسلمين في المشرق والمغرب، وأن تغيير أحوال البشرية اليوم مرتبط في استعادة هذه الأمة مكانتها السابقة [٣] ، ولو رجعنا لتاريخ الأمة الإسلامية لوجدناها في مدة زمنية معينة قامت بقيادة البشرية واعتلت عروش التمكين في الأرض من هنا يتضح ان للتمكين أهدافاً تتلخص في الثمرات الآتية :

(١) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ، دار القلم ـ دمشق ، ١٩١ .
(٢) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٤/ ٣٨٦ .
(٣) ظ : مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية : سناء بين فضل الدين بن كريم ،،رسالة ماجستير ،جامعة ام القرى ، ١٤٢٩هـ ،٦

الثمرة الأولى: الدعوة الى الله:

إن الدعوة إلى دين الله أمر واجب على الأفراد والجماعة كما هو واجب أولي الأمر، فقد ورد في القرآن الكريم أساليب عدة للدعوة، فمنها ما جاء بصيغة الأمر وبشكل مباشر كقوله تعالى: ﴿ **اتقوا الله ، أعبدوا الله ، أقيموا الصلاة ، اتوا الزكاة ، أجيبوا داعي الله ...** ﴾، ومنها ما ورد بالنهي الصريح: **لا** تعبدوا إلا الله ، **لا** تأكلوا أموالكم ، **ولا** تخسروا الميزان، ... ومنها ما ورد على شكل إستفهام وغيرها من الصيغ التي لا محل لذكرها في البحث ،،كل هذا من أجل تمكين دين الله في أرضه.

أما من الجانب البياني الارشادي فقد وردت آياتٌ تبين الوسطية في الدعوة إلى الله بين الافراط والتفريط، إذ قال الله تعالى: (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ..)[1]، فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في الخطابة والجدل غير أنه سبحانه قيد الموعظة بالحسنة والجدال بالتي هي أحسن ففيه دلالة على إن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس بأحسن ولا حسن والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه[2]، والتدليس والزور .. فالدعوة هي تبليغ أوامر ونواهي الله، وهذه الأوامر والنواهي تترتب عليها مصالح ومفاسد فلابد من اتخاذ الطريق الصحيح لتبليغها .

فرسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) لا يملك الحق في تغيير هذه الدعوة أو التحشيد اليها بغير ما أمره الله، حيث قال الله تعالى: (**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**)[3]، و تفسر بان التقول تكلف القول من غير رجوع إلى الحق [4]، وأن كل ما في هذا الكون منسجم مع ما يدعو إليه القرآن الكريم، وأن رسالة الإسلام هي بالتأكيد رسالة شاملة لكل جوانب الحياة وهي كذلك صالحة لكل زمان ومكان إلى نهاية الكون، جاءت لتنير الأرض ومن عليها من

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .
(٢) الميزان : الطباطبائي ، ٣٧٢/١٢.
(٣) سورة الحاقة ،: الآيات ، ٤٤ ـ ٤٥ .
(٤) التبيان : الطوسي ، ١١٠/١٠.

مشارقها الى مغاربها، يعضده قوله تعالى :﴿ **هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ يظن أكثرهم من أن الدعوة لتمكين دين الله تكون عن طريق اللفظ واستعمال الأسلوب الكلامي فقط، لكن هناك أسلوب وطريقة أخرى لم يستخدم فيها الداعية طريقة الدعوة بالأسلوب اللفظي فيستخدم الداعية ما نطلق عليه اليوم لغة الجسد لإيصال ما يريده أن يصل للآخرين مثل تعابير الوجه والايماء والتصافح ولهذه الحركات تأثير ايجابي في دعوة الآخرين، والوجه هو الجزء الأكبر جذباً في الجسد، فالمسلم يتميز عن غيره ببشاشة الوجه وحسن المنظر وهذا بحد ذاته أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله وهو جزء من إسعاد الآخرين، ويستطيع الفرد المسلم أن يصل لغيره من خلال النظر في عين المدعو من أجل إيصال ما يريده فتكون الوسيلة غير اللفظية معززة ومؤيده فالدين أمانة في أعناقنا وعلينا تبليغه بكافة الأساليب من أجل التمكين لهذا الدين الخاتم .

وكذلك العفو والتسامح هو أسلوب من الأساليب غير المباشرة في نشر الدعوة وتمكين دين الله فقد ثم إستقراء حوادث العفو والتسامح في حياة قدوتنا ((صلى الله عليه وأله وسلم)) مع اليهود وكذلك مع كثير من أهل مكة إذ عفا عنهم بعد ما بدر منهم، وكان هذا أسلوب ناجح جداً في كسب كثير منهم للدخول في دين التمكين[١]، الذي تمكن من دخول القلوب فالكلمة أسلوب والحركة أسلوب والعفو أسلوب والتسامح أسلوب آخر .فالدعوة لدين الله في بقاع المعمورة هو ثمرة من ثمرات التمكين .

الثمرة الثانية : تحقيق العدالة :

العدل هو عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عن ما هو محظور دينياً [٢]، وقيل أن العدل يعني التوسط دون إفراط أو تفريط والعدل والعدالة يعني أن يأخذ كل ذي حق حقه، وفي اصطلاح الفقهاء العدل اجتناب الكبائر، وكذلك عدم الإصرار على الصغائر، أما في الجانب السياسي فإن العدالة تعني المساواة بين المواطنين أمام

(١) ظ: أساليب الرسول في الدعوة والتربية : الشهيد يوسف خاطر حسن ، ١٧ .د.ط د.ت .
(٢) ظ: التعريفات : الجرجاني ، ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، بيروت ، ١٤٧ .

القانون وضمان حقوقهم، وهذا ما تبتغيه دولة التمكين وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم حاثة على العدل والعدالة:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ..)**[١]، **(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**[٢] والعدل هنا وهو الانصاف بين الخلق، والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل (صلى الله عليه وألـه وسلم)[٣]، فالأمر واضح وجلي للمسلمين بإقامة العدل وتحقيقه، وكل حسب موقعة سواء كان في السلطة أو خارجها سواء كان حاكماً أم محكوماً، وهذا يبين عظمة الدين الإسلامي وكماله وحسن صفات هذا الدين وشموليته، إذ أمر الحاكم بالعدل بين الناس وأعطاه فصل القضاء والحكم بما أنزل دون مجاملة ومحاباة[٤] . فهذا هو دستور المسلمين المعتمد لدى الحكومات الإسلامية، التي يسعى المؤمنون لإقامتها في دولة التمكين وجاءت السنة النبوية المطهرة ومعضدة وداعمة للقرآن الكريم في كثير من الأحاديث نذكر منها هذا الحديث من باب الاستشهاد قال رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) : ((**إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله تعالى محسن يحب المحسنين**))[٥].

وكذلك ضرب الإمام علي (عليه السلام) مثالاً رائعاً للعدالة والتمكين وتطبيقهما في النظام الإسلامي وهو راعٍ لدين الله وتطبيق نظامه بشكل عملي على وجه الأرض ، فقد روي عنه انه (عليه السلام) فقد درعه يوماً من الأيام وبعدها وجد درعه عند يهودي فقال له ((**الدرع درعي لم أبعه ولم أهبه فقال اليهودي: درعي وفي يدي فقال: نصير إلى القضاء فتقدم الإمام علي (عليه السلام) فجلس إلى جانب شريح وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه ....**)) [٦]، فالعدل أساس الملك عند الإمام علي عليه السلام، وكذلك العدل أساس التمكين في الأرض حيث تفضل جل ثناءه على أهل الأعمال الصالحة من عباده فمنحهم التمكين كرماً

(١) سورة النحل: الآية : ٩٠ .
(٢) سورة النساء: الآية : ٥٨.
(٣) مجمع البان : الطبرسي ، ١٩٠/٦.
(٤) ظ: المسؤولية الجماعية في العدل والحرية في القرآن والسنة : نبيل محمد مقبل النشمي ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد ٣٠ ، ٢٠١٥م ، ٥ .
(٥) مجمع الزوائد: الهيثمي ، ٥ / ١٩٧ .
(٦) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٠١/ ٢٩٩.

منه وعطاءً حيث قال: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..)**[1]، فالله عز وجل عادل لا يقضي الا بالعدل والحق ولا يحكم الا بالعدل وهذا واضح ومسلم به، وهو مقيم على العدل ولا يميل عنه ولا ينحرف أبدا ، ومن سننه ابتلاء الناس ليظهر أي منهم هو أقرب الى الحق والعدل فيكون حجة الله في أرضه وينتقم من الظالمين؛ لأنهم كانوا مجانبين للحق فتارة ينتقم منهم بأمثالهم من الظالمين ،وأخرى ينتقم منهم بالصالحين المصلحين الذين هم أضدادهم، وتكون عاقبة هذا التنازع للمتقين الذين يسيرون على سنن الله الشرعية، فالصالحون هم الذين يجتنبون الفساد والظلم ويقوّمون ما أعوج من أمر العباد من أجل تمكين العدالة[2] .

فالعدالة مطلب المظلومين وغياث المقهورين في الأرض، وعلى ولي الأمر الاستجابة لهم في رفع تلك المظلومية هذا من جانب، ومن جانب آخر لا تتحقق العدالة في دولة التمكين المنتظرة إذا لم يخضع جميع الناس لقواعد العدل التي تنطبق عليهم أجمعين دون تفريق أو فرق في تطبيق العدالة بين غني وفقير أو ضعيف وشريف والا هلك الجميع وباءوا بغضب من الله وصدق رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) حينما قال: (صلى الله عليه وأله وسلم) **((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)) (صلى الله عليه وأله وسلم)(١)** وقد اعتنقت الشرائع السماوية مبدأ الدولة ذات القانون وسيادة أحكامه العادلة على الراعي والرعية ؛ وذلك لأن مصدرها واحد وهو الواضع العليم العادل المتمكن الذي لم يظلم والذي حّرم على نفسه الظلم وعلى الناس[3]، فالإسلام في دستوره القرآن الكريم لم يفرق بين الحاكم والمحكوم ولا الفقير والغني ولا فضل بين الناس، فكل الناس عنده واحد إلا من تفضل الله عليه بالعلم

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥ .
(٢) ظ: المسؤولية الجماعية في العدل والحرية في القرآن الكريم : نبيل محمد مقبل ، مجلة جامعة القرى ، العدد ٣٠ ، ١٩ .
(٣)ميزان الحكمة ،الريشهري ،ج٥٥٦/١
٢ ظ: عدالة الحكام وطاعة المحكومين في القرآن والقانون : ماجد راغب الحلو ، جامعة الإسكندرية ، مجلة الحقوق للبحوث القانونية ، عدد خاص ، ديسمبر ، ٢٠١٢م ، ٧٢١ ـ ٧٢٣ .

والتقوى **(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)**[١]،والتي جاء في تفسيرها فمن اتقى الله فهو الشريف المكرم المحب، و كذلك أهل طاعته و طاعة رسول الله(صلى الله عليه وأله وسلم)[٢]، فمفهوم العدالة في الإسلام مفهوم شامل تهدف الدولة المُمَكنة تحقيقه، فهو يتضمن المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات واعطاء كل ذي حق حقه، وهذا المبدأ تقرر في العقيدة الإسلامية على أتم وأفضل وجه، فعد الإسلام المسلم أخو المسلم بغض النظر عن اللون أو الدم أو القبيلة، وكل منهم مسؤول أمام الله تعالى عن العدل وعن كل ما فعله هو وما قدمته يداه [٣]،إذ يقول الله تعالى:**(مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)**[٤]، وتفسر (من يعمل سوء يجز به) مطلق يشمل الجزاء الدنيوي الذي تقرره الشريعة الاسلامية كالقصاص للجاني، والقطع للسارق، والجلد أو الرجم للزاني إلى غير ذلك من أحكام السياسات وغيرها ويشمل الجزاء الأخروي الذي أوعده الله تعالى في كتابه، وبلسان نبيه(صلى الله عليه وأله وسلم)[٥].

ويقيم الإسلام العدالة الاجتماعية على أساس ثابت ويُحدد لبلوغ الأهداف وسائل معينة، ليس فيها غموض ولا دعوة مجملة، وهذا واضح من خلال آياته فهو دين واقعي دين عمل وتنفيذ مباشر لا دين إرشاد ودعوة فقط ، وأن طبيعة نظرة الإسلام إلى جميع مفاصل الحياة الإنسانية تجعل من العدالة الاجتماعية عدالة شاملة لكل ما يقوم الحياة، ولا تقتصر على جانب معين فهي لا تقف على الاقتصاديات والماديات فقط، وإنما ذهبت الى أبعد من ذلك ؛ فالواقع الذي يريده الإسلام ليس واقع فرد، وتُعد التجربة الإسلامية في العدالة والمساواة تجربة فريدة في تاريخ الإنسانية، فلأول مرة ومنذ خلق الخليقة توجد تعاليم وشريعة توجه الإنسانية كلها وتعد كل انسان على وجه الأرض أهلا بأن يتقبل ما عليه من حقوق وأن يلتزم ما عليه من واجبات كأي انسان

(١) سورة الحجرات : الآية : ١٣ ..
(٢) تفسير البرهان : البحراني ، ٧٢٦/١.
(٣) ظ: مفهوم العدل في الإسلام ونماذج من روائعه : الخضر بن قومام ، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية ، العدد التجريبي ، ٢٠١٧م ، ٥٥ ـ ٥٦ .
(٤) سورة النساء : الآية : ١٢٣ .
(٥) الميزان : الطباطبائي ، ٨٧/٥.

اخر، وأن الأصل والجنس واللون لا وجود لها في نظر الاسلام، ، فالعدل والتمكين منه سبب رئيس في اصلاح أحوال الناس واصلاح معايشهم وانتظام أمورهم وصلاح دينهم الذي فيه كل خير، فقد أثنى الله تبارك وتعالى على المستجيبين القائمين بالقسط بقوله تعالى :**(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)**[1]، اي أخبر سبحانه من جملة من خلقه جماعة وعصبة، يدعون الناس إلى توحيد الله تعالى، وإلى دينه، وهو الحق يرشدونهم إليه (وبه يعدلون) أي: وبالحق يحكمون، وروى ابن جريج، عن النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) أنه قال: (هي لأمتي بالحق يأخذون، وبالحق يعطون. وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها، (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[2]، وقال الربيع بن أنس:(صلى الله عليه وأله وسلم) قرأ النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) هذه الآية، فقال: إن من أمتي قوما على الحق، حتى ينزل عيسى بن مريم(صلى الله عليه وأله وسلم)[3]، فوجود هذه الجماعة المؤمنة العاملة بالحق، يمهد وبشكل واضح لنشر العدل والعدالة في أرجاء المعمورة، وهذا ما تهدف اليه دولة التمكين أو الجماعة المُمَكنة، فالعدل أساس التمكين وثمرة من ثماره وهناك ثمرات أخرى للتمكين غير نشر الدعوة وتحقيق العدل والعدالة والمساواة والإبتلاء والإختبار لم يذكرها البحث لاكتفاءه بأخذ أبرز ثمرات التمكين، بحسب متطلبات البحث.

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨١ .
(٢) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، ١٤٤/٢٤.
(٣) المصدر نفسه ، ٦/٢٨.

المبحث الثالث: صور التمكين :

ويمكن بيان صوره عبر المطالب الآتية :

المطلب الأول: التمكين الممدوح في القرآن الكريم :

لقد قدمَ الأنبياء والصالحين نماذج إنسانية تكاد تكون الأجمل قبل وبعد تمكينهم في الأرض، فكانوا قدوة حسنة سواء في إدارتهم لشؤون الناس من خلال الدولة المُمَكنة أو من خلال نشر تعاليم الدين التي تصب في مصلحة المجتمع، وهذا هو المنشود من التمكين، فالحاكمية عند الرسل والصالحين هي لله وحده، وما هم إلا وسيلة لتنفيذ ما يريده الله، فقد قدموا نماذج للتمكين الممدوح شهد لها العدو والصديق وهذا ما نتطرق له ضمن النماذج المذكورة على النحو الاتي :

النموذج الأول: النموذج الإيماني الاول : النبي نوح (عليه السلام) :

ربما يستغرب القارئ من ذكر النبي نوح (عليه السلام) من ضمن الأنبياء والصالحين الذين مكنهم الله في الأرض؛ لكونه لم يحقق العدد الكافي أو لم يلتحق به العدد الكافي من المؤمنين على الرغم من طول المدة التي دعا فيها قومه للإيمان، لكن العدد ليس هو الفيصل في التمكين للدعوة إلى الله فالموضوع موضوع نوعية وليس كمية..

والبحث ليس بصدد أن يثبت أو ينفي نسب نوح لكن اقتضى البحث المرور على شيء من نسبه الشريف الذي يتشرف البحث بذكره،إذ كان بينه وبين آدم (عليه السلام)حوالي عشرة قرون، فكانت الأقوام في تلك الفترة على دين التوحيد لكن الشيطان قد حرفهم عنها فأرسل الله إليهم نوح (عليه السلام) ليمكّنهم من الرجوع إلى دين الله،وقيل ان :(صلى الله عليه وأله وسلم) بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على دين الإسلام، فإن كان المراد بالفترة من الزمن مائة سنة فأن المدة الزمنية بين آدم (عليه السلام) ونوح هي ألف سنة، وإن كان المراد بالقرن هو الجيل من الناس فإن

المدة بينهما هي عشرة اجيال(صلى الله عليه وأله وسلم)[١]، وقد جاء ذكر الأجيال على أنها قرون **(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ)**[٢]، دون مقابل **(وَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ)**[٣]، (صلى الله عليه وأله وسلم) يقول: ما ثواب نصيحتي لكم ، ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه، إلا على الله، فإنه هو الذي يجازيني، ويثيبني عليه (صلى الله عليه وأله وسلم)[٤]، هكذا تمكن المرسلون ومنهم نوح عليه السلام من الدخول الى قلوب جماعة المؤمنين من اقوامهم قبل الدخول الى عقولهم وهذا هو الفتح العظيم.

مما لا شك فيه أن الأقوام بعد آدم (عليه السلام) كانت مؤمنة فهي على دين أبي البشر آدم (عليه السلام)، لكن للشيطان صولات وجولات تمكن من خلالها إغواء عدد كبير من تلك الأقوام؛ فقد استطاع إبعادهم عن دين الحق وجادة الصواب وسار بهم بطريق غير الطريق الذي اراده الله ورسوله لهم، طريق الشرك والكفر بالله، قال ابن عباس كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين [٥]، لكن نوح (عليه السلام) لم يقف متفرجاً يشاهد قومه يقعون في مكائد الشيطان، فأخذ يدعوهم إلى تمكين دين الله محاولاً زرع الإيمان في نفوسهم لكن قومه أصّروا على ذلك العناد ورفض دعوة نوح لهم، فكلما أزداد تقرباً منهم وتلطفاً وتحبباً لهم أزدادوا في المقابل بعنادهم وتكذيبهم وابتعادهم عن طريق الحق. **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)**[٦]، أي من إجابة دعوتي فالمراد بالفرار التمرد والتأبي عن القبول استعارة، وإسناد زيادة الفرار إلى دعائه لما فيه من شائبة السببية

(١) قصص الأنبياء : ابن كثير الدمشقي ، ٨٣ ـ ٨٤ .
(٢) سورة الإسراء: الآية : ١٧ .
(٣) سورة هود : الآية :٢٩.
(٤) تفسير الطبري : الطبري ،٥ / ٢٢٥.
(٥) ظ: شخصية نوح (عليه السلام) في القرآن الكريم : حسن محمد حسين ، ٦٤.د.ط د.ت.
(٦) سورة نوح ، الآية :٧.

لان الخير إذا وقع في محل غير صالح قاومه المحل بما فيه من الفساد فأفسده فانقلب شرا [١]

وهنا قد أشتد الجدال بين نوح وقومه، فهو يدعوهم للنجاة وتمكين دين الله وهم يدعونه للهلاك وخصوصاً في الفترة التي سبقت الطوفان مع إنه دعاهم ألف سنةً إلا خمسين عاماً فلم يؤمن به الا ثلة قليلة من الناس وكان امرهم عجيباً كلما أنقرض جيل منهم أوصى الجيل الذي بعده بعدم الإيمان بنوح، وكذلك أوصوا بمحاربته ومخالفته فكان الأب يوصي أبنه فيما بينه وبينه أن لا يصدق دعوة نوح أبداً ما عاش فكانت سجيتهم عدم اتباع الحق والإيمان به [٢]، فوصف الله أولئك القوم بأنهم لا يخرج منهم الخير أبداً وكانوا مصداق الآية الكريمة ﴿ **وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[٣] .

و بعد أن يأس نوح (عليه السلام) من تمكين قومه إستخدم أسلوب مغاير للأسلوب الذي كان يتبعه ،إذ استخرج أخطر ما يملكه من سلاح، سلاح المؤمن المغلوب على أمره سلاح المؤمن المُمَكن ألا وهوالدعاءفهو من أكثر الوسائل دفعاً للكافرين وتمكيناً للمؤمنين ودينهم في الأرض حيث قال: (**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**)[٤] وبالطبع فإنه ليس هناك أي مانع من أن تكون الآية تشير إلى كل هذه الأدعية، وإن الله سبحانه وتعالى استجابها بأحسن وجه[٥]وعليه فهو نوع من انواع التمكين القرآني .

فكان هذا بداية الانتصاروالتمكين لدعوة نوح (*عليه السلام*) رغم قلة العدد وخذلان الناصر من الأهل والأقربين، فأوصى الله إلى عبده نوح (عليه السلام) أن أصنع الفلك وكانت هذه وسيلة اخرى للنجاة، فإن عذاب القوم سيكون بالغرق تحت طوفان كبير هادر جبار يدمر كل شيء في طريقه فتغرق الأرض ومن عليها ويُمكّن الله

(١) الميزان: الطباطبائي ، ٢٩/٢٠.
(٢) ظ: قصص الأنبياء : ابن كثير الدمشقي ، ٩٨ .
(٣) سورة نوح : الآية :٢٧.
(٤) سورة نوح: الآيتان :٢٦ ـ ٢٧ .
(٥) الامثل : ناصر مكارم الشيرازي، ١٤/ ٣٤١.

عباده المؤمنين، ولن يرى على ظهر الأرض قطعة يابسة، فاخذ نوح (عليه السلام) بتنفيذ أمر الله ليجمع المؤمنين في تلك السفينة ومعهم بعض الحيوانات [١]

فأسباب الهلاك من المُمكن أن يكون هو الماء الذي كان هو سبب الحياة، فهكذا أراد الله وهكذا قدر أن يُمكن المؤمنين ويهلك الكافرين ، فالإيمان هو الفيصل بين الحق والباطل وليس العدد والعدة وهذا أساس التمكين.

النموذج الثاني :النبي داوود (عليه السلام) :

كان داود عليه السلام عابدا زاهدا فقد أشاد الله تعالى في أكثر من موضع قرآني بعبادته فيه **(عليه السلام)** وخشوعه وإنابته وكثرة تسبيحه فقال: **(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)**[٢]، ويعني بقوله (ذَا الأيْدِ) ذا القوّة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته [٣].

وبنحو ذلك قال أهل التأويل فهو من أعظم المتمكنين الذين عبدوا الله في أرضه أنه من أجل ذلك أعطاه الله ما أعطاه (صلى الله عليه وأله وسلم) أي أعطاه الله الملك والنبوة ومكنة في الأرض وسخر له ما سخر ووهبه ما وهبه .... فكانت عبادته الخالصة لله سبب تمكينه [٤] ، وقليل ما يتكرر هذا الجمع بين النبوة والملك ولا ينالها إلا ذو حظ عظيم ، فقد كان خلق داوود (عليه السلام) وعبادته موضوع إشادة من قبل نبينا (صلى الله عليه وأله وسلم)، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم): أحب الصيام إلى الله صيام داوود وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة صلاة داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (صلى الله عليه وأله وسلم) [٥]، وكذلك قيل أن داوود (عليه السلام) كان إذا تخلل الجبال جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح .. إذ قال في نفسه لأعبدن الله تعالى عبادة لم

(١) ظ: قصص الأنبياء نوح (عليه السلام) : شعبان مصطفى، ٥.د.ط د.ت .
(٢) سورة ص ، الآية : ١٧.
(٣) جامع البيان : الطبري ، ٤٥٤/٧.
(٤) روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء وشيء من أخبارهم : أبي عبد الله محمد العقيقي ، راجعه :أبو عبد الله مصطفى العدوي ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٢ ـ ١٤٢٣ هـ ، ٣٣٥ .
(٥) أخرجه البخاري ، ٣٤٣ ، مسلم ٨١٦ .

يعبده أحد مثلها، وهذه مقدمات تمكينه في الأرض، قال ابن عباس: وكان داوود يفهم تسبيح الشجر والحجر والمدر.. [١] يؤيده قول بعضهم :إن بني إسرائيل كانوا قد تفرقوا قبل مبعث داوود وأقبلوا على ملاهي الشيطان .. فأراد الله عز وجل إصلاح أمرهم فأرسل إليهم نبيه داوود (عليه السلام) كي يهديهم ويرجعهم لجادة الصواب .. لقد كان داوود متمكناً من القراءة يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه (صلى الله عليه وأله وسلم) [٢] .

فكان لا يشغله شاغل عن عبادة الله وكان يؤدي كل ما عليه من صلاة وصيام وحق الله من ذكر وشكر وتحميد وتسبيح وهذا شأن النبي المُمَكّن في الارض، وقد علم الناس ذلك وشهدواله فكانوا يتركونه ولا يطلبون منه شيء في تلك الأيام المحددة للعبادة والتي كانت معروفة عندهم، إذ كان يصوم بين يوم ويوم كما تقدم ذكره إذ هذا أحد أسباب تمكينه في الأرض [٣]، وكذلك كان لا يأكل من بيت المال إذ كان يعتمد في رزقه على كد يده، فقد كان يعمل حداداً يبيع الدروع التي يصنعها، وهذا من فضل الله الذي ألان له الحديد ومكّنه منه وعلمه صنعة لبوس ،(**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**) [٤]،أي علمناه كيف يصنع لكم الدرع لتحرزكم وتمنعكم شدة وقع السلاح[٥]، أي ألهمناه صنعة يعيش بها ومن كدها [٦]، وهذا الأمر عظيم جداً أن توفق للعمل والعبادة وإدارة شؤون الناس وهذا ما أهله لأن يكون مُمَكناً في الارض .

وقد ورد اسم النبي داوود (عليه السلام) في الكتاب العزيز في تسع سور مباركة ، إذ ورد ست عشرة مرة [٧] ، وقد بدأ ذكره وتمكينه (عليه السلام) في سورة البقرة المباركة وسطع نجمه وبزغ في المواجهة الكبيرة بين داوود والقائد العسكري جالوت ، إذ كان داوود (عليه السلام) شاباً في مقتبل العمر من بني

(١) قصص الأنبياء : النيسابوري ، ت ٤٢٧ ، ٣٠١ .
(٢) ظ: نفحات الرحمن تفسير القرآن : الشيخ محمد النهاوندي ، ط١ ، مؤسسة البعثة ـ إيران ، ٤ /٣٩٨ . تفسير الصافي ، ٣ /٣٤٩ ، تفسير روح المعاني ، ٥ /٥٠٧ .
(٣) ظ: مواقف بعض الرسل في القرآن الكريم : الشيخ محمد علي سلامة ، كتاب ألكتروني، ١٤ ـ ١٥ ..
(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٠ .
(٥) الميزان : الطباطبائي ، ٣١٣/١٤.
(٦) فصائح الباطنة : الغزالي ، ط١ ، بلا ت، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ، ١٩٠ .
(٧) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، ٣٣٥ .كتاب ألكتروني .

إسرائيل ،وكان جالوت ملكاً قوياً متمكنناً وقائداً عسكرياً يهابه المقاتلون في سوح القتال ، ولكن الله شاء وما أراد فعل على يد نبيه داوود، فكانت تلك بداية التمكين لداوود في الأرض وأراد الله أن يجعل مصرع هذا القائد الكبير على يد هذا الفتى الصغير كي يثبت أن الطغاة الذين يرهبون الناس هم في الحقيقة ضعاف أمام قدرة الله وقدره[١]، فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت .. وهنا سطع نجم سيدنا داوود فأنعم الله عليه أن مكّنه واعطاه من الملك والنبوة، فهو أحد أنبياء بني إسرائيل المُمَكنين في الأرض ، وكان (عليه السلام) ملكاً وكذلك حاكماً عادلاً في الرعية، أضف إلى ذلك كان مبلغاً لرسالة ربه ولم يشغله الملك عن تبليغ ما أراد الله، فكل ما كان من الملك من عظمة وزينة لم تشغله ولم تكن عائقاً أمامه لتبليغ الرسالة وتمكّينها، وكذلك كان مُلماً في تدبير أمور الرعية، وكان عابداً زاهداً فتمكن أن يوفق بين الاثنين، وقد قسّم حياته (عليه السلام) إلى قسمين، يوم ينظر فيه شؤون الرعية ومتطلباتها، ويوم للعبادة والتفرغ والتقرب إلى الله عز وجل[٢]، ومن امثلة التمكين هو قضاء النبي داوود (عليه السلام) الذي ورد في قوله تعالى :﴿ **إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾ [٣]، وقد نقل العلماء عن الأنبياء لما استشهد طالوت جاء بني إسرائيل إلى داوود فأعطوه مفاتيح خزائن طالوت وجعلوه ملكاً على أنفسهم بعد قتل جالوت بسبع سنوات ، إذ اجتمع بنو إسرائيل على داوود بعد تفرقهم [٤] .

ففي المعيار القرآني أن داوود كان واحداً من جنود طالوت ومن الفئة المؤمنة التي تقاتل بإذن الله ، وعندما قتل داوود جالوت قتله بإذن الله، وحين أتاه الملك والحكمة

(١) ظ: تنزيه نبي الله داوود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات : فتحي محمد الزغيبي ، ط٢ ، ٢٠١٠م ، دار البشائر الإسلامية ، ١٣٦ .
(٢) ظ: مواقف بعض الرسل في القرآن الكريم : الشيخ محمد علي سلامة ، مطبعة استراتر الحديثة ـ مصر، ١٥..
(٣) سورة ص : الاية ٢٢.
(٤) قصص الأنبياء : أبي إسحاق احمد بن محمد النيسابوري بلا ط، ١٤٣٧هـ ، مكتبة الجمهورية العربية ، ٢٩٩.

يقتدى والنبوة كان كل هذا بتدبير الله وإرادته وبإذنه، وهذا واضح في سياق الآيات القرآنية فلم يكن أبداً بدافع شخصي أو عائلي او قبلي أو سياسي أو قتل غلبة أو غدر، كما ذكرت أسفار اليهود لهذه الواقعة في سيرة نبي الله داوود (عليه السلام) [1] .فكان داوود (عليه السلام) ذا مواصفات كثيرة أهلته لتسنم منصب الملك، فقد اعتاد (عليه السلام) على مواجهة الأخطار بشكل مباشر، حيث كان شجاعاً مُهاباً، فكان داوود (عليه السلام) مصداقاً لكلام الله تعالى : (**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**)[2]، جواب داود عليه السلام، ولعله قضاء تقديري قبل استماع كلام المتخاصم الاخر فإن من الجائز أن يكون عنده من القول ما يكشف عن كونه محقا فيما يطلبه ويقترحه على صاحبه لكن صاحب النعجة الواحدة ألقى كلامه بوجه هيج الرحمة والعطوفة منه عليه السلام فبادر إلى هذا التصديق التقديري وعليه (٤)فهذا الخطاب وإن كان لداوود (عليه السلام) لكن المراد به عام يشمل جميع الولاة ومن بيدهم مقاليد الحكم ، إذ أمرهم الله بالعدل والحق والابتعاد عن الأهواء ، وكذلك هو إنذار لمن سلك طريق غير الحق وكان داوود (عليه السلام) قدوةً حسنة ومثالاً لعدل الله في الأرض في ذلك الزمان[3]، هكذا ختم نبي الله سيرته في الملك والنبوة وهكذا وصلتنا الأخبار عنه في القرآن والسنة، وكان نموذجاً به للتمكين في الأرض والجمع بين النبوة والملك، والكد على العيال من أجل قوتهم الذي كان يرزقونه من عمل يده، فهي رسالة موعظة للحكام والملوك.

(١) ظ: بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم : صابر طعيمه ، ط١ ، ١٩٨٤م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ، ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
الميزان ،الطبطبائي ،١٩٣/١٧
(٢) سورة ص: الآية : ٢٦ .
(٣) قصص الأنبياء : السيد نعمة الله الجزائري ، ٦٠٠ .

المطلب الثاني : التمكين المذموم في القرآن الكريم :

قد يتساءل بعضهم عندما يشاهدون بأعينهم تمكين غير المؤمن أين سُنّة الله في إهلاك الكافرين؟ اين سُنّة الله في محقهم؟ لأن تصورنا للوهلة الأولى أن التمكين في الأرض للمؤمنين فقط، لكن لو تدبرنا في القرآن الكريم لوجدنا أن الله يمد لهؤلاء وهؤلاء وأن عطاء الله غير محظور أو مقصور على فئة دون اخرى وهذا وارد في قوله تعالى :(**أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)**[1] و(صلى الله عليه وأله وسلم)الآية تدل على أن هذه الأشياء المعدودة نعما إنما تكون نعمة إذا وافقت الغرض الإلهي من خلقتها لأجل الانسان [2].

فمع أعراض الكفار عن ذكر الله غير أنه مكّنهم من كل شيء وهذا هو الابتلاء الكبير، فالحياة عند الله غير الحياة التي نراها نحن فهي عند الله لا تساوي بعوضةً بل جناح بعوضة (**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)**[3]، فالآخرة هي المرجوة وهي الهدف الأسمى وهي الحياة الدائمة، فتمكين غير المؤمن وارد جداً، وأن كان الأصل هو الابتلاء والاختبار سواء كان للمؤمن أو لغير المؤمن، فالشقي من لم ينجح في الاختباروالتمكين فيبيع الدنيا بالآخرة والسعيد الذي يجمع بين الاثنين فيربح رضا الله والناس في الدنيا والآخرة وهذا ما سنتطرق له من خلال البحث.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[4]، وتتحدث الآيتين عن هلاك الأمم السابقة بسبب ظلمهم وخروجهم عن دين الله واستخلاف وتوارث من بعدهم وابتلائهم بالتمكين لينظر الله ماذا يفعلون وماذا يعملون، فإن آمنوا واستقاموا على دين الله الذي ارتضاه

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٧٨ .
(٢) الميزان : الطباطبائي ، ١٨٠/٥.
(٣) سورة الأنعام : الآية : ٤٤.
(٤) سورة يونس : الآيتان :١٣ ـ ١٤.

لهم وحافظوا على النعم الربانية أدام الله عليهم التمكين في الأرض والتأييد، وإن طغوا وأجرموا حقت عليهم سنة الله وأهلكهم كما أهلك الظالمين الذين كانوا قبلهم، وهذا وعد للمسلمين بالنصر والتمكين ووعد للكافرين بالخذلان والهزيمة ولو بعد حين [١] .

ويرى الطبرسي أن هذا إخبار لما نزل في الامم الماضية وتحذير لهذه الأمة أن تلقى مثل ما لقي الذين من قبلهم من الأمم، فلو تمسك الذين كانوا من قبلهم بما أنزل الله لأبقاهم، ولكن أهلكهم لعدم ايمانهم بالرسل[٢]، و قال صاحب الميزان: أن هلاك الأقوام خبر تاريخي لابد من تصديقهم به، وجعلكم خلائف في الأرض معناه ظاهر وجلي وفيه بيان واضح، وإن سنة الابتلاء والامتحان عامة وجارية(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى الذين تمكنوا من التسلط على الآخرين لكنهم سرعان ما نزلوا عن عروشهم وفي هذا يضرب الله لنا مثلاً في قوم عاد **(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ)**[٤]، والاية ناظرة الى عملية التمكين الذي كان عليه عاد الا انهم لم يوظفو عملية التمكين بالوجهة الصحيحة [٥]، فأخذهم الغرور وتصوروا أنهم أقوى الأقوام وأكثرهم قدرة فاستكبروا على الناس، لكن سنة الله بإذلال المتكبرين جارية فقد أذلهم في الحياة الدنيا، وهكذا هو الحال بالنسبة لمصير بقية المستكبرين فالحياة قصيرة وسرعان ما تزول[٦] .

(١) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار القلم ـ دمشق، ٨٣ .
(٢) ظ: مجمع البيان: الطبرسي ، ١٦٣/٥ .
(٣) الميزان: الطباطبائي ،١٣ /٦٢ .
(٤) سورة فصلت ، الآيتان :١٥ ـ ١٦ .
(٥) تفسير جامع البيان : الطبري ، ٤٧٨/٦.
(٦) ظ: الاستكبار والاستضعاف من وجهة نظر القرآن الكريم : محمد تقي رهبر ، ط١ ، ١٩٨٧م ، منظمة الإعلام الإسلامي ـ إيران ، ٢٣ .

إن الطغيان لدى الفرد والجماعة في التصرفات أمر عظيم وأنه أمر مزلزل للفطرة التي فطر الله عليها الخلق وكذلك، هو أمر مزلزل لقواعد العيش والمعايشة بسلام، ووقوع التكبر والطغيان من قبل الملوك والسلاطين يكون زلزاله أكبر وأعظم؛ فهم المؤتمنون على الخلق جميعاً؛ ولهم اليد في القضاء والمعاملات والعبادات وأن طغيان المتمكنين أمر زائد على الظلم بتجاوز الحد كما في قوله تعالى :(**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**[1]، فالآية تحمل في طياتها أمراً ثقيلاً فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) أنه قال: شيبتني سورة هود[2]

فالآية آمرة بالاستقامة والثبات أمام الطغيان وهذا يحتاج لمزيد من الصبر، فالاستقامة أمر شاق جداً والأمر زاد ثقله حين أمر الله من هم مع رسوله بالثبات وعلى الرسول ((صلى الله عليه وأله وسلم)) أن يهدي جمعاً كبيراً من المؤمنين معه وهنا يكونون عرضة للهجوم من قبل الطغاة والمتآمرين والظلمة[3]، لقد استعرض القرآن الكريم نماذج كبيرة من الأشخاص الذين أمتحنهم الله في التمكين، بعد أن استعرض أمم فشلت في اول اختبار لها وسقطت أمام أول تمحيص فخالفت فطرة الله التي فطر الله عليها الخلق، وكانوا نموذجاً سيئاً لو صح التعبير فكان تمكينهم تمكيناً مذموماً أمثال بني إسرائيل وفرعونهم .

(١) سورة هود : الآية : ١١٢.
(٢) المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري ، ٢/ ٣٧٤.
(٣) مجلة طهران: الدرس الثاني عشر ، الأحد ١٠ مايو ٢٠٢٠.١٢

الفصـــل الثـــاني : انـــواع التمكـــين فـــي القـــرآن الكـــريم

الفصل الثاني : أنواع التمكين في القرآن الكريم

ويتكون من المباحث الآتية ::

المبحث الأول : التمكين السياسي :

المطلب الأول : التمكين السياسي للنبي سليمان(عليه السلام):

ويمكن بيانه عبر الآتي :

أولاً : وراثة سليمان داوود :

الوراثة في اللغة هو الانتقال من شخص إلى آخر أو أشخاص آخرين، وهو يختص بنقل المال من مورثه إلى ورثته، واستُعمل في غير ذلك من باب الاستعارة، مثل وراثة المجد والكرم، فمثل هذا ورث سليمان داوود الملك والعلم وما يقوم به من موجبات الشريعة وأحكام القضاء والوراثة هنا ليس بسبب موت الأب كما يحدث في الانتقال المادي للأموال، بل اختص الله سليمان من دون أخوته فذلك فضل الله يورثه لمن يشاء.. ليكون سليمان مكان أبيه ويحل مكانه في إقامة الشريعة وتنفيذ حكم الله بين الناس[1] .

فإن اختيار داوود لسليمان(عليهما السلام) من بين أخوته وتمكينه من ملك أبيه، وكذلك تمكينه من النبوة كان بتدبير من الله وتنفيذ من داوود؛ لما فيه من مصلحة للدين والناس، ففي الرواية أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها ، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر ، ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع . وأعطي علم كل شئ ، ومنطق كل شئ ، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي ما سمع بها الناس ، وسخرت له فلم يزل مدبرا بأمر

(١) ظ: داوود وسليمان في القرآن والسنة : عباد الطرفي، ٦٧ .

الله ونوره وحكمته ... [١]، ولا يعنينا كثيراً مدة حكمه وتمكينه بقدر ما يعنينا أن نأخذ العبرة من ذلك التمكين في الأرض . .

فقد أكرم الله نبيه سليمان (عليه السلام)وأبيه من قبله بنعم كثيرة، إذ اختصهم بعدد من المعجزات وخير كثير، إذ مكّنهم الله في الأرض وأعطاهم بعد اختبارهم خير الدنيا والآخرة، فلم يكن لأحد أن جمع بين الأمرين سوى سليمان وداوود (عليه السلام)، على الرغم من هذا المُلك لكن سليمان طلب التوسعة فيه؛ كي يعم الرخاء والعيش الكريم أرجاء المعمورة وهذا المنشود من التمكين في الأرض **(وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ)**[٢]، والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله [٣] .

والقرآن الكريم يطلعنا على مشاهد كثيرة للنبي المُمّكن في الأرض مملوءة بالطهارة بما يدحض ما جاء في كتب اليهود من تراث بني إسرائيل، إذ عطلوا عمل النبوة عنده وكانوا يتداولون عن سيرته الطاهرة خلاف ما ذكر الذكر الحكيم، فقد كانوا يذكرون أنه منشغل بعدد الزوجات وما شابه هذا الكلام ولا يعنيه دين الله ولا أمور الخلق ومصلحتهم لكن القرآن الحكيم صور نبيه بصورة العبد المؤمن الذي جمع بين الملك والنبوة وحسن السيرة[٤]، فدافع الله عن نبيه المُمَكن في القرآن الكريم، ونقل لنا سيرته العطرة وكيف كان قال تعالى:**(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ)**[٥]، وهذا الشاهد القرآني يعضد إيمان نبيه (عليه السلام)ويبعد عنه الكفر ويقربه من الإيمان، بل يثبت شوكته وعظيم سيرته[٦].

وبعد أن أوسع الله الملك على سليمان(عليه السلام) بناءً على طلبه فأعطاه ما أعطاه من كثرة الجنود وتنوع أصنافها ما لم يكن لأحد من قبله ولا بعده، إذ أعطاه كل ما

(١) المستدرك: الحاكم النيسابوري ،٥٨٨/٢
(٢) سورة ص : الآية : ٣٥ .
(٣) الميزان : الطباطبائي ، ٢٠٤/١٧.
(٤) ظ: بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم : د. صابر طعيمة ، ط١ ، ١٩٨٤م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ، ٣٤٥ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢.
(٦) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ٢٣٣/١.

يريد ويتمنى، فقد ذكره الله بما أعطاه من نعم وما أسداه عليه من ملك وما له حق التصرف فيه كما يريد (**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**[١] ، فكانت كل مقومات التمكين تحت يده بأمر الله إمكانيات غير مسبوقة لأحد وغير محدودة بحد، وبعد كل هذا الملك منّ الله عليه برفع القيود في التصرف بذلك الملك فلا حساب عليك كيف شئت، وهذا خاص بالنبي الملك وهو بخلاف النبي العبد، فإن النبي العبد لم ترفع عنه القيود في التصرف، فإن شأنه أن لا يعطي شيئاً إلا بإذن الله أو حتى يأذن الله له، وقد خُير نبينا محمد ((صلى الله عليه وأله وسلم)) بين المقامين فاختار المقام الثاني أن يكون عبداً لا أن يكون النبي الملك(صلى الله عليه وأله وسلم)[٢]، فالمقامين وإن اختلفا ظاهراً فإنهما متفقان في المضمون، فالتمكين في الأرض مرة يكون عن طريق المُلك وأخرى عن طريق نشر دعوة الله بين الخلق، إن الملك المُمّكن في الأرض سليمان (عليه السلام)كانت مَملكته ذات الحدود المترامية مزدهرة في كل شيء ومنها العمران والصناعة، فقد أعد الله لها أسباب التمكين في الأرض من الأشياء المادية والخوارق والجن والشياطين، وكذلك النِعم وخزائن الأرض من عين القطران كلها كانت داعمة لبناء تلك المملكة[٣] التي أراد الله من خلالها ومن خلال النبي المُمَكن أن يضرب لنا مثلاً جميلاً في سياسة الملك ْ التي أرادها الله أن تكون بين خلقه ﴿ **وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[٤]، فقد استعمل سليمان (عليه السلام)كل ما أتاه الله من الأسباب في رضا الله وتسييس شؤون الخلق، وكان يملك العدد والعدة والآلات والجنود والجماعات من الجن والإنس والوحوش والشياطين، فالجن والإنس والطير كانت تسير معه في جيشه جنود سيارة وطيارة تظله بأجنحتها من الشمس وبعضها وظفه ليعمل على جمع المعلومات الحربية، إذ تجلب له أخباراً، وبعضها تتبع له مصادر المياه[٥]، فكان كل هذا من فضل الله وسياسة الحاكم العادل بين

(١) سورة ص: الآية :٣٩.
(٢) قصص الأنبياء: ابن كثير ، ٦٢٨ ـ ٦٢٩ .
(٣) ظ: الشيعة والمسجد الأقصى : همام فرحات ، دار المعارف ، بيروت لبنان ط١، بلا.ت، ١١٠.
(٤) سورة النمل: الآية :١٦.
(٥) ظ: ملوك الدنيا الأربعة سليمان (عليه السلام) : منصور عبد الحكيم ، كتاب ألكتروني، ٥٢ ـ ٥٣ ..

الرعية، فوضع النبي سليمان لكل هذه المخلوقات طريقاً واضحاً لم يخرج أحد عنه إلا ونال العقاب، فكان نِعم الحاكم السياسي المتمكن .

ثانياً: الصفات القيادية لسليمان (عليه السلام): .

إن القصص القرآني في الذكر الحكيم وصف لنا أساليب التمكين عند سليمان وكيف كان يراقب ويحاسب من كانوا بإمرته من الرعية، فقد تبين له يوماً ما وفي وقت معين أن أحد جنوده من الطير غائب فهدد بعقابه أمام الجميع؛ حتى يكون ذلك إنذار لبقية الجنود **(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا)**[١]، أي انتف ريشه وألقيه في الشمس ، و(صلى الله عليه وأله وسلم)قيل أن أجعله بين أضداده [٢]، فالعقوبات جاهزة لمن لا يأتي بعذر هكذا هي صفات الحاكم المُمَكن الذي يجعل من العدالة والحزم منهجاً لحكمه .

ومن صفاته أيضاً التواضع على الرغم من أنه حازماً لكن كان متواضعاً مع من هم تحت قيادته، فقد كان يتكلم مع النملة في حوار نقله القرآن الكريم ملؤه التواضع **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[٣]، وفي هذه الاية الكريمة تتجلى ابها صور التمكين الالهي الممدوح الذي قابله نبي الله سليمان (عليه السلام) بالتواضع والشكر على النعمة [٤]، وأرسل إلى النملة فلما أتى بها قال : (صلى الله عليه وأله وسلم) يا أيتها النملة أما علمت أني

(١) سورة النمل ، الآية :٢١.
(٢) قصص الأنبياء والمرسلين : السيد نعمة الله الجزائري ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، مؤسسة الأعلمي ، ٣٤٩ .
(٣) سورة النمل: الآية : ١٧ ـ ١٩ .
(٤) الميزان : الطباطبائي ، ١٥/ ٣٥٣.

نبي؟ وأني لا أظلم أحد ؟ قالت النملة: بلى ، قال سليمان: فلم حذرتهم ظلمي ؟ قالت: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن ذكر الله تعالى ذكره ...)[١] .

وكلما كان القائدُ متواضعاً رفع الله مقامه في الدنيا والآخرة، ومن أراد التمكين وسعى له كان التواضع أحدى سماته كي يستمر ملكه، فلما ذكرته النملة بنِعم الله عليه من الملك العظيم الذي شُيد على الريح والجن يعملون له ما يريد وما يطلب، وكذلك علمه بمنطق الطير وغيره، فهذا النوع من الملك والتمكين هو أعلى ما يتصوره الإنسان وما ينشده، ولكن سليمان لم ينسه ذلك الملك عبوديته لله وذكر النعمة التي أنعم الله عليه وعلى والده [٢]، وهذا أفضل الأدب مع رب الملك، وكذلك من صفات النبي سليمان (عليه السلام) أنه كان متأنياً في القرار، فكان كثير التريث قبل أن يصدر الأحكام بحق الآخرين من رعيته، فالموضوعية والمنهجية في الحكم والقضاء عند سماع الأخبار هو عدم التسرع في قبولها، فذلك يُعد سذاجة فلا ينبغي تصديق كل ما يقال فلابد من الحذر، وكذلك تكذيب الأخبار الواردة يُعد جهلاً فلابد للإنسان بشكل عام وللقائد المُمَكن أن يحمل الأخبار محمل الجِد ويعززها بالدليل وينقحها جيداً، **(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)**[٣]، إذ جاء الهدهد يخبر عن وجود بلاد عجيبة غريبة، فلم يعجل القائد السياسي المُمَكن هنا ونضحت رجاحة عقله واتزانه وحسن تصرفه دون تعجل أو اندفاع ، فقد أنتظر كي يتأكد من صحة الخبر ولم يكذب ما جاء به الهدهد[٤]، فلما سمع سليمان (عليه السلام)من الهدهد نظر في الكلام الذي أخبربه الهدهد؛ لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم وقد يكون منهم بالقرابة التي بينه وبينهم ، ثم أمر سليمان الهدهد بالذهاب إليهم [٥]،

ويتضح مما سبق رجاحة العقل لسيدنا النبي سليمان(عليه السلام) بحزمه اتجاه المقصرين من رعيته والتريث وعدم إصدار الأحكام إلا من خلال الدليل وسعة

(١) علل الشرائع: أبي جعفر محمد بن علي القمي ، دار المتقين ، ١ / ٧١ .
(٢) تفسير الميزان: الطباطبائي ، ٦ / ٢٨٥ .
(٣) سورة النمل: الآية :٢٧ .لا
(٤) ظ: سليمان (عليه السلام) في القرآن الكريم : همام حسن يوسف ، ١٥٩ .
(٥) ظ: التبيان : الطوسي ، ٨ / ٩١ .

صدره وحمل الآخرين على ظاهرهم وترك ما يبطنون، وكذلك عدم الاغترار بالقوة التي كان يملكها فكان نِعم القائد السياسي المُمكن في الأرض .

ثالثاً : العلاقات الخارجية في دولة النبي سليمان (عليه السلام):

لم يتحدث القرآن الكريم عن علاقة النبي سليمان(عليه السلام) السياسية مع ملوك الدول المجاورة لمملكة سليمان لكن اكتفى بتصوير تلك العلاقات مع الدول والممالك المجاورة من خلال وصف العلاقة بينه وبين مملكة سبأ، فلم يخبرنا القرآن الكريم عن علاقته مع ملوك الشام ومصر والعراق، بينما تحدثت التوراة عن علاقته مع يجرام ملك صور، وكذلك مع أحد ملوك مصر الذي تزامن حكمه مع حكم النبي سليمان، إذ أنها قالت: أنه قد عزز ملكه أي سليمان(عليه السلام) بالزواج من ابنة فرعون، وقالت كذلك أن فتوحاته قد وصلت تدمر وحماة أضف إلى ذلك أن جيشه وصل فلسطين ولبنان[١] .

إن علاقة النبي المُمَكن سليمان(عليه السلام) مع الدول المجاورة لم تكن مبنية على أساس التوسع في الملك أو الغلبة من أجل مكاسب دنيوية ضيقة، فقد كان الهدف الرئيس هو نشر دين الله في الأرض وقهر الملوك الذين لم يكونوا على هدى، وهذا سبب طلب سليمان للملك، وفي حديث طويل أن سليمان(عليه السلام) كان يخرج صباحاً يتصفح وجوه الأغنياء والإشراف حتى إذا جاء إلى المساكين جلس معهم .. وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده وإنما سأل الله الملك ليقهر ملوك الكفر)[٢].

فسياسة قهر ملوك الكفرالمُمَكنين كانت واضحة في قصة سليمان مع ملكة سبأ، والقهر قد يكون من خلال السيف إن لم يكن للحوار نتيجة سياسية، وكان الفيصل بينه وبينها هو الإيمان بالله، فقد استطاع النبي سليمان (عليه السلام)من خلال ما يملكه من سياسة أن يجعل من الملكة بلقيس ملكة سبأ تؤمن بالله بعد أن كانت من عبدة الكواكب والنجوم، من خلال الكتب التي أرسلها سليمان إلى تلك الملكة استطاع أن يجعلها هي

(١) ظ: سليمان صرخة في وجه الخرافة التوراتية : د. حسن الباش ، ط١ ، ٢٠١٠م ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٥٦ .
(٢) قصص الأنبياء: نعمة الله الجزائري ، ٣٣٧ .

ومن معها على دينه[١]،فأرسل لها وطلب منها الحضور صاغرة أو يأتيها بجنود لا قبل لهم بها قال تعالى : (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)**[٢]، والاية في المنظور الاسلامي تشير الى حجم وعظمة التمكين الالهي لسليمان[٣] وهذا مختلف عن ما جاء في التوراة على أنها أتت بإرادتها فسياسة سليمان الحازمة والقوية وتخييرها بين السلم والحرب هو من جاء بها ومن معها تحمل الهدايا لسليمان، إذ كان همه الوحيد أن تترك عبادة الكفر وتدخل في عبادة الله، وكانت هي تحاول أن تعدله بتقديم الهدايا له كي يحد عن ذلك، ولكن ما أعطاه الله من ملك جعله لا ينظر لما يُقدم له، فذكر عن ملكة سبأ أنها أرادت أن تعرف هل أن سليمان نبي أم ملك، فإن كان ملكاً يميل إلى الدنيا فيقبلها، وبهذا يمكننا مواجهته، فبعثت له حقيبة فيها جوهرة عظيمة ... قال سليمان (عليه السلام)لرسولها: ما أتاني الله خيراً مما أتاكم[٤]، من خلال رد الهدية التي كانت من الملكة عرفت بأنه نبي لا ملك، فبهذه السياسة يضع النبي سليمان (عليه السلام) قاعدة للملوك والأمراء أن المال لا يكون بديل للدين أبداً .

وجاء في تفسير الأمثل أن رسل ملكة سبأ خرجوا بقافلة من الهدايا وتركوا اليمن وراءهم قاصدين مملكة سليمان في بلاد الشام معتقدين أنه سيكون مسروراً بهذه الهدايا وأنه سيرحب بهم لكن ما إن دخلوا حدود ملك سليمان حتى دهشوا، مضاف إلى ذلك أن سليمان لم يستقبلهم ولم يكترث بهم ولا بما كان معهم من هدايا، فكان جوابه أتمدوني بمال ؟ وقد أتاني الله خيراً مما أتاكم ؟ فما قيمة المال إزاء ما أملكه من مقام النبوة والتقوى والعلم بل أنتم الذين تفرحون بمثل هذه الهدايا [٥]، ومن مظاهر التمكين الأخرى هي قصة استحضار عرش بلقيس فقد ذكرت هذه القصة في القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**[٦] كلام تكلم به بعد الهدية وإرجاع الرسل، وفيه إخباره أنهم سيأتونه

(١) ظ: الملكة بلقيس التاريخ والأسطورة والرمز : تقديم جبرا إبراهيم جبرا ، بلا ط ، بلا.ت ، ٤٤ .
(٢) سورة النمل ، الآية :٣٧ .
(٣) التبيان : الطوسي ، ٩٥/٨.
(٤) قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري ، ٣٤٧ .
(٥) تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ١٢ / ٦٤ .
(٦) الميزان ،الطبطبائي ،٣٦٢/١٥

مسلمين وإنما أراد الاتيان بعرشها قبل حضورها وقومها عنده ليكون دلالة ظاهرة على بلوغ قدرته الموهوبة من ربه ومعجزة باهرة لنبوته حتى يسلموا لله كما يسلمون له ويستفاد ذلك من الآيات

وعلى هذا الفهم المتقدم لا يمكن لنبي مُمَكن في الأرض أو سياسي أن يقدم المصلحة الشخصية على مصلحة الدين فالدين مقدم على الملك، فرجع رسول ملكة سبأ فأخبرها بقوة سليمان فعلمت أنه لا محيص لها، فارتحلت وخرجت نحو سليمان[1]، فبهذا تحققت العزة للدين والظفر للحاكم السياسي المُمَكن نبي الله سليمان(عليه السلام).

لكن للمُلك أجل وينقضي ولم يبقَ إلا الذكر الحسن و للخلافة وللسياسة طور ثم يأتي من يحل محل الملك ويسوس أمور الخلق، أما برضى الله وتوفيقه أو بغير رضاه، وقد أخبرنا القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة نهاية حكم الحاكم المُمَكن في الأرض الذي ساس العباد بما يريده الله عز وجل فكانت نهايته مختلفة عن نهاية الملوك والحكام الآخرين، فقد ذهب وبقي ذكره الحسن الذي تشرفنا بأن نمر على شيء منه **(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى ...)**[2]، قال ابن كثير يذكر الله تعالى في القرآن الكريم كيف مات سليمان والكيفية التي كان عليها وكيف أن الجن لم تعلم بموته فإنه مكث متوكئاً على عصاه وقد علم أنه قد مات بعد مدة من الزمن [3]، وفي النهاية فإن هذا الأمر القرآني يتناول سيرة الأنبياء ويكشف لنا بوضوح المهام المختلفة والجليلة التي قدموها الأنبياء في الجانب السياسي والدعوة إلى الله عزوجل[4]، فنفذوا سياسة الله في أرض الله ، وعلى خلق الله فكانوا خلفاء لله في أرضه ، وقد كان هذا الذكر الحكيم كان شاهداً على عملهم ينزههم مما قالوا عنهم في الكتب الأخرى .

(١) ظ : قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري ، ٣٤٧ .
(٢) سورة سبأ: الآية :١٤ .
(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: إبن القيم ، ٣٦٣ ، كذلك ابن كثير ، ٣ / ٤٩٥ .
(٤) ظ: بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم : صابر طعيمة ، ط١ ، ١٩٨٤م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ، ٣٤٥ .

المطلب الثاني : التمكين المذموم طغيان وكفر (لفرعون):

افتتح القران الكريم الحديث عن الحاكم الطاغية في الأرض فرعون وعن سياسته في الأرض حين قال تعالى : (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**)[١] ، فقد تكبر وعلا في أرض وادي النيل أرض مصر واتبع سياسة التفرقة بين أهلها، فجعلهم جماعات إستضعف جماعة منهم أي بني إسرائيل من نسل يعقوب(عليه السلام)، وهذه كانت الخطوة الأولى في منهجه السياسي، ثم اتخذ خطوات أخرى مثل القتل والذبح وذبح الأبناء واستحياء النساء[٢] .

وقد فرّق أولاً بين بني إسرائيل والقبط والمعنى في جعل أهلها شيعاً أي كان يكّرم قوماً ويذل قوماً آخرين بالاستعمال في الأعمال الشاقة والاستعباد، وقتل الأبناء والإبقاء على البنات فلا يقتلها[٣]، فأصبح الطغيان مظهراً من مظاهر سياسية فرعون حين إستعمل البطش من أجل دفع معارضيه الذين لا يعتقدون بسياسته المبنية على تأليهه لنفسه؛ وذلك لأن بعض بني إسرائيل كانوا على دين التوحيد، فكان يهدف من وراء هذه السياسة القضاء على كل من يحاول التقرب من مصالحه، واتخذ ضد معارضيه إجراءات غير إنسانية وتعسفية بحق أبناء جلدته تهدف للحد من تكاثرهم من جهة، وتحويل حياتهم حزناً وألماً من جهة أخرى[٤]لقد تعمد فرعون إستغفال المجتمع من أجل السيطرة عليه ، وهذه أحد وسائل الطغاة ومنهجياتهم اتجاه الشعوب، وهي وسيلة لتثبيت نظام الحكم الذي يريده فرعون، فإن استخفاف الطغاة بالجماهير سياسة أصبحت معلومة وواضحة ومتبعة، فهم يحجبون جمهورهم عن كل

---

(١) سورة القصص ، الآيات : ٤ ـ ٦ .
(٢) تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ط١ ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الهادي ـ قم ـ إيران ، ٤ / ٨٠ .
(٣) ظ: مجمع البيان : الطبرسي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ٧ / ٤١٣ .
(٤) ظ: المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (عليه السلام) وفرعون مقارنة عقائدية : د. زاهية راغب الدجاني ، ط١ ، ١٩٩٨م ، دار التقريب بين المذاهب ـ بيروت ـ لبنان ، ٤٤ ـ ٤٥ .

وسائل العلم والمعرفة، إذ أنهم يمنعونهم من معرفة الحقائق حتى يسهل عليهم أي الطغاة الاستخفاف بهم وتسهيل قيادتهم[١]، فالإشارة إلى الفرعنة لا تعني ربما بالضرورة شخصاً معيناً بل أصبحت ظاهرة كما وصفها القرآن الكريم من أن فرعون واتباعه تيار طاغوتي استكباري حاكم ، تيار كان قد تجبر طيلة فترة حكمه يستخدم سياسة التفريق والبغي والضلال[٢]، وقد آثر فرعون ومن معه الحياة الدنيا على الحياة الآخرة، وكان ذلك خيار أهل الأرض ممن كان همهم الدنيا وزينتها[٣]، الذين كانوا مُمَكنين وذو سلطة سياسية فقد استطاع فرعون أن ينفذ سيطرته على قومه، وحتى لا تجتمع كلمتهم وبذلك ضعّف عامة قوتهم وقدرتهم على مقاومته بتفضيل جماعة على جماعة أخرى من بني إسرائيل [٤]،[٥] .

كان فرعون لا يبالي في استخدام أي وسيلة من شأنها الوصول إلى مراميه وأهدافه السياسية والتي تصب في النهاية بتزويد نظام حكمه السياسي بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد أنتجت تلك الوسائل التي كان يستخدمها عن نظام سياسي قوي متين من الناحية المادية، فالقهر تارة والترغيب تارة أخرى، فاستخدم العصا وشراء الذمم[٥]، من أجل إدامة أركان حكمه وترسيخ أوتادها، فكانت المناصب السياسية لمن يواليه فلهم الدرجات الرفيعة والتي كانت في الغالب للقبطيين، أما المعارضين من بني إسرائيل فكان يذبّح أولادهم ويترك النساء والبنات ليستخدمهن في خدمته[٦]، وظل بنو إسرائيل يعانون من سياسة فرعون اتجاه من لم يؤمن منهم به، حتى أنهم صبروا كثيراً قبل أن ينفد صبرهم اتجاه تلك السياسات الظالمة فذهبوا إلى نبيهم وطلبوا منه أن يجد لهم بلداً غير الذي هم فيه[٧]، ، فقد أحاطت بهم إمكانيات فرعون ذلك السياسي الطاغي، والذي ملأ الأرض التي كانت تحت سيطرته السياسية رعباً وهو ينفذ فيهم

(١) ظ: شخصية فرعون في القرآن الكريم : قاسم توفيق قاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٣م ، ١٣٢ .
(٢) ظ: الاستكبار والاستضعاف من وجهة نظر القرآن الكريم : محمد تقي رهبر.كتاب ألكتروني ، ٢٤.
(٣) ظ: ١٠٠ قصة من نهابة الظالمين : هاني الحاج ، ٥٤ .
(٤) الميزان: الطباطبائي ، ٦ / ٨ .
(٥) ظ: شخصية فرعون في القرآن الكريم : قاسم توفيق قاسم ، ١١٨ .
(٦) ظ: إرشاد الأذهان الى تفسير القرآن: محمد السبزواري ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، دار التعارف للمطبوعات ـ لبنان بيروت، ٣٩٠ .
(٧) ظ: قصص بني إسرائيل في القرآن والتوراة والتلمود : بكر محمد إبراهيم ، ٤٥ .

سياسة القتل والاستضعاف محاولاً القضاء عليهم، وهذا ظاهر الأمر لكن باطنة كان مختلفاً تماماً فإرادة الله كانت لها كلمة أخرى[١]، وكذلك كان الظلم والاستكبار واضحاً جداً في سياسة فرعون ونظام الحكم في تلك الدولة الذي تدار من قبله، والفتنة التي اختارها لتكون معه والتي هي الأخرى تقع تحت نفوذه ، إذ كانت السلطة التشريعية والتنفيذية موالية له ولما يريده وما يمليه عليهم تنفذ حالاً كل ما يصدر منه دون نقاش، وكذلك كان الجيش هو الحامي للحاكم الفرعوني بالرغم من علمه بالسياسة الظالمة التي كان يتبعها فرعون[٢].

وقد ذكر الله عز وجل في الذكر الحكيم إن فرعون قال: **(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)**[٣]، وهذا أعلى درجات الطغيان والغرور والعظمة إذ لا يرى نفسه إلهاً فقط بل يرى لا إله غيره لما قال فرعون: يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيري قال جبريل(عليه السلام): يا رب طغى عبدك فأذن لي في هلاكه قال: يا جبريل هو عبدي ولن يسبقني له أجل قد أجلته حتى يجئ ذلك الأجل[٤]، فقد أمهله الله كثيراً ووطّد أركان حكمه ليملي له ولمن معه، وقد وصفه الله في كتابه الكريم أنه كان ذو أوتاد، فقيل سمي بذلك لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، وهذا دليل على إمكانياته السياسية والعسكرية الكبيرة، وقيل أن الأوتاد هي : التي كان يعذب الناس بها ويشدهم إليها إلى أن يموتوا، وقيل أن معنى الآية ألم تر كيف فعل الله بذلك الفرعون المقتدر سياسياً الذي كان لديه أوتاد أي ما يثبت به، إذ كان يملك كل ما يثبت به نظامه السياسي، وكذلك من معاني الأوتاد هو كناية عن قدرة واستقرار الحكم[٥] .

وجاء في تفسير الميزان أن ذا الأوتاد هو فرعون على ما في بعض الروايات أنه كان إذا أراد أن يقوم بتعذيب رجلاً مخالفاً له في سياسته بسطه على الأرض ووتد يديه ورجليه بأربعة أوتاد وربما بسطه على خشب وفعل به ذلك الفعل، وهذا يؤيده ما

(١) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ٦ / ٩ .
(٢) ظ: المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون : زاهية الدجاني ، ٣٦ .
(٣) سورة القصص: الآية : ٣٨ .
(٤) تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي ، ط١ ، ١٢٧٨هـ ، القاهرة ، ١ / ٣٩٠ .
(٥) ظ: تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ٢٠ / ١٨٣ .

حكاه الذكر الحكيم من قول فرعون عندما هدد السحرة بأن يصلبهم على جذوع النحل ... حيث أنه كان يوتد المصلوب على خشبه الصليب[١] ،وواضح مما تقدم أن شخصية فرعون تحمل كل معاني الشخصية الطاغية ذات السياسات القمعية، وهذا ما ابتليت به الشعوب قديماً وحديثاً .

لقد غابت عن فرعون ومن أحاط به من فريقه السياسي حقيقة جلية وواضحة وضوح الشمس في غفلة منه، ومن معه أن الحياة دار الغرور وأنها ذات أمد قصير جداً محدود بأجل تخدع من ركن إليها ، وقد طغى فرعون وتغطرس وآثر المُلك الزائل على المُلك الدائم وسلّط طائفة على طائفة من أجل أن يتمكن منهم ويتمكن عليهم [٢] ، إلى أن جاء أمر الله في زوال ذلك التمكين للحاكم الظالم الطاغي في سياسته قال تعالى: **(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)**[٣] ، وقد أخذ الله فرعون والذين معه من جنود وملأ من الذين كانوا يحيطون به فجمعهم وطرحهم في البحر وأغرقهم، والنبذ هنا بمعنى الإلقاء(صلى الله عليه وأله وسلم)(٤).

فقد كان مستكبراً هو وجنوده وقد ساسوا الناس بغير الحق وبغير استحقاق وظنوا أنهم باقين مخلدين وليس لهم رجعه إلى الله، فما كان من الله إلا أن يأخذهم وينبذهم في ذلك اليم، إذ كانوا أئمة ضلال يدعون إلى النار من خلال تلك السياسة الدنيوية التي كانوا عليها فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين[٥]، ولم ينفعه من كان معه وما نفعه ما كان لديه من جنود وأموال كبيرة فَهزم كما هُزم الذين من قبله وتركوا ما كانوا يجمعون من مال وسلاح وسلطان ومقام كريم أي مقام سياسي[٦]، وتركوا كل هذا لأنهم خالفوا إرادة الله واتخذوا سياسات ظالمة، فهلاك فرعون ذلك الحاكم الطاغي

(١) ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي ، ١٠ / ٢٨١ .
(٢) ظ: ١٠٠ قصة من هلاك الظالمين : هاني الحاج ، ٥٤ .
(٣) سورة القصص: الآية : ٤٠ .
(٤) التبيان : الطوسي ، ٨ / ١٥٣ .
(٥) ظ: تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ٤ / ٩١ .
(٦) ظ: تفسير مجمع البيان : الطبرسي ، ٩ / ١٠٨ .

دليل على ضعف جانب الباطل وحقيقة رسالة موسى[١]، فالمستضعفين بعين الله وهو الذي يدبر أمورهم وهو الذي وعدهم بأن يمّن عليهم بأن يمكنّهم في الأرض ولو بعد حين، فقد هزم فرعون في حينه وسيهزم مستقبلاً من يسير على سياسته اتجاه الناس وهذا وعد من الله .

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[٢]، وهذه منّة الخالق المدبر وللمنّة معاني عدة ما يتناسب مع البحث منها : هي النعمة الثقيلة وتمّن عليه أي أثقل عليه بالنعم ومعنى الآية أي تعطيهم ما يثقلهم من نعمة(صلى الله عليه وأله وسلم) [٣] .

فهذا كان حال فرعون وقد ذهب ومَنّ الله على الذين استضعفهم بنعم كثيرة ولا زال هذا الخطاب قائماً للمستضعفين في الأرض، يقول القمي : كانت هذه الآية بمقام التعزية لرسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) فيما يصيب أهل البيت (عليهم السلام) من أمته، ثم تأتي البشارة بأن يجعلهم خلفاء في الأرض، وهذا واضح في قوله منهم حيث لم يقل منه أي من فرعون، فالخطاب كان موجهاً إلى رسول الله محمد ((صلى الله عليه وأله وسلم)) وما بعده من الأئمة[٤]، فسياق الآية يوحي باستمرار منّة الله وعدم انقطاعها عن المؤمنين وتمكينهم في الأرض وجعْلهم قادة ينفذّون سياسة الله في عباده بعد هلاك الظالمين أمثال فرعون ومن سار على نهجه من الأولين الذين سبقوه والآخرين الذي ساروا على طريقه، فتمكين غير المؤمن لابد أن يزول حتى وإن تأخر ، وتمكين المؤمن إنما جاء بالوراثة بقوله تعالى:**(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)**[٥]، والتعبير كانوا يستضعفون إشارة إلى الظلم السياسي الذي كان يمارسه فرعون ضد أبناء جلدته فهم في حالة ضعف دائمية ضعف فكري واقتصادي وسياسي ...[٦]، وفي

(١) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ٢٠ / ١٨٧ .
(٢) سورة القصص ، الآية : ٥ .
(٣) تفسير الميزان : الطباطبائي ، ٦/ ٩ .
(٤) ظ: تفسير القمي : علي بن إبراهيم ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ ، قم ، ٢ / ١٣٣ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨ .
(٦) الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٥ / ١٨٤ .

المقابل كان فرعون يدعم من كان معه من القبطيين لكن الله مكن المستضعفين فأورثهم وحكم لهم بالتصرف بعد هلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم مشارق الأرض ومغاربها والتي فيها جنات الأرض ويراد من أقصى ملك فرعون وسلطانه وسيطرته السياسية من أقصاه إلى أقصاه[١]، وقيل أن المراد بالأرض هي أرض الشام وفلسطين ، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن قوله تعالى: (صلى الله عليه وألـه وسلم) التي باركنا فيها فإن الله سبحانه لم يذكر البركة إلا في الأرض المقدسة والتي هي فلسطين إلا ما وصف به الكعبة المباركة [٢]، لكن بني إسرائيل لم يستضعفهم أحد إلا فرعون وإن فرعون لم تكن له سلطة سياسية إلا في حدود مصر فغير جائز أن تكون الأرض التي باركنا فيها الشام أو فلسطين[٣]، فأينما كانت حدود سلطة فرعون السياسية والعسكرية قد أصبحت من عِبر الماضي ، وقد دمر الله كل ما كانوا يعرشون، وكان هذا سوء تدبير للإمكانيات السياسية التي كانت لديه مما أدى إلى فشله في الاختبار الذي اختبره الله .

المبحث الثاني : التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم:

تطرق القرآن الكريم للجانب الاقتصادي في أكثر من موضع؛ كونه هو الجانب المهم في حياة الخلق وهو عصب الحياة وفي المقابل منّ الله على جميع مخلوقاته بأن وفر لهم جميع المقومات الاقتصادية وما على الإنسان إلا التدبر وتوزيع تلك الإمكانيات بشكل عادل، إذ أن القوة الاقتصادية تعد في الوقت الحاضر وفي كل الأوقات ركيزة مهمة من ركائز إقامة الدولة ولا نبالغ إذا قدمناها على باقي القوى؛ لأن كل أنواع القوى تنطلق منها واليها وما نشهده اليوم من نمو كبير وتنافس على الموارد الاقتصادية إنما هو تنافس على مراكز القوة[٤]؛ لذلك أهتم الإسلام بهذا الجانب اهتماما كبيراً تشرف البحث بأن يكون التمكين الاقتصادي للنبي يوسف(عليه

(١) ظ: مجمع البيان : الطبرسي ، ٤ / ٣٤٣ .
(٢) تفسير الميزان : الطباطبائي ، ٨ / ٢٣٣ .
(٣) ظ: جامع البيان : الطبري ، ١٠ / ٤٠٤ .
(٤) ظ: التكامل الاقتصادي والسوق الإسلامي المشتركة : أ.د يوسف إبراهيم يوسف ، مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ـ جامعة الأزهر ـ مصر ، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرين ، ١ .

السلام) جزءً منه، وكذلك أخذ العبرة والحيطة والحذر من تمكن غير المؤمنين من هذا الجانب؛ لما له من مردودات اقتصادية على الدول الإسلامية وغير الإسلاميةوهذا ماسنتطرق له في المبحث القادم .

لقد وردت في سورة يوسف(عليه السلام) أبعاداً كثيرة أبرزها البعد الاقتصادي الذي يتطابق مع حال السوق اليوم، فقد بيّن كيف يساير الإنسان الحياة الاقتصادية كونه الخلفية في أرض الله فالأبعاد الاقتصادية في قصة يوسف (عليه السلام)تبيّن أن الإسلام قد وضع قوانين التجارة قبل أن يضع الاقتصاديون الغربيون قوانينهم[١]، ولكي تتضح صورة المبحث فلابد من المرور بهذين المطلبين :

المطلب الأول: التمكين الاقتصادي للنبي يوسف(عليه السلام):

من الواضح جداً في قصة النبي يوسف (عليه السلام)هو التمكين الاقتصادي والتخطيط الذي يكون احد صور اللبنات الأولى للاقتصاد الإسلامي مبنية على أساس كتاب الله وهدى أنبيائه (عليهم السلام)، فإن دراسة التاريخ الاقتصادي للأمم الغابرة له أهمية بالغة في حاضرنا هذا،لأنه يحتوي على تجارب وخبرات الأولين والتي من شأنها إيضاح كثير من جوانب الحياة الاقتصادية المختلفة[٢]، لقد وردت إشارات عدة في قصة يوسف (عليه السلام) نستكشف منها ما كان عليه الوضع الاقتصادي في مصر والدول المجاورة لها وفي قول إخوة يوسف يلتقطه بعض السيارة(صلى الله عليه وأله وسلم) كان توقع إخوة يوسف بمرور قافلة على مكان البئر تأخذ يوسف في طريقها إلى مصر لم يأتِ من فراغ؛ فهم يسكنون على طريق القوافل بين مصر وفلسطين ويشهدون التبادل الاقتصادي والتجاري المستمر ومن المحتمل أن تمتد تلك القوافل إلى ما بعد فلسطين؛ لأنها لم تكن على شيء من التحضر الاقتصادي الذي يغري القوافل وشراء يوسف بثمن بخس وهو دليل آخر على رواج بيع وتجارة العبيد

(١) ظ: أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم : م. فيان صالح علي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة صلاح الدين ، العدد ١٣ ، ٢٠١٣م ، المجلد السابع ، ٤٠٣ .
(٢) التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم ـ المنهج الاقتصادي في التخطيط للنبي يوسف (عليه السلام) : نواف صالح الحليسي ، ط٤ ، ١٩٩٤ ، ٢٥

في مصر وهناك لمحة أخرى على التمكين الاقتصادي لمصر من خلال بناء الأهرامات وعدد الأبواب في قصر الملك دليل على السعة والفخامة وهذا تلميح خفي على ثراء القوم والوضع الاقتصادي الجيد، وكذلك مجالسة زوجة الملك مع النسوة على مائدة الطعام الفاخرة هي دليل على التمكن الاقتصادي[١]، لكن للقحط وانقطاع الموارد الاقتصادية كلام آخر يحتاج معه مثل هذا البلاء إلى من كان ذو إمكانيات مسددة من السماء لتخطي هذه الازمة.

فما كان من ملك مصر إلا أن يبحث عن رجل يمتلك تلك الإمكانيات فجاءه خبر ذلك السجين الذي لديه كثير من المميزات فقال لمن حوله: **(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)**[٢]، لما ثبت للملك براءة يوسف وأمانته وحسن تصرفه أمر بأن يكون من خاصته ومستشاريه بل أعطاه الحرية الكاملة في التصرف وفوّض إليه مملكته عبر تمكينه : **(مَكِينٌ أَمِينٌ)**[٣]، أي إنك اليوم ذو مكانة عالية ووجاهة وتملك حرية التصرف بالملك[٤] فلما تمكن يوسف(عليه السلام) سارع على الفور إلى طلب الولاية حيث قال :**(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ)**[٥]، وهذا الطلب بالتأكيد لمصلحة عامة للبلد؛ لأن الأنبياء ليس لديهم مصلحة خاصة في سلطة أو ملك وما سيحصل على يده هو خير للجميع فلم يكن هذا الطلب من باب الإمارة التي نهى عنها الشارع المقدس وكذلك أنه عَلِم من حال القوم لانه لايمكن لأحد أن يقوم بهذه المهمة الصعبة غيره[٦] .

فلما عهد الملك ليوسف بأنه مَكين وأطلق في القول ما كان من يوسف إلا أن يسأله بأن ينصبه في مكان تكون الغاية منه حفظ مؤنة الناس، فطلب أن يكون على خزائن

(١) ظ: سلسلة القصص القرآني ـ سورة يوسف دراسة تحليلية : د. احمد نوفل ، ط١ ، ١٩٨٩م ، دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن ، ٨٠ .
(٢) سورة يوسف: الآية : ٥٤ .
(٣) سورة يوسف: الآية : ٥٤ .
(٤) الميزان : الطباطبائي ، ٢٠٠/١١.
(٥) سورة يوسف: الآية : ٥٥ .
(٦) ظ: روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين : أبي عبد الله محمد العفيفي ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، دار الفاروق ـ القاهرة ، ٢٢٣ .

الأرض والمراد بالأرض أرض مصر[١]، فوافق الملك على إعطاءه ذلك المنصب وشرع يوسف إلى وضع خطة وبرنامج عمل يكون على مراحل متعددة يبرهن من خلالها على امكانياته الاقتصادية من أجل أن يثبت للجميع أن يستحق تلك المكانة وكانت تلك الخطة على وفق رؤيا الملك وتأويلها وكانت مدة الخطة أربعة عشر سنة تكون على مرحلتين كل مرحلة سبع سنوات لمواجهة الازمة الاقتصادية المتمثلة بالقحط فكانت المرحلة الأولى هي سنين الرخاء والوفرة الاقتصادية **(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا)**[٢]، والمرحلة الثانية سنين الجفاف والقحط **(ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ)**[٣]، ثم وضع الخطة التي تنقذ اهل مصر وتظهر التمكين الاقتصادي للنبي يوسف بقوله تعالى : **(فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ)**[٤] وجدناه لم يبن كلامه على أساس اخبارهم بما سيستقبلهم من السنين السبع المخصبة ثم السنين السبع المجدبة ولو أنه أراد ذلك لكان من حق الكلام ان يقول مثلا يأتي عليكم سبع مخصبات ثم يأتي من بعدها سبع شداد يذهبن بما عندكم من الذخائر ثم إذا سئل عن دفع هذه المخمصة وطريق النجاة من هذه المهلكة العامة قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلى آخر ما قال(صلى الله عليه وأله وسلم)[٥] بل بنى كلامه على ذكر ما يجب عليهم من العمل وبين ان امره بذلك توطئة وتقدمة للتخلص عما يهددهم من المجاعة والمخمصة وهو ظاهر وهذا دليل على أن الذي رآه الملك من الرؤيا انما كان مثال ما يجب عليه من اتخاذ التدبير لانجاء الناس من مصيبة الجدب وإشارة إلى ما هو وظيفته قبال مسؤوليته في أمر رعيته وعند تنفيذ الخطة السبعية الأولى كان يوسف(عليه السلام) ينفّذ تفاصيل الخطة بنفسه وبشكل مباشر وهو المسؤول الأول أمام الله والملك والشعب.. فقد شيد المخازن الكبيرةالمستودعات وتم بنائها في أغلب المدن المصرية فكان الاستعداد في كل بلدة للخطر المرتقب، أما في الخطة السبعية

(١) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١١ / ٢٠٠ .
(٢) سورة يوسف: الآية : ٤٧ .
(٣) سورة يوسف: الآية : ٤٨ .
(٤) سورة يوسف : الاية ، ٤٧.
(٥) الميزان : الطباطبائي ، ١٩٢/١١.

الثانية فقد تم توزيع المحاصيل الزراعية على تلك المخازن التي كانت صالحة للخزن لمدة طويلة وبهذه القدرة الاقتصادية لنبي الله يوسف (عليه السلام) استطاع أن ينقذ أهل مصر من الهلاك في الدنيا، وإلى جانب هذا تمكّن من نشر دين الله وإنقاذ أهل مصر من الهلاك في الآخرة، ويُعد التخطيط من أهم مقومات إدارة الدولة وخصوصاً في المجال الاقتصادي[١]، وبهذا صوّر لنا القرآن الكريم كيف وضع يوسف (عليه السلام)بمعية ملك مصر خطة اقتصادية طويلة الأمد وهي أول خطة اقتصادية في تاريخ الإنسانية نقلها لنا الذكر الحكيم حتى تكون عبرة لنا ومَثل اقتصادي يمكن الاقتداء بها لحل المشكلات الاقتصادية المشابهة، وقد أوضح يوسف (عليه السلام)والذين معه من الملأ ما يجب عليه فعله وتنفيذ ما تدل عليه تلك الرؤية[٢]

وقد بان للملك قدرة يوسف الشاب المُمكّن ذو العقلية الواسعة على إدارة الازمة وأنه يتمتع بتخطيط يمكن من خلاله حماية البلاد والعباد من ذلك الخطر فكان حفيظاً عليماًعالماً بوجوه التصرف، إذ وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهذا الشرطان أساسيان في تولي المنصب وتحقيق الحق وبسط العدالة والتمكين في أرض الله، وهو الذي كان من أجله كانت بعثة الرسل(عليه السلام) إلى العباد كذلك يعلم جيداً لا أحد غيره يقوم مقامه في ذلك فطلب المنصب ابتغاء وجه الله[٣] .

ولم يطلب يوسف (عليه السلام) أن يكون والياً على خزينة واحدة أنما طلبها بالجمع **(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ)**[٤]، أي كل أرض مصر لكي أكون المشرف عليها لأتمكن من تنفيذ ما أولته من رؤياك اي رؤيا ملك مصر فأكون المنقذ للبشرية من الجوع والهلاك، وإني شديد الحفظ لما موجود داخل تلك الخزائن من مال بحيث

(١) ظ: التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم المنهج الاقتصادي في تخطيط النبي يوسف (عليه السلام) : نواف بن صالح الحليسي ، ٥٢ .
(٢) ظ: أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم : فيان صالح علي ، ١١ - ١٢ .
(٣) ظ: مراحل التمكين دراسة قرآنية : د. رمضان زكي الغريب ، ٢٨ .
(٤) سورة يوسف: الآية : ٥٥ .

لا يضيع شيء منها ابدا أو يوضع شيء في غير موضعه وهنا طلب يوسف كان لأهم ما تقوم عليه الدولة وهو المال[١] .

ويُلاحظ هنا أن يوسف (عليه السلام)كان يخاطب الملك ويقول: اني حفيظ عليم وهذه في الغالب إشارة تكاد تكون واضحة جداً إلى أهمية عنصر الإدارة مع توفر شرط العلم بها والأمانة والتقوى وحدها لا تكفي بدون العلم بالإدارة والقدرة عليها أي التمكين منها والملاحظ كذلك إن يوسف (عليه السلام)قد ركّز على منصب إدارة الخزينة من بين مناصب عدة ؛ وذلك لعلمه أنه إذا وفقه الله وتمكن من النجاح في ترتيب الجانب الاقتصادي في مصر فإنه بالتأكيد سوف يتمكن من إصلاح الجانب الاجتماعي الذي يحتوي على كثير من المفاسد، كما أن تنفيذه للعدالة الاقتصادية في وقت الازمة سيؤدي إلى سيطرته على بقية مفاصل الدولة وجعلها تحت امرته[٢]، فالتمكين الاقتصادي كان أحد أسباب التمكين من نشر دين الله في مصر والتخلص من سيطرة الكهنة على مقدرات دولة مصر.

وإن طلب يوسف (عليه السلام) اجعلني على خزائن الأرض يعني بها أرضك وأراد بذلك مصر وهي الأرض التي كان يملكها ويجمع فيها الطعام والمال، إذ طلب يوسف (عليه السلام)ذلك ليحفظ المال عن من لا يحسن التصرف به ولا يحفظه ، وأن يوسف(عليه السلام) قادر على ان يوصل المال إلى الوجه الذي يحب الله صرفه فيه فلذلك رغب في الملك؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن تكون لهم رغبة في جمع مال الدنيا إلا لمصلحة عامة وقوله: اني حفيظ يكون معناها حافظ للمال من الذين لا يستحقون التصرف به وفي الآية جواز تقليد وتنفيذ الأوامر من السلطان وإن كان جائراً إذا كان الهدف إيصال الحق إلى مستحقيه [٣] .

وأن المشاركة في الحكم لغرض الإصلاح والتقويم هذا أحد أنواع التمكين، ويتمثل التمكين الاقتصادي في أبرز صورة عند تسنم يوسف(عليه السلام) للوزارة إذ علم

(١) ظ: تفسير سورة يوسف (عليه السلام) : محمد رشيد رضا ، ط١ ، ٢٠٠٧م ـ ، دار المنار ، ٩٥ .
(٢) ظ: تفسير الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٧ / ٢٤٢ .
(٣) التبيان : الطوسي ، ٦ / ١٥٧ .

قدرته على المسؤولية وتحمل العبء الثقيل لذلك طلبها وكان تسنمه رحمة ونعمة ولم يكن عذاباً ونقمة فكانت هنا بداية التمكين ومقدمة له في الأرض وأنها أجر دنيوي عاجل وما ينتظره من الثواب الآجل أعظم وأكبر[١] .

وأراد يوسف (عليه السلام)بقوله هذا وطلبه من الملك أن يكون مؤتمناً على الأموال التي كانت عند الملك قبل الرؤيا لا الخزائن التي وجدت بعد خزن الطعام لسنوات القحط والجفاف، ومن الطبيعي أن كل ملك لديه ما يخزنه ويدخره للشدائد والأمور الطارئة وهي ضرائب لنوائب الدهر[٢]، فيوسف أعرف الناس بتدبير تلك الازمة وانقاذ مصر من الهلاك إذ تفضل الله عليه بالتأويل والتعبير ومواهب وقدرات عدة ومن تلك المواهب الشخصية القيادية والإدارية الفعالة[٣] التي أهلته لطلب التولي على الخزائن وإدارة الأزمة ولابد أن تكون مثل هكذا شروط متوفرة بمن يتصدى للمسؤولية.

(وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ)[٤]، اي إن الله عز وجل مكّن ليوسف الصديق في أرض مصر وهو الذي كان كفيلاً بتدبير الأحداث التي جرت على يوسف(عليه السلام) ، فهو الذي مكر له وهو الذي فرّج عنه بعد السجن وهو الذي بدّل حاله بعد أن كان سجيناً إلى سعة في الملك وهو الذي أيده بنصره بعد أن كان متهماً أصبح بريئاً وبعد زوال الرق بالسلطان وبعد شدة الاستصغار أعطاه الله رخاء التمكين في الأرض[٥]، فهذا التمكين كان ليوسف (عليه السلام)في أرض مصر فقد جيء به مملوكا فأصبح مالكاً فالتشبيه كان يعني أنه ذو علم عزيز وهذا سبب من أسباب تمكينه؛ لأنه صاحب علم[٦] .

وقد رُوي أن أرض مصر كانت أربعين فرسخاً في أربعين فكان يوسف (عليه السلام) يتبوأ منها حيث يريد كل الأماكن كانت تحت تصرفه فيتخذ منزلاً له أينما

(١) ظ: مراحل التمكين دراسة تحليلية : د. رمضان خميس زكي الغريب ، ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) ظ: أبعاد اقتصادية في قصة يوسف : فيان صالح علي ، ٢٠ .
(٣) ظ: سلسلة القصص القرآني في سورة يوسف دراسة تحليلية : د. احمد نوفل ، ١٣٨.د.ط د.ت .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٥٦ .
(٥) تأملات إيمانية في سورة يوسف : د. ياسر برهامي ، ط ١، ٢٠٠٤م ، دار الإيمان ـ الإسكندرية ، ١٧٧ .
(٦) ظ: تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، ٩٦ ..

أراد لا يمنعه مانع فكانت كل مصر قد دخلت تحت سلطانه من أجل أن يتمكن من إنقاذ مصر[١]، ومن خلال حريته في التنقل داخل البلد استطاع تشخيص مواطن الضعف والقوة ومن خلالها وضع القواعد الاقتصادية إذ كان لا يعطي أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس وكان الجانب الإنساني واضحاً جداً في إدارة يوسف (عليه السلام)ووضعه للخطة الاقتصادية لقد شملت خطته الدول المجاورة لمصر والتي هي الأخرى قد أصابها القحط والجفاف فتتعامل معهم وفق تخطيط اقتصادي إنساني فلم يمنعهم ولم يستغلهم [٢]، وهذا هو روح الاقتصادي الإسلامي الذي ينطلق من الفطرة التي فطر الله عليها الخلق فالملك لله والإنسان خليفة الله في ملكه، ولا يوجد حدود بين الدول الإسلامية، وعلى هذا الفهم وسعّ النبي يوسف خطته الاقتصادية ليشمل الفائض من الخطة الدول المجاورة وأصبح يحق لأي شخص أن يأتي إلى مصر ليأخذ الطعام ولكن ضمن كميات معينة، كما قام يوسف (عليه السلام)بجعل بطاقة تعريفية لكل شخص حتى يعرف من خلالها المحتاجين والاغنياء وكذلك منعاً لحصول الفوضى وأخذ يمارس تطبيق تلك الخطة الاقتصادية بنفسه ليتمكن من القضاء على الجشع والبطالة والتسول، ويدل تصرف يوسف (عليه السلام)في سنين الوفرة وكذلك سنين القحط على مهارة واضحة في الإدارة والاقتصاد، فقد كان إشرافه على المالية والتموين أربعة عشر سنة لأعلى تموين ليس مصر وحدها بل على من جاورها من البلدان التي أصبحت تستجدي رغيف الخبز والحياة لسنين عدة، فهذه التجربة الفريدة من نوعها أثبتت أن يوسف (عليه السلام)كان على علم كبير في الجانب الاقتصادي وأنه استطاع في فترة قصيرة أن يضاعف الإنتاج الزراعي في مصر وهذه إضافة للميزان الاقتصادي حتى أصبحت مصر كلها مستودعاً للحبوب بفضل الله والإمكانيات الاقتصادية لنبي الله يوسف الصديق (عليه السلام) [٣] .

وهنا ندرك بأن طلب يوسف (عليه السلام)المشاركة في الحكم؛ لأنه كان أقدر الناس على إدارة الازمة المحدقة بالبلد ومثل هذا التكليف في الظروف الحرجة وبهذه

(١) ظ: تفسير الكشاف : الزمخشري ، ٣ / ٣٠١ .
(٢) التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم : نواف بن صالح ، ٥٣د.ط د.ت.
(٣) ظ: سلسلة القصص القرآني سورة يوسف دراسة تحليلية : احمد نوفل ، ١٣٨ .

المسؤولية يهرب منها الناس؛ لأن البطون الجائعة ممكن أن تعصف بالبلد بأي لحظة[١]، فالظروف الصعبة تحتاج إلى رجال ذو همة فلا بد أن لا يكون أمل النفوس هو التمكين في الأرض لأجل الراحة والملك بل أجر الآخرة هو الرجاء والتمكين في الأرض عند أهل الإيمان وأهل التقوى إنما هو وسيلة لعبادة الله[٢] .

فالتمكين وسيلة لنشر دين الله في الأرض وبهذه المقدمات والأسباب يتبين أن شخصية النبي يوسف (عليه السلام)شخصية النبي المُمكن في الأرض المؤيد بتوفيق كبير وموهبة كبيرة تجلت عظمة شخصيته في القصة القرآنية، وكان الجانب الاقتصادي فيها واضحاً إذ استطاع النبي يوسف (عليه السلام)برجاحة عقلية وبتوفيق من الله أن ينق افتتح الذكر الحكيم سيرة قارون **(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)**[٣]، إذ جاء التأكيد بأحد الحروف إن لدفع التوهم والشك من أن يتوهم أحدهم، ويعتقد أن قارون كان بعيدا عن موسى ولم يصله الله معه في قرابة أو زمن، فأكد الذكر الحكيم أنه من قوم موسى يتلو التوراة ويعلم أوامر الله ونواهيه [٤] .

كما تطرق القرآن الكريم في سورة القصص إلى الامكانيات الاقتصادية لدى قارون فأغتر بذلك المال وتلك الثروة وأخذ يزعم أن ما أوتي من إمكانيات مالية كان بذكائه ومهارته وأن من هذا المال لا حق لأحد فيه وهذا هو التمكين الاقتصادي المذموم[٥]، إذ كان يقول : **(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)**[٦]، فكان قارون جاحداً لفضل الله عليه بعد أن مكّنه وجعله متمكنا اقتصاديا، في حين أن عباد الله المؤمنين كلما رزقهم الله من رزقه قالوا هذا من فضل الله علينا[٧] ..

(١) ظ: مراحل التمكين دراسة قرآنية : د. رمضان خميس زكي الغريب ، ٢٩ .
(٢) ظ: تأملات إيمانية في سورة يوسف : د. ياسر برهامي ، ١٧٨ .
(٣) سورة القصص: الآية : ٧٦ .
(٤) ظ: من بلاغة التنزيل في ذكر جدال الطواغيت قارون والسامري والنمرود : كمال سليم محمد ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، بني سويف ، العدد ١٣ ، ٣٠٧٤ .
(٥) ظ: القواعد والقيم من خلال قصة قارون في القرآن الكريم : منال احمد عبد الله ، مجلة القلم ، جامعة القرآن الكريم فرع المكلا ، العدد ٢٠ ، سنة ٢٠٢٠م ، ٣٨ .
(٦) سورة القصص: الآية : ٧٨ .
(٧) الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٢ / ١٦٥ .

المطلب الثاني : التمكين الاقتصادي لقارون:

كان قارون هو الداعم المالي الذي يقف وراء سلطة فرعون ويدعمها ماليا، وهو كذلك من أهم أنصار فرعون وعيونه على بني إسرائيل فكان على علم بإنتاج الذهب، وكذلك سائر الموارد الاقتصادية من تجارة ومكاسب، فالشخصية الكافرة والمتمكّنة هي الشخصية التي تحظى بالسلطة عند نظام فرعون(١)، غير أنه لم تعصمهم أموالهم ولا إمكانياتهم ولا قوتهم مما ينتظرهم من عذاب، فكل هذه الأسباب المادية لم تجعل قارون ومن معه في عصمة، فهؤلاء الذين ملكوا أسباب البقاء والغلبة ، قد أخذهم الله جميعا عندما ظلموا واستكبروا عن قول الله(٢)،فقارون ذلك المستبد المتكبر الذي يعتمد على إمكانياته المادية وثروته لقي أثر غروره ما لقي فرعون من مصير أسود أحدهما دفن في الأرض التي كان يمشي عليها متكبرا والآخر غرق في الماء الذي كان أحد أسباب إمكانياته الاقتصادية، فذلك يعتمد على أمواله وسلطانه وموارده الاقتصادية والآخر يعتمد على إمكانياته العسكرية (٣) .

وكان قارون رغم ما أعطاه الله من تمكين مالي كبير إلا أنه كان من المفسدين في الأرض ، وكان كثير الحرص على الدنيا وكانت هذه الصفات كما ذكرها الله في القرآن الكريم وأصلها هو حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهواها وكذلك مسايرة الشيطان واتباع خطراته، وهذا يأتي من الغفلة لحق الله ونسيان منته عليه تلك المنة التي جعله الله ممكناً مالياً بين قومه(٤)، لكن من كان مؤمناً من قومه قد حذره أكثر من مرة من الغرور والفرح بتمكين الدنيا والركون لنزوات المال، وكانت نصائح العقلاء له **(لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِين)**(٥) .

وكلما نصحوه بأن يستخدم ما تمكن به من مال لأجل الوصول للدرجات العليا عند الله وأن لا يفرح بالدنيا وذهبت نصائحهم أدراج الرياح؛ لأن الغرور والتكبر قد

(١) ظ: الانحرافات الكبرى : سعيد أيوب ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي للطباعة والنشر ـ بيروت ، ٢٠٦ .
(٢) ظ: القواعد والقيم من خلال قصة قارون في القرآن الكريم : د. منال احمد عبد الله ، ٣٨ ـ ٣٩ .
(٣) الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٢ / ١٦٥ .
(٤) تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ، مكتبة الصدر ـ طهران ، ٤ / ١٠٣ .
(٥) سورة القصص: الآية : ٧٦ .

منعه من إدراك حقائق الأمور[١]، وأنه كان يعلم علم اليقين أن هذه الإمكانيات المالية كلها من فضل الله عليه ، ومن المفترض أن لا يضل كل هذا الضلال ولا يبغى، لكنه على الرغم من علمه لم يتذكر فضل الله عليه[٢]، فكان الشيطان قرينة مما دعاه إلى نكران فضل الله عليه وفقد حذر القرآن الكريم أصحاب الأموال التي جعلهم الله مستخلفين فيها من عواقبها، ولابد لهم أن يوازنوا بين متطلبات الدنيا والآخرة فيما يرضي الله إذ قال سبحانه : **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ)**[٣]، أي لابد عليك في الأموال أن تطلب بها الآخرة بإنفاق جزء منها في سبيل الخير الموصل للآخرة، وهذا هو الغاية من التمكين الاقتصادي على مستوى الفرد والجماعة وأعمل للدنيا بشرط عدم نسيان الآخرة **(وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)**[٤]، أي أنفق إلى عباد الله بإزاء إحسان خالقهم إليك(صلى الله عليه وأله وسلم)[٥]، فلا تغتر بمال الدنيا ولا تتكبر فهذا تمكين مؤقت **(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)**[٦]، وقد قيل أن رجلا كان يتبختر في برديه أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض وهو يتجلجل إلى يوم القيامة ، قال القاضي : أن المختال هو قارون وذلك أن هذه الأمة معصومة من الخسف [٧]، فكانت نهاية تلك الإمكانيات الاقتصادية العظيمة هي وصاحبها تحت ركام الأرض وما جمعه طوال عمره أزاله صاحب الملك في لحظات ، بقوله تعالى : **(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ)**[٨]، ويقال أن الأرض قد بلعت قارون وماله وداره إلى أعماق الأرض، فقد وصل هو وماله إلى قعر الأرض إلى أن وصلت إلى بحر مسجور من النار والمواد المذابة، وعلى هذا الفهم أن البحر المسجور هو في حد ذاته إشارة إلى قعر الأرض التي وصل إليها قارون[٩] ، فجزاء العمل دائما ما يكون من جنسه، فكما رفع نفسه فوق المستضعفين أنزله الله أسفل

(١) ظ: الأخلاق في القرآن : ناصر مكارم الشيرازي ، ٣٤١ .
(٢) ظ: من بلاغة القرآن الكريم في قصة قارون : د. عبد الحليم محمد إبراهيم ، ١٩ .
(٣) سورة القصص: الآية : ٧٧ .
(٤) سورة القصص: الآية : ٧٧ .
(٥) إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : محمد السبزواري ، ١٠ / ٣٩٩ .
(٦) سورة الإسراء: الآية : ٣٧ .
(٧) أحكام القرآن : ابن عربي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ٣ / ٥٣٠ .
(٨) سورة القصص: الآية : ٨١.
(٩) ظ: الأقسام القرآنية : ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، دار الإمام علي ، ٢ / ٩٩ .

سافلين وما أغتر به من إمكانيات مادية[١]، من أثاث وبيت ومال أصبح لا شيء أمام أمام قدرة الله ، فبعدما شاهد الناس ما جرى لقارون انقلبت الموازين لديهم وأصبح تفكيرهم مختلفاً عن ما كان قبل الخسف **(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ ...)**[٢]، فالتبدل عجيب في موقف القوم بين ليلة وضحاها إذ بالأمس كانوا يتفرجون يتفرجون على استعراض قارون وكانوا يتمنون مكانه وتمكينه الاقتصادي، وفي اليوم الثاني ثبت لهم أن ليس لأحد شيء من عنده، فكل ما هو موجود فمن الخالق، فلا عطاؤه يدل على رضاه عن ذلك الشخص المعطى له ولا فقره ومنعه يدل على عدم رضاه على عبده، فالله تعالى اسمه يختبر بهذه الأموال وهذا التمكين عباد الله أفراد وجماعات فتمكينهم يكشف سريرتهم ونياتهم[٣] ، وهذا التبدل في موقف الناس الناس دليل على اعترافهم ببطلان ما كان يقوله قارون لهم وأنهم كانوا سابقا يصدقون ما يقوله أنه قد تمكن من جمع هذا المال بقوته ونبوغ عقله وجود وحسن تدبيره[٤]، هكذا كان موقف الناس من ذلك المتمكن مالياً، وهكذا أصبح عبرة لهم فعدم استخدام الأموال التي فيها الإنسان مُستخلف بشكل يرضي الله تكون نهايته بشكل لا يرضي من مكنه منها .

(١) ظ: القواعد والقيم : منال احمد ، ٤٤ .
(٢) سورة القصص: الآية : ٨٢.
(٣) ظ: تفسير الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٢ / ٣٠١ .
(٤) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٦ / ٨١ .

المبحث الثالث :التمكين العسكري في القرآن الكريم:

من أبرز أنواع التمكين في القرآن الكريم هو التمكين العسكري من عدة وعدد وعتاد وهذا واضح وجلي لدى الدول المُمَكنة في الأرض بصرف النظر عن نوع التمكين لديها سواء كان في رضا الله أو إن تمكينها بغير رضا الله، فالإمكانيات العسكرية ضرورة لبقاء التمكين وعنصر مهم وركيزة قوية تتخذها الدول من أجل بقاءها، فجميع الدول تسعى وبشكل كبير لتوفير تلك الإمكانيات العسكرية للدفاع والهجوم كي يخشاها القريب والبعيد، وهذا ما تحدث عنه القرآن في قصص السالفين من الذين مكنّهم الله وهنا تطلب البحث الوقوف عند نماذج مُمَكنة أحدهم مؤمن ذي القرنين وآخريّن غير مؤمنين نبوخذنصرت،نمرود من خلال هذين المطلبين :

المطلب الأول: التمكين العسكري للمؤمن ذي القرنين:

أختلف علماء التاريخ في تحديد شخصية ذي القرنين ونسبه ومكان سلطانه وزمان حكمه؛ وذلك لاختلاف الأدلة التي أشارت لهذه الشخصية المُمَكنة ذات القوة العسكرية فذهب كثير منهم إلى مرويات كاذبة وأخرى ضعيفة وكلها من باب الظن؛ وذلك بسبب عدم ذكر القرآن الكريم زماناً ومكاناً لذي القرنين بالتحديد وكذلك المرويات لم تهتم بتلك التفاصيل وأخذت تركز على الجوانب المشرقة وتركت القشور[1]، فالاسم والمكان والزمن غير مهم بقدر ما يهمنا هنا التطرق لجانب من جوانب التمكين لديه الا وهو الجانب العسكري، لكن البحث اقتضى المرور على هذه الجوانب حياته ومن ثم ذكر الجانب العسكري .

إذ شهد له القرآن بذلك في مواضع عدة **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا)**[2]، يعني ما

(١) ظ: ذي القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ : محمد رمضان يوسف ،ط٢ ، ١٩٩٤م ، دار القلم ـ دمشق ، ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) سورة الكهف :الآية : ٨٣ ـ ٨٤ .

يتسبب إليه وهو العلم به والتمكن منه (صلى الله عليه وأله وسلم)[١]، إذن هناك من يسأل والقرآن يجيب فمن هو السائل وماذا يريد من سؤاله؟! وقبل التعرف على ما مكّنه الله فيه وأعطاه من كل شيء سبباً لابد أن تعرف السائل الذي سأل رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وأراد احراجه والجواب هو : النظر بن الحارث أحد شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وينصب له العداء، وكان سؤاله سبباً نزول هذه الآية فقد كان له أكثر من سؤال في نفس الوقت فسأل عن الروح وعن أهل الكهف وعن رجل بلغ الشرق والغرب في ملكه؟! فأجاب الله عن ذلك التساؤلات بآيات لا محل لذكرها هنا لما يقتضيه البحث لكن عن سؤاله الأخير كانت تلك الآية السابقة[٢]، فكانت إجابة السماء دعماً وتأييداً وتعضيداً ومساندة من الله لرسوله الكريم ودليلاً على نبوته عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تحدثت عنه السنة الشريفة فقد جاء عن أبي عبدالله (عليه السلام)قال: (صلى الله عليه وأله وسلم)ملك الأرض أربعة :مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين والكافران نمرود ونبخت نصر، وأسم ذي القرنين عبدالله بن ضحاك بن معبد [٣].

فهذه شهادة أخرى من السنة الشريفة تعضّد شهادة القرآن الكريم بأن ذو القرنين كان رجلاً مؤمناً ومُمَكناً في الأرض حكم الأرض جميع الأرض، أما سبب تسميته بهذا الاسم ذي القرنين ففيه وجوه : منها لأنه دعا الناس إلى الله فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله... [٤]، وقيل أنه سمي بذي القرنين؛ لأنه انقرض قرناً من الناس في زمانه، وقيل كذلك كان على رأسه صفائح من النحاس[٥]، وبعد أن تعرفنا على ما جاء في القرآن والسنة على جانب من شخصية ذي القرنين لابد أن تنتقل إلى الجانب العسكري في سيرته والذي هو صلب البحث.

---

(١) تفسير الطبري : الطبري ، ٣٠٣/٤.
(٢) ظ: ذو القرنين وسد الصين : محمد راغب الطباخ ،رافع عبد الرحمن النجدي ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، دار غراس ـ الكويت ، ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) الخصال : الصدوق ، ٢٥٥ باب الأربع ١٣٠ .
(٤) ظ: البداية والنهاية : ابن كثير ، ٢ / ١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٥) ظ: قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري ، ١٥٦ .

جاء في قصص الأنبياء للراوندي بإسناده إلى أبي جعفر (عليه السلام)قال: حج ذو القرنين في ستمائة ألف فارس، فلما أتى الحرم شيعه بعض أصحابه البيت[١]، فالإمكانيات العسكرية واضحة جداً في هذه الحديث عن من جاء مع ذي القرنين فقد آتاه الله من كل شيء سبباً ومن هذه الأسباب لدولته المُمكنة (**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**)[٢] اي (صلى الله عليه وأله وسلم) أن الله عز وجل منح نبيه في الأرض وأعطاه القدرة على التصرف فيها كيف ما يريد فالتمكين إعطاء الاستقرار والثبات بحيث لا يزيله عن مكانه أي مانع وهذا بتقدير الله وأعطاه الله السبب والوسيلة، إذ آتاه الله كل شيء يتوصل به إلى مقصده وكل ما يستعمله في ذلك مثل العلم والعقل والدين والقوة العسكرية والجند المجندة والمال وسعة الملك وهذا امتنان من الله واعظام لأمره(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣]، فالتمكين يعني أعطاه إمكانيات لكل غرض يريده فيصرف به الأمور فقد مكّنه الله؛ لأنه مأمون على تصريف الأمور وفق منهج الله ومأمون على ما أعطاه الله من إمكانيات[٤]، من ضمنها الإمكانيات العسكرية التي طاف بها مشرق الأرض ومغربها وإن الله عز وجل سيجري هذه السُنَة وبلوغ مشرق الأرض ومغربها في القائم من آل محمد إذ يبلغه مشرق الأرض ومغربها حتى لا يبقى جبل إلا وطنه ولا سهل إلا دخله، إذ أن ذي القرنين أظهر كنوز الأرض التي مر بها من معادن وغيرها وأن الله سينصره بالرعب وحينها يملأ الله الأرض من مشرقها إلى مغربها بعدل القائم بالحق بعد أن كان الظلم والجور هو السائد[٥] .

وبعد هذه الإمكانيات ومنها الإمكانيات العسكرية الكبيرة انطلق ذو القرنين في رحلات ثلاث طاف في الأول مغرب الشمس وفي الثانية مشرق الشمس ثم انطلق إلى وسط الأرض كل هذه من أجل نشر دين الله في المعمورة مستخدما ذلك الجيش العقائدي الذي لم تسجل عليه خروقات فكان نِعم الجيش لنِعم القائد المُمَكن.

(١) ظ: قصص الأنبياء : الراوندي ، ١٢٣ ، وكذلك قصص الأنبياء والمرسلين : الجزائري ، ١٥٠ .
(٢) سورة الكهف: الآية : ٨٤ .
(٣) تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٣ / ٣٦٠ .
(٤) ظ: تفسير خواطري : الشعراوي ، ط١ ، ١٩٩١م ، أخبار اليوم ـ جامعة الأزهر ،، د.ط د.ت .
(٥) تفسير البرهان: هاشم البحراني ، ٣ / ٦٦٢ ...

قال تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ**)[1]، حيث أن الله تبارك وتعالى منح ذو القرنين أسباب الوصول لكل الأشياء: العقل، العلم الكافي، الإدارة السليمة، القوة والقدرة، الجيوش والقوى البشرية، بالإضافة إلى الإمكانات المادية. أي إنه منح كل الأسباب والسبل المادية والمعنوية الكفيلة بتحقيق الأهداف المنشودة[2]فكانت تلك انطلاقته الأولى بذلك الجيش الكبير نحو الغرب أي المكان الذي تغرب من جهته الشمس آخر ما كان من العمران من جانب المغرب وكأن الشمس تغرب هناك فوجد قوماً لم يكن بعدهم أحد إلى موضع غروب الشمس ، ففي ذلك المكان ترائى للجيش كأن الشمس تغرب في عين كما أن لو شخصاً يرى الشمس تغرب في البحر وهو واقف على ساحله فمن كان في البر يراها هكذا تغرب[3]، وكأن تعداد جيشه في هذه الحملة ألف ألف وأربعمائة ألف مقاتل مقسّمون على أقسام فمن المساكين أربعون ألف ومن جند دار ستمائة ألف ومن جنده ثمانمائة ألف فبدأ التجوال بجيشه داعياً إلى الله فأتجه غرباً..

وكان يتكلم مع الجميع ففي مسيره وجنوده مر على شيخ يصلي فوقف عنده هو وجنوده بذلك العدد والعدة العسكرية فلما فرغ الشيخ من صلاته قال له ذي القرنين كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي؟! قال: كنت اناجي من هو أكثر منك جنوداً وأعز منك سلطاناً وأشد منك قوة ولو صرفت وجهي إليك لم أبلغ حاجتي فقبلهُ ذو القرنين وقال له: هل لك أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمري؟ [4]، فكان واضحاً تواضع القائد العسكري ذي القرنين ورجاحة عقله فهو يستفيد من الحوادث التي تقع أمامه وبالرجوع إلى الآية (**وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى**)[5]، أي أننا سنتعامل مع الذين تركوا الشرك بالقول الحسن وكذلك سنخفف عنهم ولا نجعلهم يواجهون الصعاب والمشكلات ، و إننا

(١) سورة الكهف: الآيات : ٨٣ ـ ٨٦ .
(٢) الامثل : اصر مكارم الشيرازي ، ٣٥١/٩.
(٣) ظ: قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري ، ١٤٣ .
(٤) قصص الأنبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري ، ١٤٤ .
(٥) سورة الكهف: الآية : ٨٨ .

سنعمل على رفع الضرائب عنهم والظاهر أن ذا القرنين أراد من ذلك أن الناس ينقسمون نصفين مقابل تلك الدعوة، النصف الأول الذي سيرحب بتلك الدعوة الإلهية وهي دعوة التوحيد والإيمان وسيجزى مقابلها الحسنى ويعيش مطمئناً والنصف الآخر وهم الجبهة المناوئة والتي لم تقبل هذه الدعوة وبقيت على ظلمها وشركها ستعاقب نتيجة هذا الموقف[1]، وهذا العقاب والثواب جاء سبب التمكين العسكري لذي القرنين فمن خلال هذا التمكين كانت تلك النتيجة ، إذ أن ذا القرنين كان يستخدم تلك القوة التي مكنه الله فيها لغرض الإصلاح والتعمير ولا يستغل فتوحاته في التجبر على رقاب الضعفاء.

وبعد أن تمكن من البلاد التي كانت بمغرب الأرض اتجه إلى الشرق داعياً الله وكانت هذه الانطلاقة الثانية **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ)**[2]، بعد أن أخذ وعدّ الأسباب سار بذلك الجيش الذي يسعى إلى نشر دين الله، حتى إذا بلغ الصحراء من الجانب الشرقي وجد قوماً يسكنون البادية لم يجدوا ما يستترون به من الشمس وهو البناء واللباس، وكانوا يعيشون على صعيد الأرض من غير أن يكون لهم مسكناً أو ظلاً يظلهم عن ضوء الشمس، وهم عراة لا يملكون ما يستترون به فهم قوم لا يعرفون بناء البيوت ولا حتى نسج الخيم وخياطتها [3] .

وربما كان هذا أحد أسباب توجه ذي القرنين إلى بلاد مشرق الشمس من أجل إصلاح حالهم وتعليمهم كيف يحمون أنفسهم؛ لما لذي القرنين من خبرة في البناء ومن خلال هذه القوة العسكرية العمرانية وبشيء من التفكير بسياق الآية ومضمونها نجد أن رحلة ذي القرنين نحو مغرب الشمس ومشرقها لم يكن عبثاً أو مصادفة بل كان كل ذلك نتيجة الإلهام أو وحي إلهي أو لوجود قوة إيمانية دافعة أخذت ذا القرنين وجيشه للبحث عن تلك الظواهر الطبيعية للشمس ، ومن الملفت للنظر أن القرآن الكريم حدّد رحلة ذي القرنين ومسارها بصورة تتطابق مع التسلسل الفعلي

(١) ظ: تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ٧ / ٥٧٢ ـ ٥٧٥ .
(٢) سورة الكهف: الآية : ٩٠ .
(٣) ظ: تفسير الميزان: الطباطبائي ، ١٣ / ٢٩٠ ـ ٢٩٣ .

للمواقع الجغرافية، وبالإمكان القول أن مطلع الشمس هو المكان الواقع في المحيط الهادي[١] .

وبعد أن فرغ ذو القرنين من إنجاز أعماله في الأمم كانت تسكن أطراف الأرض وتمكن من نشر دين الله بواسطة القوة العسكرية التي مكنه الله فيها شد الرحيل إلى وسط الأرض، وكانت هذه الانطلاقة الثالثة أرض الجن والإنس يأجوج ومأجوج الواقعة بالقرب من جبلين كبيرين وفيها خلق ذات مواصفات مختلفة منهم من يشبه البهائم ومنهم من يشبه الجن..[٢]، والتي جاء ذكرها في الذكر الحكيم في قوله تعالى :(**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**)[٣] .

وكانت تلك الحملة العسكرية بناءً على شكوى المظلومين من فساد يأجوج ومأجوج الذين أسرفوا في القتل والسلب والنهب، فقد سمعوا أخبار الملك العادل المُمَكن في الأرض وجيشه المنقذ، الذي يخلصهم من ذلك إذ أن مثل يأجوج ومأجوج لا يمكن أن يقابلهم إلا من كان ذو قوة تقابل قوتهم، فطلبوا منه مهاجمتهم وحفظهم من شرهم، وكذلك عرضوا عليه أن يعطوه جزاء هذا العمل أموالاً له كجزية أو ضريبة مقابل تخليصهم[٤]، فلما وصل ذو القرنين هو وجيشه مدينة منسك ورأى مكان يأجوج ومأجوج قال:(صلى الله عليه وأله وسلم) الهي قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدّر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة اكاثرهم وبأي صبر اقاسيهم وبأي لسان اناطقهم؟ فكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة إلا بقوتك [٥]

وأخذ أهل تلك المدينة يسألون ذا القرنين كيف ستفعل بيننا وبين القوم؟ وبأي قوة تعمل؟ فأجابهم أنه يحتاج إلى صناع يحسنون العمل والآلة كما يحتاج كذلك إلى مواد

(١) ظ: فك أسرار ذي القرنين " اخناتون " ويأجوج ومأجوج : حسين بن حمزة الجهني ، ط٢ ، ٢٠٠٧م ، مكتبة الفهد الوطنية ـ الرياض ، ٩٤.
(٢) ظ: قصص الأنبياء المسماة بالعرائس : أبي إسحاق احمد النيسابوري ، ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .
(٣) سورة الكهف: الآيات : ٩٣ ـ ٩٤ .
(٤) ظ: أنباء ذي القرنين: سامح محمد البلاج ، مقالة ـ شبكة الألوكة ، ٢٠١٣م ، العدد ١٢٠٩٧ ، ٤ .مجلة ألأكترونية
(٥) بحار الانوار ج ٥٧ ص : ١٠٨ ظ : ملوك الدنيا الأربعة ذو القرنين الملك العادل:منصور عبد الحكيم ، ٢٥.

بناء التي وجههم إليها فكان يحسب لكل شيء حساب[١]، وعلى الرغم كل إمكانياته لكنه سخر طاقتهم العضلية وقام بتعليمهم حتى يمكنهم من تحقيق ما يريدون وقد كان حكيماً في ذلك فأتخذ أيسر الطرق إلى بناء السد.

أن الذين استغاثوا بالمنقذ ذي القرنين وبقوته العسكرية طلبوا منه أن يبني سداً لكن ذي القرنين رأى أن يكون ردماً والردم يختلف عن السد ، [٢]فمن خلال خبرته العسكرية واطلاعه على إمكانيات السد عرف أن الردم أصلح لهم حتى يمنع من مرور وخروج عدوهم المتوحش يأجوج ومأجوج وذلك بتوفيق من الله الذي كان نصب عين القائد المُمَكن ذي القرنين فقد عمل الردم حتى ساوى بين الجبلين وهذا نظر بعيد للمستقبل فكان الردم العظيم سداً يمنع العدو من بلوغه إلا أن يشاء الله (**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ)**[٣]، ولكل شيء أمد ونهاية فلا بد أن يأمر الله يوماً أن يجعل الأرض وما عليها دكاً دكاً وهذا من أشراط يوم القيامة فيفتح طريقهم المسدود[٤] . وقد ضرب لنا ذو القرنين مثلاً للحاكم العسكري الذي إستخدم كل تلك الإمكانيات العسكرية الضخمة لنصرة الضعفاء والمظلومين،ودفع شرالأعداء مهما كان نوعهم، من غير منة، وهذا هو التمكين العسكري المنشود.

(١) ظ: قصص الأنبياء المسماة بالعرائس : أبي إسحاق احمد النيسابوري ، ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .
(٢) الردم : كلمة " ردم " على وزن " طرد " وهي في الأصل تعني ملء الشق بالأحجار، إلا أنها فيما بعد أخذت معنى واسعا بحيث شمل كل سد، بل وشمل حتى ترقيع الملابس. يعتقد بعض المفسرين أن كلمة " ردم " تقال للسد القوي ، ووفقا لهذا التفسير فإن ذا القرنين قد وعدهم بأكثر مما كانوا ينتظرونه.ظ، الأمثل : الشيرازي ، ٩/ ٣٥٧.
(٣) سورة الأنبياء: الآية : ٩٦ .
(٤) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٤ / ٣٢٦ .

المطلب الثاني : التمكين العسكري لغير المؤمن:

ويكون عبر الآتي:

أولاً : نبوخذ نصر:

لقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أنواع من التمكين ولم يقتصر ذلك التمكين على المؤمنين بل شمل غيرهم من الذين تمكنوا بشتى أنواع التمكين ومنها التمكين العسكري الذي هو من أساسيات الحكم وروافده وهنا نتطرقْ لتمكين(صلى الله عليه وأله وسلم) غير المؤمن (صلى الله عليه وأله وسلم) نبوخذ نصر (صلى الله عليه وأله وسلم) كان أحد ملوك الأرض والذي اختلف فيه أصحاب التفسير وكذلك المؤرخون .

لقد أوكل لنبوخذ نصر قيادة الجيش البابلي في السنة التاسعة عشر من حكم والده نبويلاصر ، وكانت هذه أول إشارات كتب التاريخ وهو ولي العهد إذ عزز هذا القائد الشاب الطامح لأن يكون مُمَكناً عسكرياً ثقة والده في قدراته العسكرية بانتصاره على كركيش فرعون مصر وإحكام سيطرته على المنطقة، ومن خلال تتبع الأحداث العسكرية لهذا القائد المُمَكن عسكرياً نجده يتميز هو وجنوده بعنصر المباغتة في الهجوم، وهذا يثبت مدى اهتمام والده بتدريبه وتمكينه عسكريا إذ جعل منه قائداً عسكرياً كبيراً [1] .

هذا من الجانب التاريخي أما من الجانب القرآني فلم نجد الاسم الصريح له واضحا في الآيات القرآنية إلا أن هناك بعض الإشارات التي تتطابق مع الأحداث التاريخية وزمانها، إذ كان واضحاً الجانب العسكري حسب ما ذكر بعض المفسرين في تفسيرهم للآيات التي أشارت إليه **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ)**[2]، إذ أخرج ابن جرير عن السدي وقتاده أن المقصود في هذه الآية هو (صلى الله عليه وأله

(١) ظ: نبوخذ نصر الثاني ،٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق .م : حياة إبراهيم محمد ، ١٩٨٣م ، المؤسسة العامة للإرشاد والتراث ـ العراق ، ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) سورة البقرة: الآية :١١٤.

وسلم)بختنصر(صلى الله عليه وأله وسلم) وأصحابه الذين غزوا اليهود وضربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى[١] .

وقد اختلف بعض المفسرين في هذه الآية كعادتهم فقال ابن عباس ومجاهد : إن المقصود بها الروم إذ هم من كانوا متمكنين عسكريا وقاموا بغزو بيت المقدس وسعوا في خرابه، لكن الحسن وقتادة أكدوا أن القائد الممكن (صلى الله عليه وأله وسلم) بخت نصر (صلى الله عليه وأله وسلم) هو من قاد حملة عسكرية إلى فلسطين وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى[٢]، وقد جاء في تفسير البغوي مفسراً قوله تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**)[٣] أنها نزلت في طوطس الذي كان قائداً عسكرياً مُمَكناً من قيادات الروم هو وأصحابه؛ وذلك لأنهم غزوا بني إسرائيل وانتصروا عليهم عسكريا وقتلوا عدداً كبيراً منهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس، وحل به الدمار والخراب وقذفوا فيه جيف القتلى، وكذلك عمدوا إلى ذبح الخنازير وبقي هذا الخراب إلى أن جاء المسلمون وعمروه ، وطوطس هذا وأصحابه جاءوا لكي ينتقموا من بني إسرائيل ؛ لأنهم قتلوا يحيى (عليه السلام)، وقال قتادة أن بعض اليهود قد ساعدوا هذا القائد العسكري صاحب الإمكانيات العسكرية فأنزل الله قوله تذكرة لتلك الأحداث (صلى الله عليه وأله وسلم)ومن أظلم (صلى الله عليه وأله وسلم) أي أكفر (صلى الله عليه وأله وسلم) ممن منع مساجد الله .. (صلى الله عليه وأله وسلم) يعني بهذا بيت المقدس[٤] .

وقد عضّد هذا القول صاحب تفسير الميزان الذي أشار إلى القائد العسكري (صلى الله عليه وأله وسلم) نبوخذ نصر (صلى الله عليه وأله وسلم) صاحب الإمكانيات العسكرية في هذه الأحداث الدامية، إذ ينقل أن أول من هجم على بيت المقدس بجيش كبير وخربه هو ملك بابل وهو (صلى الله عليه وأله وسلم) نبوخذ نصر (صلى الله عليه وأله وسلم) إذ بقيت آثار الخراب التي أحدثها لسبعين سنة إلى أن نهض اليهود

(١) ظ: تفسير البغوي : الحسين بن مسعود ، ١٩٨٩م ، دار طيبة للنشر ، ١ / ١٠٧ .
(٢) ظ: مجمع البيان : الطبرسي ، ١ / ٣٥٤ .
(٣) سورة البقرة: الآية :١١٤.
(٤) ظ: تفسير البغوي : البغوي ، ١٠٧ ـ ١٠٨ ..

بعد ذلك إلى إعمارها وبناء بيت المقدس ،أما الهجوم الآخر كان للقائد العسكري طوطوز فقد قام بتهديم بيت المقدس مرة أخرى وقتل بني إسرائيل، وقد تم ذلك في السنة المائة قبل الميلاد إذ يحتمل أن الحادثتين اللتين ذكرهما القرآن الكريم في الآيات المتقدمة هي نفس ما حدث من أحداث على يد القائدين العسكريين نبوخذ نصر طوطوز ، إذ أن الأحداث الأخرى التي ذكرت بني إسرائيل في كتب التفسير أو التاريخ لم تغن جميع بني إسرائيل ولم تذهب عنهم الملك، ولكن الأحداث العسكرية في زمن نبوخذ نصر قد ساهمت إلى حد كبير بذهاب ملك بني إسرائيل على أقل تقدير إلى زمن كورش الذي جمع شملهم مرة أخرى وأعادهم إلى بلادهم بعد السبي البابلي[1]، وروى سفيان بن سعيد الثوري عن ... أن رسول الله ((صلى الله عليه وأله وسلم)) قال : إن بني إسرائيل اعتدوا وقتلوا الأنبياء فبعث الله عليهم بختنصر وكان ملكه سبعمائة سنة سار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرهم وفتحها وقتل على دم يحيى بن زكريا سبعين ألف ثم سبى أهلها ، وهذا ما استدل به البغوي لإثبات أن بختنصر كان ملكاً جباراً ممكّناً عسكرياً قام بغزو بيت المقدس وأسر اليهود [2] ، فيما نقل صاحب تفسير الأمثل في مكان آخر من تفسيره نقلاً عن الطبري قال : أن المقصود بالإفساد في الأرض هو قتل بني إسرائيل لزكريا (عليه السلام) ومجموعة أخرى من الأبناء، وأن ما قصده القرآن الكريم من الوعد الأول هو الانتقام الإلهي من بني إسرائيل بواسطة الملك المُمَكن عسكرياً نبوخذ نصر)[3] فشغل الله الظالمين بالظالمين .

غير أن بني إسرائيل لم توقظهم الحملة الاولى ضدهم بل تحركوا مرة أخرى للإفساد في الأرض وهو الإفساد والعلو الثاني لهم وسلكوا طريق الباطل والجور، فجاءهم الوعد الإلهي الآخر بأن الله سوف يبعث لهم جحافل من المحاربين ويحيق بهم البلاء

(١) ظ: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٨ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦ .
(٢) ظ: تفسير البغوي :البغوي ، ١ / ٢٨٢ .
(٣) ظ: تفسير الأمثل : الشيرازي ، ٤٠٥ ـ ٤٠٧ .

إلى درجة إثارة الحزن والغم وتظهر تلك العلامات على وجوههم بل تسوء بأخذ بيت المقدس منهم إن شاء الله وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة[١] .

ومن أجل أن تتضح الصورة أكثر لجانب التمكين والإمكانيات العسكرية لغير المؤمن في القرآن الكريم، ومن أجل أن يستوفي البحث تم أضافة شخصية أخرى ذات إمكانيات عسكرية قد أشار إليها القرآن الكريم من خلال بعض الإشارات ألا وهو النمرود الذي كان هو الآخر لم يذكر اسمه الصريح في القرآن الكريم، وهذا لا يعنينا بقدر ما يعنينا الجانب العسكري في سيرته، وكيف استخدم تلك الإمكانيات العسكرية .

ثانياً : النمرود:

لم يذكر القرآن الكريم الإسم الصريح للملك المُمَكن عسكرياً وسياسياً النمرود، ولكن اكتفى في بعض الإشارات التي أكدّت زمانه وحكمه وتمكينه العسكري، ومن تلك الإشارات التي ذكرها القرآن الكريم هي المحاجة التي حدثت بين الملك المُمكّن في الأرض والنبي إبراهيم (عليه السلام) إذ أشارت الآية القرآنية إلى تلك المحاجة بقوله تعالى : **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)**[٢]، (صلى الله عليه وألـه وسلم) والمحاجة هنا بمعنى إلقاء الحجة قبال الحجة من أجل إثبات المدعى وإبطال ما يقابله وأصل الحجة هو القصد والذي حاجة إبراهيم هو املك ملك من ملوك بابل على ما ذكر التاريخ والرواية [٣]، وفي هذه الآية ضلال الملك المُمَكن عسكرياً والآية شاهد من الشواهد على ذلك في الحوار الذي دار بين إبراهيم (عليه السلام) وأحد الجبارين في زمانه وتعقب الآية أعلاه في مكان آخر نشير فيها إلى الأساس والدافع لتلك المحاجة ؛ ذلك أن النمرود الملك المُمَكّن قد تملكه الغرور والكبر وأسكره الملك أن أتاه الله الإمكانيات العسكرية والمادية التي كانت هي أركان ملكه

(١) ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي ، ٤٠٥ ـ ٤٠٧ .
(٢) سورة البقرة : الآية :٢٥٨ .
(٣) تفسير الميزان: الطباطبائي ، ٢ / ٣٤٨ .

وما أكثر الأشخاص الذين نراهم معتدلين قبل التمكين من السلطة ، وبعد تمكنهم العسكري أو السياسي أو ... ينسون كل شيء ويسحقون كل مقدس[١] .

ورُوي عن الإمام الصادق (عليه السلام)في تفسير الآية (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**)[٢]، أي أن الذي خاصم وحاجه إبراهيم هو الملك نمرود بن كنعان وهو أول من تجبر وأدعى الربوبية ، (**إِنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**)[٣]، (صلى الله عليه وألـه وسلم) فكانت محاجته ومخاصمته واضحة مع إبراهيم (عليه السلام) طغياناً وبغياً وكفراً؛ لأن الملك الذي أتاه الله لنمرود والذي هو غير مؤمن عبارة عن نعيم الدنيا وهو بهذا يجوز أن يعطيه الله الكافر والمؤمن، وأما الملك بمعنى تمليك الأمر والنهي وتدبير أمور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز أن يؤتيه الله إلا من يعلم أنه مؤمن يدعو إلى الصلاح والسداد والرشاد ولا يكون إلا للنبي وأهل بيته الطاهرين العالمين بما تحتاج إليه الأمة من أول أمرها إلى آخره (صلى الله عليه وألـه وسلم)[٤] ، وقد برزت الإمكانيات العسكرية والمادية الملك المُمَكن في الأرض عندما جمع جنوده وأقام بناءً ينظر منه كيف يحرق إبراهيم(عليه السلام)من خلاله وكيف أن النار تأخذه والمنجنيق الكبير الذي صنعه جنوده من أجل أن يقذف إبراهيم (عليه السلام)وسط تلك النار الكبيرة[٥]، فكان يستخدم كل ما كان يملك من جنود وقوة عسكرية من أجل القضاء على خصومه بالقوة والرعب، فهو يعاقبهم أمام أعين الآخرين من أجل أن يكونوا عبرة لهم وهذا هو أسلوب الطغاة الذين ذكرهم القرآن الكريم في الأمم السابقة .

وهو من أشهر حكام وملوك بابل، فقد ذُكر له أكثر من اسم حتى ظن الناس أن هناك أكثر من نمرود وفي أكثر من زمن فهو أول من أسس دولة قوية ذات جناح عسكري كبير ، اعتمد فيها على شعب الكلدان وقد أقام هذه الدولة في بلاد ما بين

(١) ظ: تفسير الأمثل: الشيرازي ، ٢ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية :٢٥٨ .
(٣) سورة البقرة :الآية :٢٥٨ .
(٤) ظ: قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري ، ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ١٠٩ .

النهرين ، وكان بناء تلك الدولة الممكنة عسكرياً واقتصادياً بعد حادثة الطوفان العظيم طوفان نوح(عليه السلام)، الذي أقام تلك الدولة كان حاكماً من أسرة طاغية قريبة من الفراعنة، وكان ملكاً جباراً أفرط في استخدام القوة العسكرية من أجل بسط نفوذه على الأرض، وكان من صفاته أيضاً أنه وصل به الطغيان إلى أن يدعي الألوهية لنفسه[١]، فكان يقول : (**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**)[٢]، وهو منتهى الطغيان والكفر ، وقد استخدم طريق المجادلة والسفسطة وتزييف الحقائق لإغفال الناس والملأ من حوله، فكان يصور لهم أن قانون الحياة والموت بيده، ومن أجل هذه الدعوة الكاذبة استخدم حيله وقوته لكنه فشل بعد أن رد عليه[٣]، إبراهيم (عليه السلام)بقوله : (**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**)[٤] .

ويتضح مما تقدم أن الإمكانيات العسكرية ممكن أن يحصل عليها الكافر والمؤمن على حدٍ سواء؛ من أجل الاختبار والتمحيص، فقد استخدمها أهل الإيمان في محلها، فكانت خير قوة عسكرية تمثل الله في الأرض ، أما في الجانب الآخر فقد استخدم حكام الجور والضلال تلك الإمكانات العسكرية من أجل السيطرة على أقطاب الأرض؛ وذلك لتعزيز نفوذهم الشخصي وتوسيع ملكهم وإرضاء أنفسهم إهلاك الحرث والنسل من أجل مُلك الدنيا وزخرفها، فالفيصل بين هذا وذاك هو كيفية استخدام تلك الإمكانيات في رضا الله من عدمه .

(١) ظ : ملوك الدنيا الأربعة الملك النمرود أول جبابرة الأرض : منصور عبد الكريم ، ٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) سورة البقرة: الآية :٢٥٨ .
(٣) تفسير الأمثل: الشيرازي ، ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
(٤) سورة البقرة: الآية :٢٥٨ .

الفصل الثالث : التمكين بين النص القرآني والموروث الروائي:

الفصل الثالث : التمكين بين النص القرآني والموروث الروائي:

المبحث الأول :التمكين في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم):

قد بدأ الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم) فرداً واحداً بعد التوكل على الله وأخذ بالدعوة إلى دينه الجديد متخذاً الأهل والأقارب والأصدقاء عوناً له، في المقابل استقبله المشركون بالصد والأذى والحرب فما كان منه إلا أن يصبر ويثبت ويواصل دعوته، هو ومن اتبعه وإن كانوا قلة فصبروا على أذى المشركين وبدأت الهجرة والمعارك بعدها وصار أمر الإسلام في صعود وأمر الكفر في اضمحلال[١]، ومن أجل الكشف عن حيثيات المبحث فإنه ينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : التمكين الديني في العهد المكي:

المرحلة الاولى: الدعوة السرية:

كانت بداية التمكين لدين الله عز وجل ومن خلال النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) في مكة بعد أن جاء الأمر الإلهي من السماء بتبليغ الدعوة والقيام بها وإنك يا نبي الله اليوم أمام عمل عظيم يستدعي اليقظة والتبليغ والإنذار وإيذان ببداية التمكين الديني وحمل الرسالة وتوجيه الناس بتوجيه الوحي، فكانت الآية الكريمة **(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)**[٢]

وكانت بداية التمكين بالتدرج وذلك رفقاً بالمسلمين والأخذ بسنن التغيير فبدأ (صلى الله عليه وأله وسلم) سراً يصطفي ويأسس لمدة ثلاث سنوات يتصل بمن يثق بهم ويوصيهم بالكتمان بعيداً عن أعين قريش، وقد آمن خلال هذه المرحلة ما يقارب من ستين صحابياً بينهم عشرة نساء تقودهم خديجة ، فكانوا أساس صلب ومتين وحجر أساس لتمكين الدعوة النبوية إذ اهتم النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) بتكوين اللبنة الأولى لتكوين المجتمع ألا وهي الأسرة التي ينتقل من خلالها إلى بناء الدولة، فكان

(١) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار القلم ـ دمشق ٤٣ .

(٢) سورة المدثر: الآيات : ١ ـ ٣ .

لابد لهذه القاعدة من تربية خاصة وإعداد جيد حتى تستطيع الاستمرار في الدعوة وتحمل تبعات الدين الجديد[١] .

فما كان إلا أن يعتمد على الأقربين من أهل بيته ومحبيه متخذاً من قوله تعالى : **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)**[٢]، منهجاً من أجل الوصول إلى تمكين دين الله في أرضه ، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) بني عبد المطلب وهم آنذاك أربعون رجلاً أو يزيدون فقال لهم : (صلى الله عليه وأله وسلم) أيكم يكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً يأبى ذلك حتى أتى علي فقلت: أنا يا رسول الله ، فقال : يابني عبد المطلب هذا وارثي ووزيري وخليفتي فيكم ... (صلى الله عليه وأله وسلم)[٣]، فكان رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) يؤسس للجانب الديني والجانب السياسي معاً من خلال اختيار الأشخاص المناسبين لتلك المرحلة فإنها الأساس في التمكين .

وروي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: (صلى الله عليه وأله وسلم) لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين (صلى الله عليه وأله وسلم) جمع النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا فقال لهم : من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي قال رجل : يا رسول الله أنت كنت بحراً من يقوم بهذا، ثم قال الآخر : فعرض النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) هذا على أهل بيته واحداً واحداً فقال علي : انا [٤]، فبهذا أراد الرسول(صلى الله عليه وأله وسلم) أن يختار عناصر التمكين بشكل جيد يمكنه من إدارة المرحلة الحالية والمستقبلية، ففي الأحاديث السابقة إعلان واضح من قبل القائد الممكن والنبي بالوصية لخليفة يقوم مقامه ويأزره على الصعاب من أول أيام الدعوة السرية وما بعدها وكأنما النبوة والإمامة للأمة فرقدان في سماء الوحي لا

(١) فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية : عمر لطفي الجزاز ، رسالة ماجستير ، ٢٠١١م ، الجامعة الإسلامية ـ غزة ، إشراف الدكتور : مازن إسماعيل هنية ، ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء: الآية : ٢١٤ .

(٣) الكافي : الكليني ، ٢١٨.

(٤) ابتلاءات الأمم : سعيد أيوب ، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الهادي ـ بيروت ، ٢٤٣ .

يفترقان، وما القيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) إلا القيام بواجبات التمكين لهذه الأمة حتى تتمكن دينياً وسياسياً وإن كانت النبوة مختومة لكن الوظائف والمسؤوليات كانت مستمرة حتى عند غياب النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) [١]

واستمر (صلى الله عليه وأله وسلم) خلال السنوات الثلاث أو الأربع يؤسس لتمكين دين الله على أرضه فكان أساسه متيناً معتمداً في ذلك على التوعية الجيدة من المسلمين مقابل الكمية الكبيرة من المشركين، فهو كان يختار العناصر الممكنة اختياراً ويؤسس تأسيساً إذ كان يلتقي بالعناصر الجيدة فرداً فرداً ثم يجعلهم حلقات حلقات يلتقي بهم جماعات جماعات ينشر بينهم العقيدة الحقة ويؤسس في نفوسهم التمكين لدين الله الحق ويهدم ما في نفوسهم وعقولهم ما غُرس سابقاً من تعدد الآلهة، وكذلك كان ينسف ما تربوا عليه من عادات جاهلية وعصبية قبلية وينشر بينهم الأخوة والعقيدة والمحبة والسلام[٢] .

فإذا امتنع من امتنع من أقاربك أو قريش فما عليك إلا البلاغ ، فإن لم يستجيبوا لتلك الدعوة فما عليك إلا البراءة منهم ومن عملهم وتوكل على الله[٣]، فلا قرابة ولا رحم في المعيار بين الكفر والإيمان، فمن آمن فهو القريب ومن كفر فهو بعيد كل البعد .

هكذا استطاع رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وفي غضون ثلاث سنوات أو اكثر أن يؤسس ذلك الأساس المتين لُيمكّن دين الله في أرضه وأن يضع الضوابط المبنية على الإيمان معتمداً في ذلك على الرجال الأشداء ليكونوا أساس التمكين الديني والسياسي، فإختار النوعية لا الكمية وهو جعل التمكين ساري المفعول إلى يومنا هذا فبعد هذا الأساس المتين لابد من أن يكون للرجال صوت مسموع في وجه الشرك والإلحاد، فجاء أمر الله بالدخول في المرحلة الثانية وهي مرحلة المواجهة المباشرة مع كفار مكة ومشركيها .

---

(١) ظ: أبهى المداد في شرح مؤتمر بغداد : مقاتل بن عطية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ، ١ / ٧٦٥ .

(٢) ظ: فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية : عمر لطفي، ٢٨ .

(٣) ظ: إرشاد الأذهان في تفسير القرآن : محمد السبزواري ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، دار لبنان ـ بيروت ، ٣٨١.

المرحلة الثانية : الدعوة العلنية:

إستمرت الدعوة السرية إلى إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وبعض وجهاء قريش(صلى الله عليه وأله وسلم) حين جاء الأمر الإلهي لبدأ مرحلة جديدة من التمكين، وهذا ما يتطلب إعلان الدعوة وسط مكة، وذلك في السنة الرابعة للدعوة فكانت هذه موجهة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، إذ عُريت تلك العقيدة الفاسدة خلال سنوات الإعداد السابقة فجاء الأمر الإلهي بالصدع(صلى الله عليه وأله وسلم)[١]، بالدعوة إلى الله **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)**[٢] ، قال الطباطبائي: وتشتمل السورة على قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين(صلى الله عليه وأله وسلم) فهذه الآية تقبل الانطباق على ما ضبطه التاريخ أن النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) اكتتم في أول البعثة ثلاث سنين أو أربعاً أو خمساً لا يعلن دعوته لاشتداد الأمر عليه فكان لا يدعو إلا آحادا ممن يرجو منهم الإيمان يدعوهم خفية ويسر إليهم الدعوة حتى أذن له ربه في ذلك وأمره أن يعلن دعوته(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣]، فوسع نطاق دعوته لكي يُمكّن دين الله في الأرض بأكبر مساحة ممكنة، وأن تكون هذه الدعوة على نطاق أوسع من السابق فحينها أطلق الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم) ثورته في مكة على جبل الصفا وصدع بما أمره الله ليُمكّنه هو ومن معه مما آثار قريش، فهذه دعوة خطيرة لتمكين دين الله في أرضه وسحب التمكين من تحت أقدام قريش، فهذه الدعوة لا تبقي ولا تذر أشعلها رسول الإنسانية، واشتعلت أول شعلة للنور في ظلمات البلد الذي تحكمه وتتحكم به الجاهلية[٤] .

فكانت الآية أدناه بمثابة الإعلان الحقيقي للدخول في المرحلة الجديدة من التمكين.

---

(١) فقه التمكين وآثاره في تطبيق الأحكام الشرعية : عمر لطفي ، ٣٠ .

(٢) سورة الحجر : الآية : ٩٤ .

(٣) ظ ، السيرة النبوية : ابن هشام ، ١/ ٢٤٥ ـ ٢٦٢. ظ

، تفسير الميزان: السيد الطباطبائي ، ١٢ / ٩٦ .

(٤) ظ: الإعلام في صدر الإسلام : عبد اللطيف حمزة ، ط١ ، دار الفكر العربي ـ القاهرة ، ١١٨ .

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَر أي فأجهر به بعد أن كان غير مجهور به وأظهره بعد أن كان غير ظاهر ، فالصدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، وهذه الآية الكريمة المباركة أمر فيها الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسل) بتبليغ ما أمر به وبشكل اوسع مما سبق، علناً في غير خفاء ولا مواريه[١]، فوسع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسل) نطاق التمكين لدين الله فور نزول الأمر بالصدع (صلى الله عليه وألـه وسلم) فخرج رسول الله (لى الله عليه وآله وسلم) وقام على الحجر فقال: يا معشر قريش و يا معشر العرب، أدعوكم إلى عبادة الله تعالى وخلع الأنداد والأصنام، وأدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا في الجنة، فاستهزؤوا منه وضحكوا(صلى الله عليه وألـه وسلم)[٢]، وفي قبال تلك الدعوة كان رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم)غير مبالٍ بهم وبما صدر منهم، فأخذ بتبليغ أوامر الله التي أمره بها والنواهي التي حث المسلمين عليها بكل شجاعة وإقدام، فإن الله تكفل بذلك التمكين وحفظه من المستهزئين وكفاه منهم[٣].

فالله هو المتكفل أن يمكن هذا الدين وينصر رسوله ومن معه من المستضعفين، فكانت الآيات النازلة في بداية المرحلة الثانية من الدعوة أي المرحلة العلنية هي آيات لتسلية النبي ((صلى الله عليه وأله وسلم)) وتقوية معنوياته وشد أزره هو ومن معه، لكيلا ينتابه أي ضعف أو تقل عزيمته الراسخة في مواجهة المعارضين لتلك الدعوة، وذلك التمكين بالإعراض عن ما يقولون وعن ما يفعلون (صلى الله عليه وألـه وسلم) وأعرض عن المشركين فالمقصود أن لا تلاقي اهتمام إلى أقوالهم الباطلة واهتماماتهم الكاذبة، بل إمضٍ في طريق التمكين لهذا الدين بثبات وعزيمة[٤]، رغم محاولات قريش المتكررة لمحاربة الدعوة التي كانت قد عدّت واقعهم الجاهلي وعابت آلهتهم وأخذت شيء فشيء بتسفيه أحلامهم وأفكارهم وتصوراتهم محاولين

(١) ظ: أضواء البيان : الشنقيطي ، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر للطباعة ـ القاهرة ، ٢ / ٣١٩ .

(٢) أعلام الورى بأعلام الهدى : الطبرسي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم ، ١٠٦ .

(٣) ظ: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : محمد السبزواري النجفي، ٢٧٢ .

(٤) ظ: تفسير الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٤ / ٤٢٣ .

إسكات صوتها أو تحجيمه وتحديد انتشاره، لكن الله أراد لدينه أن يتمكن في الأرض رغم أنوفهم[١]، فكانت الخطبة بالناس أحدى الوسائل الإعلامية للدعوة الإسلامية، وقد كان رسول الله (لى الله عليه وآله وسلم) يصعد جبل الصفا وينادي بأعلى الصوت داعياً قريش ومن معها للدخول في دعوته إلى الله، فكانت تلك دعوة اهتزت لها أرجاء مكة، فأخذ الناس يسأل بعضهم بعضاً عن هذه الدعوة الجديدة وعن الأسباب التي دعت النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) للجهر بها، وعن الغاية التي يهدف إليها من وراء ذلك، فهل هي نوع من أنواع التمكين منهم أو التمكين لهم أم أنه يريد أن يُكثر من أنصاره وأتباعه لغرض أخر من الأغراض الدنيوية، فانقسم الناس إلى قسمين، منهم من استنكر نداءه ووقف ضده بشدة وهم الأكثرية، ومن أحسن لبيانه وقعاً جميلاً في أعماق نفسه لكن خشى أن يعلن ذلك[٢]، وهنا لم تواجه قريش الحجة بالحجة، بل استخدمت كل وسائل التعذيب والقتل من أجل أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن الله كان له تمكين آخر، فقد أتضح على مر العصور أن الأنصار للمرسلين وفي أوجه مختلفة سواء بإهلاك أعدائهم أو بنجاة المؤمنين منهم، من خلال الطوفان أو الزلازل أو الانتصار في الحروب أو تمكينهم في الهجرة إلى بلد آخر[٣]، فبعد أن أصبحت المواجهة شديدة، وأن الأرض والظروف غير مناسبة لتمكين تلك الدعوة في مكة أخذ الرسول (لى الله عليه وآله وسلم) بوضع بذور ذلك الدين في أماكن أخرى خارج مكة، فهناك أرض قد تكون مناسبة أكثر لدين الله ولو بشكل مؤقت ثم الرجوع للبلد الأم .

(١) ظ: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي الصلابي ، ١ / ١٨٦ .

(٢) ظ: الأعلام في صدر الإسلام: عبد اللطيف حمزة ، ١١٩ ـ ١٢١ .

(٣) ظ: تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ١٨ / ١٤٩ .

المرحلة الثالثة : الهجرة النبوية :

إن من أبرز ملامح نصر الله لرسوله (صلى الله عليه وأله وسلم) هو تمكينه من الخروج سالماً من كيد الكفار ، وهذا وقع عندما كانت قريش بين خيارات ثلاث، أما أن يثبطوا رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) أو يقتلوه أو يخرجوه بين أظهرهم، فوقع رأيهم على القتل[١]، لكي يتمكنوا من القضاء على الدين الجديد فاختاروا من كل قبيلة رجلاً وكانوا عشر أو خمسة عشر قبيلة ليقتلوا النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) بضربة واحدة من سيوفهم ، فأخبر الله نبيه بمكرهم وأخذ النبي بدوره بإخبار علي (عليه السلام) بمكر قريش ووقوفهم بوجه التمكين لدين الله وأمر علي (عليه السلام)بأن يتغشى ببرده الحضرمي وينام في فراشه ، فقال علي (عليه السلام)(صلى الله عليه وأله وسلم) أو تسلم بمبيتي يا نبي الله، قال: نعم فتبسم علياً (عليه السلام) ضاحكاً وهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله فنام على فراشه، وخرج النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) وقت العشاء والرصد قد طافوا بداره ينتظرون[٢]، وهو يقرأ عليهم (**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)**[٣] .

قد تدخل الله هنا لينصر رسوله وليمكن له ، فأرسل جبريل (عليه السلام)فأخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وقال له : خذ على طريق يمكنك من الخلاص، طريق جبل ثور طريق منى فدخل الغار فتمكن من الخلاص منهم، فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش وثب علي (عليه السلام)في وجوههم فقال : ما شانكم ، قالوا له : اين محمد ؟ قال : أجعلتموني عليه رقيباً .. ألستم قلتم نخرجه من بلادنا ؟ فقد خرج عنكم [٤] ، وجاء في البرهان(صلى الله عليه وأله وسلم) وكان بيده (صلى الله عليه وأله وسلم) (صلى الله عليه وأله وسلم) (صلى الله

(١) ظ: البداية والنهاية: ابن كثير ، ٢٠٤ .

(٢) ظ: الصحيح من سيرة الإمام علي (ع) : جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي للدراسات ، ٢ / ١٣٦

(٣) سورة يس : الآية : ٩ .

(٤) ظ: البرهان : البحراني ، ٢ / ٦٧١ .

عليه وأله وسلم) قبضة من تراب، فرمى بها في رؤوسهم، ومر من بينهم، فما شعروا به، وأخذ طريقه إلى غار ثور(صلى الله عليه وأله وسلم) [١] .

وقد مكن الله نبيه بالخروج سالماً ظافراً بدينه في تلك الليلة ، وقد خرج (صلى الله عليه وأله وسلم) وأخذ حفنة من التراب فجعل ينثر على رؤوس المشركين وقد أخذ الله بأبصارهم حتى أتاهم آت فقال لهم : أن محمداً قد مر وما ترك منكم من أحد إلا وضع على رأسه شيئاً من التراب فقالوا : فها هو نائم، قال : ذاك علي بن أبي طالب فاقتحموا الدار[٢]، فقد جاء الرد الإلهي لرسوله الكريم (صلى الله عليه وأله وسلم) والتمكين له ولدينه في أشد اللحظات، وهذه هي إشارة واضحة إلى أن مؤامرة الكفار باءت بالفشل والخيبة وحبطت خططهم وآراؤهم، وتمكّن دين الله وشع نوره في كل مكان، وكان الانتصار حليفاً لدين الله، ولم لا يكون ذلك وقد تكفل الله العزيز الحكيم بحفظ نبيه ودينه، وبحكمته قد ارشد نبيه طريق الخلاص[٣].

تعد الهجرة التي قام بها النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) واتباعه كانت بمثابة ثورة على الفساد في جميع أشكاله، ثورة على الطغيان في الحكم ثورة على الإجحاف بالحقوق ثورة على العبودية وتحكم الأقوياء بالضعفاء ثورة على الجاهلية ثورة على العصبية القبلية[٤]، فوعد الله بالنصر والتمكين والغلبة للمرسلين وأتباعهم من المؤمنين وعداً مجزوماً به، وسبقت كلمة الله التي لا راد لها ولا مخالف لوعده لعباده المرسلين وجنوده جنود التمكين جنوده المفلحين بأنهم المنصورون من ربهم نصراً عزيزاً يتمكنون فيه من إقامة الدولة العادلة التي قوامها دين الله وهذا وعد، فعلى

(١) البرهان : البحراني ، ٢ / ٦٧٤ .

(٢) ظ: السيرة البوية : ابن هشام الحميري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط١، ١٩٦٣، مكتب محمد علي صبيح وأولاده ، الازهر مصر ، ٣٣٣/٢.

(٣) ظ: تفسير الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٦ / ٥٨ .

(٤) ظ: الإعلام في صدر الإسلام : عبد اللطيف حمزة ، ١٣٣ .

الرغم من تكذيب المكذبين وتعذيب المعذبين والتنكيل بالدعوة وأتباعها فقد نصر الله المؤمنين بأن أخرجهم سالمين وذهب بسطوة الكافرين والمشركين[1] .

وهذا هو بداية التمكين الذي كان في العهد المكي للدعوة الإسلامية وتبعته خطوات عدة قام بها رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) ومن معه بمعية الله وتأييده، فكانت خطوات مفصلية تمكن من خلالها رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) ومن معه ْمن وضع قواعد الدين .

المطلب الثاني : التمكين العسكري في العهد المدني :

لم يكن التمكين العسكري غاية النبي((صلى الله عليه وألـه وسلم)) ومن معه من المسلمين فهم ليس همهم الغلبة والمغالبة وفرض الإرادات أو فرض الدين بالقوة العسكرية، لكن أهتم النبي ((صلى الله عليه وأله وسلم)) بالجانب العسكري؛ لأنه وسيلة لتمكين دين الله في الأرض وانه كان يعرض السلم والسلام قبل مواجهة أي قوة عسكرية للعدو أو قبل الدخول إلى أي مدينة يريد نشر دين الله فيها .وإن قادة وجنود التمكين بذلوا الغالي والنفيس من أجل رفعة الإسلام وعزته ، ويمكن الإعراب عن ذلك من خلال الآتي : -

اولاً : فتح مكة :

في العهد المكي كانت هناك العديد من المعارك والغزوات المشرفة التي انتصر بها المسلمين لكن البحث توقف عند فتح مكة لما فيه من جانب انساني كبير وذلك كون المعركة انتهت بلا قتال ولا دماء وكانت فتحًا كبيراً.

إذ جاء في القرآن الكريم جملة من الايات التي تشير الى التمكين في العهد المكي عبر الوعد بالفتح المكي منها قال تعالى:(**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**)[2]، وقال تعالى:

(١) ظ: مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية ، رسالة ماجستير ، إعداد سناء بنت فضل الدين بن كرم ، إشراف الدكتور نايف بن حامد ، ١٤٢٩هـ ، جامعة أم القرى ـ السعودية ، ٥٦ .

(٢) سورة الفتح: الآية : ١ .

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)[١]، (صلى الله عليه وأله وسلم) لم يدخل رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) مكة بدون دراسة أو تخطيط ، بل درس كل شيء ، إذ تحرك هو ومن معه من المسلمين الذين بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل ليردوا على قريش التي لا عهد لها ولا ميثاق بنقضها صلح الحديبية، فكان هذا سبب كافي لتجهيز النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) تلك الحملة العسكرية[٢]، وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) بالتجهيز الكامل من عدة وعدد وإمكانات عسكرية، وأمر الناس بالتهيئة وعندما اكتمل تجهيز الحملة العسكرية الكبرى استخلف رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) أبا ذر الغفاري ليكون حاكماً على المدينة في غياب الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم) وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان للهجرة، ويتقدم الجيش اربعمائة فارس ولم يتخلف عن تلك الحملة أحد من المهاجرين أو الأنصار ونزل رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) بذلك الجيش الكبير وقد عمت الأخبار عن قريش حتى وصول الجيش إلى أطراف مكة[٣]، ولما وصل الخبر إلى أبي سفيان قائد جيش المشركين أصبح بين أمرين كلاهما مُر، أما أن يمضي في مقاومة جيش المسلمين ذات العدة والعدد، وهذا يعني أن تفنى مكة ويخسر كل شيء فيها، وأما أن يصانع ويصالح ويداهن ويدخل فيما دخل فيه الناس فاختار الاستسلام على المقاومة[٤]، **(وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ)**[٥] ،فكان جيش المسلمين من صور النصر وبدون قتال، وإن المشركين قد دب الضعف في أنفسهم وليس لهم ولي يتولى أمرهم من دون الله، فهم لا يقوون في أنفسهم على قتال المؤمنين الذين يرمون فتح مكة، وهذا بنفسه بشرى للمؤمنين[٦] .

---

(١) سورة النصر: الآية : ١ .

(٢) ظ : تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ١٦ / ٤١٦ .

(٣) ظ: الصحيح من سيرة النبي الأعظم : جعفر مرتضى العاملي ، ٨، ٢٨٣.

(٤) ظ: جواهر التاريخ اضطهاد العترة بعد النبي : علي الكوراني ، دار الهدى ، بيروت لبنان،ط١٤٢٥،١هـ، ٢٥..

(٥) سورة الفتح: الآية : ٢٢ .

(٦) ظ: تفسير الميزان: السيد الطباطبائي ، ١٨ / ٢٨٧ .

وعن ابن عباس قال: قال النبي محمد (صلى الله عليه وألـه وسلم) يوم فتح أن هذا البلد حرام ـ حرمه الله تعالى ـ لم يحل فيه القتال لأحد قبلي وأحل لي ساعة .. ثم حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة [١]، فالتمكين والإمكانيات العسكرية لجيش المسلمين كانت واضحة وكان الهدف منها هو نشر الدين لا الانتقام من الخصم ، فقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) جيشه أن لا يتعرضوا لأحد وان لا يريقوا دم أحد، وحين بلغه أن أحد حملة الألوية في جيشه يصيح اليوم يوم الملحمة اليوم تُسبى الحرمة أمر علياً (عليه السلام)أن يأخذ منه الراية ويدخل بها مكة دخولاً رقيقاً ويقول اليوم يوم المرحمة .. وبهذا الشكل دخل الجيش ذا الإمكانيات العسكرية مكة دون إراقة الدماء ، وكان لعفو رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) الأثر الكبير في نفوس وقلوب أهل مكة، وقد وصل الخبر أرجاء الجزيرة العربية وذاع صيت الإسلام[٢] .

ولما دخل رسول الله وسط الكعبة وجد عدداً كبيراً من الأصنام يقدر عددها بثلاثمائة وستون صنم، بعضها مربوط ببعض، فقال : لأمير المؤمنين(عليه السلام): أعطني يا علي كفاً من الحصى فقبض له أمير المؤمنين كفاً فناوله فرماها به وهو يقول[٣] : (**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ)**[٤] ثم أمر علي أن يصعد على كتفه المباركة ويرمي الأصنام ، فامتثل علي أمر رسول الله (صلى الله عليه وألـه وسلم) وحطم تلك الأصنام[٥] .

وبهذا التمكين الذي كان بمعية الله، وبهذا السلطان المستمد من الله كان دخول الحق أرض مكة بقوة وثبات وصدق فزهق الباطل، أن الباطل كان زهوقاً، وهذه الحقيقة لدنية ثابتة في القرآن والسنة، على الرغم من أن النظرة الأولى للباطل تكشف أن له

(١) الجديد في النبي ص : علي الكوراني ،دار المعروف للطباعة والنشر ، قم ـ ايران ، ط١، ١٤٤٣هـ، ٢٠.

(٢) ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ٢٠ / ٥٣٠ .

(٣) ظ: الإرشاد: الشيخ المفيد ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ـ لبنان ، ١ / ١٣٨ .

(٤) سورة الإسراء: الآية : ٨١ .

(٥) ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ٢٠ / ٥٣٠ .

صولة ودولة[١]، فدخل النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) ومن معه من أصحابه واعتمروا العمرة في بيت الله، ومن ثم أقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة ، فكان هذا الانتصار العسكري بمثابة الفتح، وكان تمكيناً لدين الله عزو وجل والنصر له على جميع أرجاء المعمورة، ونصراً على جميع الأديان بالبراهين ، وإن تمام هذا الفتح وذلك التمكين عند خروج المهدي (عليه السلام)حتى لا يبقى في الأرض دين سوى الدين الإسلامي[٢] .

فهذه الطائفة التي يتحلى أفرادها بصفات جليلة مثل الإيمان والهجرة والجهاد العسكري والنفسي في سبيل دين الله وفي سبيل تمكين هذا الدين هُم المطيعين لله ورسوله[٣]، فهم مصداق الآية الكريمة (**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)[٤]، التي ارتكز عليها دين الله، وكانوا أساس التمكين، ففي الحقيقة استطاع المسلمون الأوائل تحقيق شروط التمكين على جميع الأصعدة وبجميع أنواع التمكين، ومنها التمكين العسكري، فكان الوفاء من الله بأن مكنهم فتح مكة واستخلفهم وأورثهم أرضهم ووهب لهم الملك ومكن لهم دينهم وأبدل خوفهم أمناً، وجعل شتاتهم وفرقتهم وحدة، وجعل من جوعهم وفقرهم وضعفهم قوة عسكرية ودينية ، فنهضت الأمة الإسلامية بهم[٥]، وكانت أمة مهابة إذ ينصر الله من ينصره من عباده المجاهدين الذين آثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا .

ثانياً : فتح خيبر:

خيبر هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير وتبعد عن المدينة المنورة حوالي مسير ثمان وأربعون ساعة، وقيل كذلك أن رسول الله (صلى الله

(١) ظ: الأساس في التفسير : سعد حوي ، ٣ / ١٠٩ .

(٢) ظ: عقود المرجان في تفسير القرآن : نعمة الله الجزائري ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ، مؤسسة نور ـ قم ، ٤ / ٥٤٥ .

(٣) ظ: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٢ / ١٠٨ .

(٤) سورة الأنفال: الآية : ٧٤ .

(٥) ظ: تطلعات المسلمين نحو النصر والتمكين : حسين الفارسي ، ٣٧ .

عليه وأله وسلم) لم يكن له عهد مع يهود خيبر والظاهر أنه غزاهم ليعرض عليهم الإسلام أو قبول الجزية أو الحرب فلم يقبلوا بالخيارين السابقين ورضوا بالحرب[١] .

وربما تختلف هذه الغزوة عن بقية الغزوات التي قام بها المسلمون؛ وذلك لأن هذه المدينة محصنة من جميع الجهات وذات قلاع قوية وحصينة، فمحاولة الهجوم عليها قد يتطلب خبرة عسكرية كبيرة، وكذلك تتطلب جهداً مضاعفاً وتهيئة مناسبة للجند ومؤونة كافية لمدة محددة، والمسلمون لا يملكون مثل هكذا إمكانيات ضخمة، وإن طول فترة الحرب ليس في صالحهم، في المقابل يملك اليهود جميع الإمكانيات العسكرية وغير العسكرية من طعام وشراب ، فالتمكين العسكري كان واضحاً لليهود وبإمكانهم الصمود لفترة أطول، وكذلك أن جيش المسلمين لم يسبق لهم قبل قتال أهل الحصون[٢] .

وكثير من كتب السيرة تذكر ان الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان هو فتح خيبر[٣]، فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) المدينة قادماً من الحديبية مكث في المدينة ما يقرب من عشرين ليلة ثم خرج منها عادياً إلى خيبر، ولما وصل النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) إلى حدود خيبر قال : اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أظللن، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، قدموا ، بسم الله الرحمن الرحيم (صلى الله عليه وأله وسلم)[٤] .

فلما نزل جيش ذات الإمكانيات العسكرية المتواضعة في ساحة مدينة خيبر كان الوقت ليلاً فلم يتحرك الجيش تلك الليلة حسب وصية الرسول (صلى الله عليه وأله وسلم) للجيش، حتى طلعت الشمس ففتح اليهود حصونهم وغدوا إلى أعمالهم فلما نظروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) والجيش الذي معه ولوا هاربين

(١) ظ: أعيان الشيعة : محسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ، ١١ / ٢٧٠ .

(٢) ظ: غزوة خيبر دروس وعبر : أمين محمد ، مكتبة خالد بن الوليد ـ صنعاء ـ اليمن، ٤٨ .د.ط د.ت ...

(٣) ظ: التبيان : الشيخ الطوسي ، ٩ / ٣٢٨ .

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة الوفاء ـ لبنان ، ٢١ / ١ .

إلى حصونهم، وجعل رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) يقول : (صلى الله عليه وأله وسلم) إنا نزلنا في ساحة قوم فساء صباح المنذرين(صلى الله عليه وأله وسلم)[١]، وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) يغزوهم؛ وذلك لأن قريتهم ذات حصون منيعة ولديهم من الإمكانيات العسكرية الشيء الكبير، إذ كانوا يستعرضون كل يوم عشرة آلاف مقاتل من قوات الصفوة، وهم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات[٢]، قال ابن هشام فحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) في حصونهم بضع عشرة ليلة وبعدها تمكن جيش المسلمين من أن يفتح اول حصونهم وهو حسن ناعم ثم القموص ثم حصن الصعب، وكان آخر حصونهم وأقواها وأكثرها إمكانيات هو حصن خيبر [٣]، وكان على رأس باب هذا الحصن أحد أشجع اليهود واسمه مرحب، وبعد أن فشل عدد من الصحابة في اقتحام هذا الباب أرسل إليهم رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) رجل كرار غير فرار فبرز علي(عليه السلام) ذلك القائد وطالت المبارزة بينهم حتى طرح مرحب الشرس من يد علي(عليه السلام) فتمترس بباب ثقيلة وأهوى علي (عليه السلام)بسيفه على وجه مرحب وسقط ذلك القائد الممكن عسكرياً وسقط معه حصن خيبر واستأسر من فيه، وغنم المسلمون غنائماً كثيرة وصاح صوت (صلى الله عليه وأله وسلم)لا فتى إلا علي (صلى الله عليه وأله وسلم) وكان هذا النداء يرج الآفاق ويلهب الحماس للجيش المسلم[٤] .

ومَنّ الله عزو وجل على المسلمين بفتح خيبر **(وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)**[٥]، أن هذا الفتح هو فتح خيبر، وقال قوم : هو فتح مكة، وبعد أن فتحوا خيبر رزقهم الله مغانم كثيرة،

(١) أعيان الشيعة: محسن الأمين ، ١١ / ٢٧٠ .

(٢) ظ: مواقف وعبر في غزوة خيبر : د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، ط١ ، ٢٠١٦م ، جامعة أم القرى ـ مكتبة الملك فهد ، ١٤٣٧ .

(٣) السيرة النبوية : ابن هشام ، ٢٨٨.

(٤) ظ: المناقب : ابن شهر اشوب / ٢/ ٧٨، و ظ ، أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين : هادي المدرسي ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، دار العلوم ـ لبنان ، ١ / ٢٠٣ .

(٥) سورة الفتح: الآية : ١٨ .

فالغنيمة ملك أموال الحرب من المشركين بالقهر والغلبة، وهو حكم الحاكمين (**وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا**)[١]، وكان هذا وعد مسبوق يراد به غنائم خيبر هذا ما أراده الله[٢]، فبعد رجوعهم من الحديبية وعدهم الله بمغانم تكريماً لهم لما قاموا به من الامتثال إلى أوامر رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) فعوضهم الله بمغانم خيبر، وقيل غنائم هوازن وقيل كذلك غنائم الفرس والروم[٣].

فكانت بداية المواجهة مع يهود المدينة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وكانت نهايتها يهود خيبر فبعد إخراج اليهود من المدينة توجه معظمهم وخصوصاً قادتهم إلى خيبر، فأصبحوا قوة عسكرية كبيرة محصنة بحصون عديدة ومزارع تمثل مركز لقوة اليهود العسكرية والسياسية والاقتصادية، وكان همهم زرع الفتن بين المسلمين وكان هذا واضحاً في دعمهم وتأييدهم لمعركة الأحزاب[٤]، لكن الله أراد أن تكون تلك الإمكانيات العسكرية والاقتصادية الكبيرة غنائم للمسلمين يأخذونها **(وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا)**[٥]، وقد أشار الشيخ الطوسي أن هذه المغانم هي مغانم خيبر وكل ما يغنمه المسلمون من دار الحرب، وبهذا النصر كف الله يد اليهود عن المسلمين وأضعف قوتهم **(وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ)**[٦]، يعني يهود خيبر ومن كان معهم من أسد وغطفان الذين ذهبوا للصلح بعد معركة خيبر[٧] .

وبعد فتح خيبر بعث رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) إلى يهود فدك فقذف الله بقلوبهم الرعب بعد أن سمعوا أخبار خيبر وما كان عليه المسلمون من إمكانيات عسكرية، فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وصالحوه على النصف من فدك بمثل ما أخذ من خيبر، وكانت فدك خالصة لرسول الله فأهداها لفاطمة

---

(١) سورة الفتح : الآية : ١٩ .

(٢) ظ: التبيان: الطوسي ، ٩ / ٣٢٨ .

(٣) ظ: الميزان: الطباطبائي ، ١٨ / ٢٨٦ ..

(٤) ظ: الترتيبات المالية في تاريخ غزوة خيبر: د. صلاح التيجاني ، محمد حمودي ، ٩٤ .

(٥) سورة الفتح: الآية : ١٩ .

(٦) سورة الفتح: الآية : ٢٠ .

(٧) ظ: التبيان: الطوسي ، ٩ / ٣٢٩ .

الزهراء عليها السلام؛ لأنه لم يشترك المسلمون بها لا بخيل ولا ركاب، وجملة من استشهد من المسلمين في معركة خيبر ستة عشر رجلاً ، وقيل أن عددهم ثمان عشر شهيداً ، أما من اليهود فقد سقط ثلاث وتسعون مقاتلاً [1] .

ويتضح مما تقدم أن هذه الأمة تملك جميع المقومات والمرتكزات العسكرية المهمة وأهمها وأكثرها قوة هو عنصر الإيمان، مقابل ما يملكه العدو من عدة وعدد، وإن هذه الأمة يمكنها الرجوع إلى عزتها ومجدها وذلك بالأخذ من تلك الجذور الإيمانية والسير على الطريق الذي سار عليه المسلمون الأوائل لكي يُمكّنها الله عسكرياً على عدوها .

المبحث الثاني : التمكين في عهد الإمامة :

إن لدراسة التمكين في عهد النبي (صلى الله عليه وألـه وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام)من بعده أهمية كبرى ، وتتمثل هذه الأهمية بأخذ العبرة والموعظة الحسنة من ذلك التمكين، إذ كانت ملامح التمكين واضحة جداً في عهد النبوة، وأصبح النبي (صلى الله عليه وألـه وسلم) مُمَكناً ومبسوط اليد في الحقبة الأخيرة من حياته، لكن الأئمة (عليهم السلام)لم يكونوا مبسوطين اليد في زمانهم إلا بفترات قليلة، سنتطرق إليها في البحث ونسلط الضوء على أبرزها، والتي تشمل التمكين الاقتصادي في عهد الإمام علي (عليه السلام) وكذلك التمكين العلمي لدى الإمام الصادق(عليه السلام) وما سيكون عليه من تمكين منتظراً لدولة التمكين العادلة في زمن الإمام المهدي(عليه السلام) كون هذه الجوانب هي أبرز ما تمكن به الأئمة (عليهم السلام)في تلك الفترة من حياتهم ، وذلك من خلال المطلبين الآتيين :

(١) ظ: الرحيق المختوم : صفي الدين المباركفوري ، دار ابن خلدون للنشر ـ مصر ، الجامعة السلفية ، ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

المطلب الأول : التمكين الإقتصادي للإمام علي (عليه السلام):

إن الحديث عن التمكين الاقتصادي والعدالة الاجتماعية في سياسة الإمام علي (عليه السلام)الاقتصادية يقتضي الرجوع إلى حقبة الحكم التي سبقت حكمه وتحديداً في حكم الخليفة الثالث، إذ كانت تلك الفترة تنماز بأنها فترة تمكين اقتصادي وإمكانيات مالية كبيرة (لفئة خاصة) ذات قرابة من الحاكم مما أسهم بشكل فاعل من تمكينهم في الأرض ، وهذا قد شكل عائقاً كبيراً وضخماً أمام السياسة الإصلاحية التي كانت لدى الإمام علي(عليه السلام) والتي بدأت بإصلاحات اقتصادية ومالية[١]، إذ باشر الإمام باتخاذ عدد من الإجراءات لإصلاح النظام المالي المختل الذي تسلمه من أجل إعادة الاقتصاد الإسلامي إلى مساره الصحيح، فكان لابد من تغيير في أجهزة السلطة التنفيذية ليتمكن من تطبيق سياسته المالية الرامية نحو الإصلاح، فعمد إلى عزل ولاة الخليفة الثالث واستبدالهم بمن هم أحق واجدر بالولاية، فأمر بمصادرة الأموال التي اقتطعها عثمان بن عفان لاتباعه في الأمصار من بيت مال المسلمين، وأتبع الإمام علي(عليه السلام) سياسة المساواة في العطاء التي تساوي بين العرب والموالي، وهي نفس السياسة الاقتصادية والمالية التي كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) ومن خلال هذه السياسة وضع الإمام (عليه السلام)حجر الأساس للفكر الاقتصادي الإسلامي[٢]، فكان (عليه السلام) لا تأخذه لومة لائم في تحقيق ما يريده الله من عدالة اجتماعية بين الرعية في الجانب المالي الذي هو ركن أساس في حياة الرعية .

(١) ظ : السياسة الاقتصادية للإمام علي (ع) ودورها في بناء الإنسان : بلال كاظم ـ د. حيدر قاسم ، ١ / ٢٣٠.

(٢) ظ: السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة: زمان عبيد وناس ـ مروة حمزة كاظم ، المجلة العربية للنشر ، العدد ٩ ، ٢٠١٩م ، جامعة كربلاء ـ كلية التربية ـ قسم التاريخ ، ٤ .

أولاً : الرقابة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام):

تأسست الرقابة المالية والاقتصادية في الإسلام وفقاً لأحكام الإسلام المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم تطور النظام الرقابي المالي بتطور الدولة الإسلامية إذ بلغ أوج عظمته في حكم الإمام علي (عليه السلام) فكانت ملامح التمكين الاقتصادي واضحة في حكومته وكانت بما يناسب مفهوم الشريعة الإسلامية في المجالات الدينية والدنيوية اقتصادياً واجتماعياً مما أوجد نظاماً رقابياً دقيقاً وتمكيناً اقتصادياً يقوم على أساس متكامل ، وقد أزدهر هذا النظام الاقتصادي والرقابي بسبب قوة الوازع الديني لدى العاملين عليها، إذ كانت قواعد الرقابة المالية كافية لتمكين الدولة اقتصادياً وفرض الرقابة على أموال الدولة[١] .

وقد سبقت حكومة الإمام علي (عليه السلام)الدور الكبير الذي قام به رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) في تطبيق الرقابة المالية من أجل التمكين الاقتصادي للدولة الإسلامية متخذاً من القرآن الكريم دستوراً له ، إذ وردت آيات عدة تشير إلى الرقابة على المال منها[٢] **(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)**[٣] .

فهذا النص الشريف يتحدث عن أموال السفهاء وواجب المسؤول تجاهها وينهي الجماعة والحكام من أن يسلموا الأموال للسفهاء ويضيف الأموال إلى الجماعة نفسها على الرغم من أنها أموال أفراد منهم؛ وذلك استشعار بأن الأموال هي ملك عام لابد من الرقابة عليها من أجل الحفاظ عليها وتنميتها ، وأن هذه الأموال جعلت لإقامة حياة الجماعة وتمكينها من مواصلة حياتها الكريمة وتحقيق الأهداف الإلهية من خلافة الإنسان على الأرض، ولما كان السفيه بالمعنى الخاص والعام لا يصلح لتحقيق الأهداف، فقد منع الله الجماعة من أإطلاق يده[٤]، (صلى الله عليه وأله وسلم) فالخطاب لعامة الأولياء إذ أضاف المال إليهم ؛ لأنهم يلونها ويمسكونها، أو الخطاب للامة وإضافة الأموال إليها مع أن المال كان ملكاً للسفيه ؛ للإشعار بأن سوء تصرف

(١) ظ: الرقابة المالية : د. محمد خير العكام ، ط١ ، ٢٠١٨م ، الجامعة الافتراضية السورية ـ دمشق ، ٣ .

(٢) ظ: السياسة الاقتصادية للإمام علي (ع) ودورها في بناء الإنسان: بلال كاظم ـ د. حيدر قاسم ، ٢٤٠.

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥ .

(٤) ظ: الإسلام يقود الحياة: محمد باقر الصدر ، ط٢ ، ١٤٣٤هـ ، دار الصدر ـ تراث الشهيد الصدر ، ٣٦.

الفرد في ماله أو حسن تصرفه فيه ينعكس أثره على الجميع، ومن ثم كان مال الأفراد مالاً للأمة وهي مسؤولة عن حسن تصرف كل فرد فيها بما يملك(صلى الله عليه وأله وسلم)[١].

فالرقابة على المال مسؤولية فردية وجماعية، والسر في هذا التعبير ولا تؤتوا السفهاء أموالكم هو بيان مسألة اجتماعية اقتصادية مهمة، إذ أن الدين الإسلامي يعد الأفراد والجماعة بمثابة كتلة واحدة ، فلا يمكن أن تنفصل مصالح فرد عن مصالح الآخرين، وأن خسارة فرد هي خسارة للآخرين[٢] .

فمن هذا المنطلق حظيت الرقابة الاقتصادية عند الإمام علي (عليه السلام)بفلسفة خاصة من طراز رفيع وهدف سامٍ ورؤية ثاقبة من أجل تمكين الأمة اقتصادياً، لذلك استندت الرقابة الاقتصادية في فلسفة الإمام علي (عليه السلام)إلى روح الإسلام التي هي هدفها إنسانية الإنسان وحفظ ماله وكرامته وحفظ دينه وحماية حقوقه من الإسراف والتضيع فالتمكين الاقتصادي لدى الإمام علي (عليه السلام)يستند إلى الإرث الإنساني الكبير من القيم التي سنها النبي (صلى الله عليه وأله وسلم) في نفوس المسلمين كصدق المعاملة والأمانة ذلك الحصن الحصين الذي وضع الدين الإسلامي ضد الأمراض المالية إن صح التعبير من رشوة وخداع وسرقة للمال العام والخاص وأكل السحت[٣]

فالتمكين الاقتصادي عند الإمام علي (عليه السلام) يتخذ من قوله تعالى :(**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**) قاعدة لتوزيع المال بين الرعية [٤] ، فكانت سياسته المالية بمثابة ثورة على واقع الأمة الذي انحرف بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وأله

(١) الأساس في التفسير: سعد حوي ، ٢ / ٩٩٧ .

(٢) ظ: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٣ / ١٠٨ .

(٣) ظ: الفكر الرقابي عند الإمام علي (ع) : رحيم علي صباح ـ عبد الحميد حمودي ، مجلة جامعة بابل ، العدد ١ ، ٢٠١٤م ، المجلد ٢٢ ، ٨ .

(٤) سورة الحجرات: الآية : ١٣ .

وسلم) كان توزيع الأموال على المقربين، فعمد امير المؤمنين إلى حفظ بيت المال والرقابة الشديدة عليه والتقسيم بعدالة[١] .

لم تكن الرقابة في نهج الإمام علي(عليه السلام) وحكمه رقابة سيف مسلط على رقاب العاملين أو رقابة بشعة ، بل كانت رقابة قائمة على الخشوع من الله تعالى، لذا كان أسلوبها الرفق بالعاملين عليها وحمايتهم من أن ينزلقوا في شراك الفساد والانحراف المالي، وقد حظيت كتب التاريخ أن ما عليه أمير المؤمنين من رقابة على العمال وضرورة بث العيون عليهم وتفقد أعمالهم وعدم الاكتفاء بحسن الظن، فالنفس قد تضعف أمام المال والأيدي قد تتعدى على أموال المسلمين[٢] .

فكانت كل هذه الرقابة من أجل أن لا يكون المال بيد فئة معينة (**كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)**[٣]، أي حتى لا يبقى المال متداولاً بين الرؤساء منكم والأقارب ، فكان (عليه السلام)يعمل بحسب ما أمره الله في الرقابة على المال كي يتساوى الجميع، وبهذا تحصل العدالة الإجتماعية[٤] .

ففي هذا النص الذي اعتمده أمير المؤمنين (عليه السلام) نجد الأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان وهو حق الجماعة كلها في الثروة وعدم أفضلية شخص على شخص بين الأغنياء منكم، فهي تفسير لتشريع الرقابة على المال العام بكونه طريقة لضمان الحقوق ومنع احتكار بعض أفراد الجماعة للثروة، وتأكيداً على وجوب الرقابة على القطاع العام لمصلحة الفرد ليضفر جميع أفراد الجماعة بحقهم في الانتفاع بالإمكانيات الاقتصادية التي خلقها الله لخدمة الإنسان وتمكينه اقتصادياً كي لا يحتاج إلى أحد[٥] .

---

(١) ظ: السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة : زمان عبيد ـ مروة حمزة ، ٥ .

(٢) ظ: الفكر الرقابي عند الإمام علي : رحيم علي صباح ـ عبد الحميد حمودي ، ٨ .

(٣) سورة الحشر: الآية : ٧ .

(٤) ظ: إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : محمد السبزواري النجفي ، ٥٥١ .

(٥) ظ: اقتصادنا : محمد باقر الصدر ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ ، دار تراث الشهيد الصدر ، ٢ / ٧٨١ .

فكانت رقابة الإمام علي (عليه السلام) على المال العام تُمثّل رقابة الله في أرضه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، أي ان الله عزو وجل يحصي علينا أعمالنا ونياتنا ويعلم بها ويراها جميعاً [2] .

وبهذه التشريعات حفظ الإسلام المال وصانه من الفساد حتى يؤدي المال دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية، فالإمام (عليه السلام) نِعم المؤتمن ونِعم الرقيب على ذلك المال من أجل التمكين الاقتصادي للفرد المسلم، وبالتالي يكون المردود المالي للجماعة المسلمة، فتكون لها القدرة المالية والتمكين الاقتصادي بما يرضي الله .

ثانياً : التوزيع العادل للمال في عهد الإمام علي (عليه السلام):

لو درسنا جانباً من التوزيع للمال بين الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لرأينا إنموذجاً من نماذج العدالة في التوزيع الحقيقي للثروة بلا تمييز بين مسلم ومسلم وعربي وغير عربي ، فكانت العدالة من منظور قرآني وكذلك السنة الشريفة ، وما جرى بينه وبين عقيل بن أبي طالب في الحادثة المعروفة خير دليل على عدالة التوزيع لتلك الإمكانيات الاقتصادية حتى ذكرها الامام عليه السلام في نهج البلاغة في قوله (عليه السلام) والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان، من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده، مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها ؟فقلت أصلة، أم زكاة، أم صدقة؟فذلك محرم علينا أهل البيت! فقال لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هدية . فقلت : هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني(صلى الله عليه وألـه وسلم) (نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤)، وكذلك تشدده على أثرياء قريش

(١) سورة النساء: الآية : ١ .

(٢) ظ: تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ٣ / ٨٤ .

والجماعات التي اتسعت ثروتها قبل خلافته هو خير دليل على تلك العدالة[١]، **(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)**[٢] .

إن الحكومة والحكم بين الناس بشكل عادل ومنصف وتوزيع الإمكانيات المادية على جميع الرعية هو وديعة إلهية من قبل الله للحاكم، وهي وديعة مهمة جداً يجب إيداعها بيد من هو أهلها[٣]، وعلي (عليه السلام) أهلاً لذلك، فقد كان الإمام علي (عليه السلام)همه الأول كحاكم إسلامي تمكين المجتمع اقتصادياً وتطبيق الصيغة الإسلامية الصحيحة للحياة الإنسانية في المجتمع ، لذلك كانت أمور السياسة والإمكانيات الاقتصادية والإدارية وشؤون الحرب هي شغله الشاغل، إذ كان ميدانه الحقيقي تفقّد السوق والتأكد من تطبيق الشريعة الإسلامية ؛ كونه مسؤولاً عن الأمة في جميع شؤون حياتها ومسؤول عن تمكينها الاقتصادي[٤] .

فكان الوالي الذي اختارته السماء اختياراً **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)**[٥]، فالأولى بأن يتصرف في الأمة وبإمكانياتها المادية وتوزيعها بما يرضي الله باتفاق الجميع أنه كان المراد من قوله تعالى في الآية أعلاه ، فكان إماماً للأمة إماماً عادلاً[٦]، فهو المعطي والموزع الذي لا يأخذ ، فكان معطي لله وفي سبيل الله كل شيء، فوصفت لنا الآية حاله في الإعطاء، بمعنى حال من يعطون الزكاة وهم في حال الركوع حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فلم يتأخر عليه إلى أن يكمل صلاته فطرح له ما كان يملكه من

---

(١) نهج البلاغة ،خطبة ٢٢٤

ظ: أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين : هاشم حسن ناصر ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار أنباء للطباعة ـ النجف ، ٥١ ـ ٥٣ .

(٢) سورة النساء: الآية : ٥٨.

(٣) ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ١٠ / ٤٢٢ .

(٤) ظ: الرؤية السياسية عند الإمام علي (ع) قراءة في عهد إلى مالك الأشتر : د. شاكر مجيد كاظم ، ط١ ، ٢٠١٧م ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ـ العتبة الحسينية ، ٤٨ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٦) ظ: ابكار الأفكار في أصول الدين : سيف الدين الأمدي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، دار الكتب ـ القاهرة ، ٥ / ١٥٢.

خاتم، وإن قيل أن اللفظ في الآية جاء بالجمع ولم يكن مفرد قلنا هو إشارة للجماعة ليرغبهم الله في مثل فعله لينالوا ثوابه[١] .

وكانت صلاته لا تمنعه من قضاء حاجة الناس وهذا عين السعي لتمكين المجتمع مادياً، فقد مد يده الشريفة إلى خلفه وأومأ إلى طالب الحاجة السائل الذي سأل المساعدة بخاتمه فأخذه من أصبعه عليه الصلاة والسلام[٢]، فخصه الله بقوله :(**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)[٣] .

فقد كان الإمام علي (عليه السلام)يسعى كثيراً إلى تمكين المجتمع اقتصادياً من أجل رفع الذل عنه، وقد طبق الإمام (عليه السلام)الإدارة الاقتصادية الإسلامية عملياً في إدارة شؤون الدولة كحاكم عادل اهتم بتوزيع الثروة على من يحكمه، وكان (عليه السلام) يفكر في أفضل الطرق والوسائل التي من شأنها أن توزع المال بشكل عادل من أجل حياة ينعم بها الجميع ، ويلاحظ فيها المساواة مع ملاحظة أن هذا المجتمع يدين بدين الإسلام وأن شؤونه الاقتصادية والاجتماعية تخضع لقوانين الإسلام [٤] .

إذ كان التوزيع للمال ينطلق من قوله تعالى (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)[٥]، فعندما أتته امرأتان أحدها عربية والأخرى غير عربية تسألانه فأمر لكل واحدة منهما بكر من الطعام وأربعين درهماً ، فقالت العربية : أتعطني مثل الذي أعطيت وأنا عربية وهي مولاة ؟ قال(**عليه السلام**): أني نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق (عليهما السلام)[٦]، هكذا كان توزيعه للمال من أجل أن يتمكن المجتمع مالياً ولا يحتاج لغير الله .

---

(١) ظ: أعيان الشيعة : محسن الأمين ، ١ / ٣٦٩ .

(٢) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، ٣٥/ ١٩٠.

(٣) سورة المائدة : الآية : ٥٥ .

(٤) ظ: الرؤية السياسية عند الإمام علي (ع) قراءة في عهده إلى مالك الأشتر : د. شاكر مجيد كاظم ، ٤٨.

(٥) سورة الحجرات : الآية : ١٣ .

(٦) ظ: حياة الصحابة (رض) : محمد يوسف الكاند ، ١٩٦٩م ، دار النهضة للطباعة ـ القاهرة ، ٢ / ٣١.

فالإمام علي **(عليه السلام)** لم يكن ممن يكنزون الذهب والفضة بل هو يسعى الى إنفاقها في سبيل الله في مقابل فئة أخرى تكنز ولاتنفق إذ قال تعالى : **(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[١] .

فمفهوم الكنز حفظ المال المكنوز، وهذا عادة عند الحكام والملوك وإدخاره ومنع ذلك المال أن يجري بين الناس لكي يتمكنون من معايشهم و الانتفاع به، فينتفع به بالأخذ والرد، وهذه الآية الكريمة ذامّه لمن كانوا يكنزون الذهب والفضة من ملوك وأحبار وأكلهم المال العام بالباطل والصد عن سبيل الله وتتوعدهم إيعاداً شديداً ، فالحقوق المالية واجبة في إقامة الدين بها وهي صلب المجتمع الديني ومصدر تمكينه ومن كنزها ولم ينفقها فله عذاب شديد[٢]، فلم يدخر (عليه لسلام) مالاً ولا جهداً إلا وزعه بالسوية على من كان تحت ولايته ولعدالته في التوزيع ومما ذكره أبي الحديد المعتزلي نقلاً عن الشعبي قال: دخلت الرحبة بالكوفة ـ وأنا غلام ـ في غلمان ، فإذا أنا بعلي (عليه السلام) قائما على صبرتين من ذهب وفضة ، ومعه مخفقة ، وهو يطرد الناس بمخفقته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس ، حتى لم يبق منه شيء[٣]، و(صلى الله عليه وأله وسلم) حينما قدم بمال من أصبهان قسمه على سبعة أسهم ، ووجد من ضمن ذلك المال رغيفاً فكسره على سبعة أسهم ، وجعل على كل قسم منها كسرة خبز، ثم دعا الأمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً [٤].

يتضح مما سبق أن إصلاح النظام الاقتصادي وتمكين الأمة اقتصادياً وجعل شعبها مُمكّناً اقتصادياً، يبدأ من القمة فإذا صلح الحاكم صلح المحكوم، وهذا ما عمل عليه أمير المؤمنين **(**عليه السلام**)** فكان نِعم الحاكم المُمَكّن، فقد راقب المال بكل أنواع الرقابة المالية من إنشاء نظام الحسبة لرقابة الأسواق وغيرها، وكذلك كان يشرف بنفسه وبيده على توزيع المال بشكل عادل، إذ كان لا يفرّق بين ومسلم وغير مسلم، وعربي وغير عربي ، وسيد ومولى.

---

(١) سورة التوبة : الآية : ٣٤ .

(٢) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ٩ / ٢٥٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ، ط١ ، ١٩٥٩م ، دار إحياء الكتب ، ١ / ٤١٤ .

(٤) بحار الانوار : العلامة المجلسي ، ٣٥/٣٤.

المطلب الثاني :التمكين العلمي في زمن الائمة (عليهم السلام) :

ويكون على النحو الاتي :

أولاً : التمكين العلمي للإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

لقد نشأ جعفر بن محمد الصادق في بيت أدب وعلم ونسب رفيع، تربى ودرج في مدينة رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم)، وكانت تعج بالعلماء من الصحابة وكبار التابعين، فأخذ العلم عن أبيه وعن جده زين العابدين، فكان في ذلك الجو العلمي الذي تشع أنوار العلم والتقوى في ربوعه بين بيت رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وبين مسجده(صلى الله عليه وأله وسلم)[١] .

وقد أخذ أهل البيت(عليهم السلام) بتوارث العلم اللدني **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)**[٢]، فهم العترة الطاهرة من ولد علي وفاطمة يرث العلم أحدهم من الآخر[٣]، (صلى الله عليه وأله وسلم) وأقام الإمام الصادق مع جده علي بن الحسين أثنى عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة وأخذ عنه العلم والمعرفة وتربى في مدرسته، إذ كان جده زين العابدين سيد أهل البيت في عصره وأعلم الأمة في زمانه وأورعهم وأصدقهم حديثاً بعد وفاة جده ، ثم تفرد به أبوه الإمام الباقر بعد وفاة جده وهو باقر علم الأولين والآخرين فكانت تلك بداياته[٤] .

فالإمام (عليه السلام) رائد مدرسة العلم التي قال الله تعالى بحقها **(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**[٥]، والمراد بحسب مفهوم الآية وما ينطبق عليها هو العلم بالله والعلم من الله، فالعلم والتمكين العلمي هو من يكمل الإنسان وينتفع بحقيقة العلم ويتضرر الإنسان بعدم العلم والمعرفة، فالعلم بالله ينفع الإنسان بالحياة

(١) الإمام جعفر الصادق: صالح بن عبد الله الدويش ، دار ابن الجوزي ، ١٢ ـ ١٣ .

(٢) سورة فاطر : الآية : ٣٢ .

(٣) ظ: التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، ٦ / ١٢٩ .

(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : أسد حيدر ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ١ / ٣٩ .

(٥) سورة الزمر :الآية : ٩ .

الدنيا ويفنى بفنائها[١]، وعن (صلى الله عليه وأله وسلم) فرات الكوفي قال : حدثنا حمدون معنعناً عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام)قال: الذين يعلمون نحن والذين لا يعلمون عدونا(صلى الله عليه وأله وسلم)[٢] .

وأهل البيت (عليهم السلام)أعلم الناس بكتاب الله وهم أهل القرآن الذي فيه علم كل شيء وهم المتمكنين الذين يسألهم الناس **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[٣]، عن علي (عليه السلام)أنه قال : نحن أهل الذكر، وعن أبي جعفر : أن الله سمى النبي محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) ذكراً (صلى الله عليه وأله وسلم) ، وقيل : الذكر أهل التوراة والإنجيل ، وقيل : هم أهل القرآن، والذكر هو القرآن الكريم وهم العلماء بالقرآن [٤] .

فأهل الذكر هم المتمكنون الذين مكنهم الله، وأهل الذكر أهل الكتاب فسألوهم لوثوقكم بهم ، وعنه (عليه السلام نحن أهل الذكر وإن الذكر هو رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) إن كنتم لا تعلمون وذلك فإنهم يعلمون[٥]، (صلى الله عليه وأله وسلم) ولما كان الإمام الصادقْ (عليه السلام) وارث أهل الذكر ووارث بيت النبوة ، كان يتمتع بما تتمتع به الأئمةْ (عليهم السلام)من الفطنة وحدة الذكاء وسرعة البديهية في الردود والأجوبة، فكان أفقه الناس بالقرآن وكان أعلمهم في استنباط أسرار الله في القرآن الكريم وأكثرهم تمكيناً علمياً [٦] .

---

(١) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ١٧ / ٢٤٣ .

(٢) تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي ، ط١ ، ١٩٩٠م ، طهران ، ٢٦٣ .

(٣) سورة النحل : الآية : ٤٣ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي ، ٧ / ٧٣ .

(٥) ظ : تفسير شبر : السيد عبد الله شبر ، ط٢ ، دار الكتب ـ القاهرة ـ مصر ، ٣١٥ .

(٦) مرويات الإمام جعفر الصادق : عبد الشافي احمد ، مجلة الدراسات العربية ـ كلية العلوم ـ جامعة مينا ، العدد ٢٢ ، ٢٠٠٤م ، ١٢٢٣ .

فالإمام (عليه السلام)المبين والشارح لكتاب الله بعد آبائه (**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**)[١]، ويعد الإمام الصادق عليه السلام صاحب أكبر واضخم جامعة علمية في عصره وأكثر المتمكنين في علوم القرآن ، فكان من الطبيعي جداً أن تنشر العلوم على لسانه ،فيذكر الرجاليون ومؤرخُ الفرق أن عدد كبير من العلماء قد تتلمذ على يده وكانوا مهتمين بالتفسير [٢] .

وأصبح الإمام (عليه السلام)في زمانه منارة للعلم ولتمكينه العلمي فقد (صلى الله عليه وأله وسلم) نقل عنه الحديث واستفاد من علمه جماعة كبيرة من الأئمة وأعلام الأمة ، فكانت مدرسة الإمام الصادق زاهرة بالعلوم، وكان (عليه السلام) هو زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر وأول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام [٣]، ولعلمه أصبح الكل يدعي الوصل به والانتساب إليه فأهل السنة يرون أن هذا الإمام المتمكن علمياً هو إمامهم وأنهم إليه يرجعون، وكان مالكاً من علماء العامة يفخر بالإمام الصادق **(عليه السلام)** بل يذكر أن مالكاً كان يحمد الله على نعمة وجود الإمام الصادق**(عليه السلام)**، وكذلك أبو حنيفة كان هو الآخر يفتخر بالسنتين الذين تتلمذ بها على يد الإمام جعفر الصادق **(عليه السلام)**وذلك بقوله ((لولا السنتان لهلك النعمان)) [٤] ناهيك عن الشيعة الإمامية فهم يفخرون بهذا الإمام المُمَكن بالانتساب إليه، حتى سرت عليهم تسمية الجعفرية نسبة اليه (عليه السلام).

لقد عمل الإمام الصادق **(عليه السلام)** على تمكين مدرسة أهل البيت**(عليهم السلام)**، إذ كانت فرصة كبيرة و عاش الفترة الذهبية من حياة الإسلام العلمية الواقعة بين نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، إذ تمكن خلال هذه الفترة من أن يجعل بيته جامعة علمية يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الفقه والتفسير وعلم الكلام، وكان مُمكّناً في ذلك فيحضر مجلسه في أغلب الأوقات ألف طالب للعلم

(١) سورة النحل: الآية : ٤٤ .

(٢) تفسير الإمام الصادق: د. خضير محمد نبها ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، دار الهادي للنشر ، ١١ .

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر ، ٤٠ .

(٤) مختصر التحفة الاثني عشرة : شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي واخرون ، المطبعة السلفية، بلاط، ١٣٩٣هـ ، ٨.

والمعرفة، وبعض الأحيان يصل العدد إلى أربعة آلاف طالب جلهم من العلماء[١]، فكيف لا تكون له كل هذه الإمكانيات العلمية وهو الذي ورث العلم عن جده رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) الذي قال به عز وجل : (**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**[٢]، (صلى الله عليه وأله وسلم) فهل كان علمه علماً كسبياً أخذه عن آبائه الكرام ثم فتح الله عليه إشراقات نفسه؟ أم أن علمه كله إلهام من الله تعالى يشبه الوحي أو منه قريب؟ ويتضح أنه من العلوم النبوية التي جاءتهم بتوارث العلم اللدني فالامام يرث علوم الامام اي من غير دراسة، وهذا ما يعتقد به الإمامية ويقرون ذلك ويقولون أن علم الإمام علم لدني وهو إشراقي خالص وليس كسبي(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣] .

فهذه المدرسة هي عدل القرآن وباب من أبواب رحمة الله وتمكينه لدينه إذ (صلى الله عليه وأله وسلم) نُقل عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله(عليه السلام) : فقلت له : إن الشيعة يتحدثون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علم عليا بابا يفتح منه ألف باب فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : يا أبا محمد علم والله رسول الله (عليا ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب)[٤] .

ونقل هذا العلم من صالح إلى صالح وفوق كل هذه العلوم والإمكانيات العلمية للإمام فكان على علم بالأخلاق وما يؤدي إلى فسادها ، وقد أوتي هذا العلم لإشراق روحه ولكثرة تجاربه في الحياة ولالتزامه جادة الحق مع اضطراب الدنيا في عهده[٥].

وبقيت مدرسته العلمية منارا ًعلى الرغم من سياسة الأمويين الهادفة إلى محو آثار أهل البيت **(عليهم السلام)**فكانت إمكانيات الإمام عبارة عن جامعة تمد الرجال بعلوم الدين وزاد الإيمان ذات منهج مستقل وواضح، وقد حفظت لنا مصادر التاريخ صوراً

(١) ظ: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : أسد حيدر ، ٤٠ .

(٢) سورة البقرة: الآية : ١٥١ .

(٣) الإمام الصادق حياته عصره آراؤه الفقهية : محمد أبو زهرة ، ٧٠ .

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، ٢٦ / ٢٩ .

(٥) الإمام الصادق حياته عصره آراؤه الفقهية : محمد أبو زهرة ، ٦٧ .

لمكانه الإمام الصادق العلمية ومدى تمكنه وانتشار علمه في الأمصار الإسلامية ، فكان اسمه في الحديث والرواية من أمارات صحة العلم، فالكل يقول حدثني جعفر بن محمد[١]، لكن للعلم حدود وما علمه الأئمة والأنبياء هو جزء من علم الباري عز وجل علاه (**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**)[٢] .

فـ للتخصص العلمي وللإمكانيات العلمية مزايا وحدود يذكرها صاحب جامع البيان فعن ابن عباس قال: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم، وعن الحسن البصري قال: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي العلم إلى الله(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣] .

فهذه إشارة إلى أن الله تعالى فوق كل متمكن ومقتدر علمياً، فالمراد بالعليم هو الله سبحانه أورد في هيئة النكرة صوناً للسان عن تعرضه للتعظيم[٤]، ولكل شيء بداية ونهاية من غير الله، ففي سنة ١٤٨ للهجرة توفي الإمام روحي له الفداء في المدينة المنورة مدينة العلم وبقيت المدرسة العلمية التي قد أسسها لم تُغلق بوفاته لحسن الحظ وتوفيق من الله، بل ظلت مزدهرة بالإمكانيات العلمية برئاسة ابنه وخلفه الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم **(عليه السلام)**[٥]،الامر الذي يجعل دراسة سيرة الإمام الصادق عليه السلام بغاية الأهمية هو إمكانياته العلمية الكبيرة والتي واكبت العصر الذي كانت فيه الأفكار الضالة قد بدأت والتشعبات والآراء والتداخل السياسي الذي أخذ غطاء شرعياً، فأخذ الإمام عليه السلام بالتصدي لهكذا موضوعات بتمكين من الله، وانطلاقاً من الموروث العلمي الذي أخذه من أهل البيت**(عليهم السلام)**.

---

(١) ظ: الإمام جعفر الصادق والمذاهب الأربعة : أسد حيدر ، ٤٢ .

(٢) سورة يوسف: الآية : ٧٦.

(٣) جامع البيان: الطبري ،١٦ / ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٤) ظ : الميزان: الطباطبائي ، ١١ / ٢٢٦ .

(٥) ظ: مختصر تاريخ العرب : القطب محمد طبلية المعلبكي ، ط١ ، ١٩٦١م ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، ٢٠٩ .

ثانياً : التمكن من تحقيق العدالة في عهد الإمام المهدي (عليه السلام)

إن من أعظم آثار التمكين في الأرض هو تحقيق العدالة وإحقاق الحق ودفع الباطل وإزهاقه، فالتدافع بين الحق والباطل جاري منذ خلق الله الخلق وباقي إلى أن يرث الله الأرض ،وعليه فالمنهج الذي ستقوم عليه دولة العدالة منهجاً قرآنياً عادلاً يرى فيه كل صاحب حاجة حاجته وكل صاحب حق حقه، فيما يرى صاحب كل جرم ومخالفة عقوبته ومصيره فيشعر الناس في دولة العدالة بالأمن والأمان فتزدهر الحياة وتتحرك عجلتها ، ويتمكن العاملون من عملهم وهم واثقون أن حقوقهم مكفولة وكرامتهم مصونة في ظل تمكين الإمام من إدارة شؤونهم لا يصادر لأحدهم رأي ولن تحرق له فكرة ولم يكسر له قلم[1]، وهذا وعد من الله ومنةٌ منه **(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)**[2]، فالله يريد أن ينعم على المستضعفين من كل النعم حتى تثقلهم النعم من خلال جعلهم أئمة للناس يقتدون بهم فيكونوا متبوعين بعدما كانوا تابعين، وكذلك يورثهم الله بعد أن كان الملك بيد غيرهم، ويمكن لهم ويمكنهم من تحقيق العدالة في الأرض فيجعل الأرض كل الأرض مستقراً لهم يقيمون بها عدل الله بعدما لم يكن لهم مكان[3] .

فالذين وعدهم الله هم المؤمنون الموعودون الذين يعملون الصالحات ، ففي تمكينهم يُنشر العدل والأمن، فهم المستخلفون وهذا خاص، وهذا واضح في قوله تعالى :**(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)**[4] وهنا يقول صاحب البحار :(صلى الله عليه وأله وسلم) (**هو الذي أرسل رسوله)** أقول: هذا المضمون مذكور في ثلاثة مواضع من القرآن: أولها في التوبة **(يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره**

(١) ظ: مراحل التمكين دراسة قرآنية : رمضان خميس زكي ، ٦٤ .

(٢) سورة القصص: الآية : ٥ .

(٣) ظ: الميزان: الطباطبائي ، ١٦ / ٩ .

(٤) سورة التوبة : الاية ٣٣,٣٢.
(٥) سورة الفتح : ٢٨
(٦)سورة الصف :الاية ٨,٩

الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وثانيها في الفتح: **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)**(٥) وثالثها في الصف: **(يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)**(١) والظاهر أن الذي ورد في الخبر هو تأويل ما في سورة الصف، وقوله: (والله مُتم) ولاية القائم(صلى الله عليه وأله وسلم)[٢]، وفيه إشارة إلى حكومة الإمام المهدي **(عليه السلام)**العادلة والتي يخضع لها الشرق والغرب، ويجري التمكين العادل في عهد الإمام في جميع أرجاء العالم على يديه[٣]، ومن معه من المؤمنين الصالحين .

إن حكومة المهدي العالمية تتطلب قبل كل شيء العناصر الإنسانية على صعيد القيم والمثل لتتمكن من تحقيق العدالة والنهوض بأعباء الإصلاحات الكبيرة في العالم، وهذا يقتضي الارتقاء بالمستوى الفكري والمعرفي والاستعداد الروحي لتطبيق مشروع التمكين مشروع العدالة، فالمُنتَظِر الواقعي لمشروع التمكين لا يمكنه أن يتخذ موقفاً متفرجاً، فهو جندي باسل في جبهة الإصلاح [٤] ، وقبل مجيء المهدي العادل المتمكن يكون الناس في جور وظلم وفي اختلاف فيما بينهم ، وفيهم ملوك ظلمة وجبابرة، يتمكنون من رقاب الناس وقد ملؤا حياة الناس تعسفاً وعدواناً وظلماً، فقبل ظهوره الناس في بلاء شديد ينتظرون الفرج، فقبل ظهوره وتمكينه لم يُسمع ببلاء أشد منه حتى تضيق الأرض الرحبة بالمؤمنين المنتظرين، فلا يجد المؤمن ملجأ يلتقي إليه من الظلم[١]، فينتظر المنتظرون الخلاص بتمكينه **(قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)**[٢] ،فبعد هذا الظلم (صلى الله عليه وأله وسلم) إذا قام القائم

---

(١) سورة الصف :الاية ٨,٩

(٢)بحار الانوار :المجلسي ٢٤,٣٤١

(٣) بحار الانوار : المجلسي ٢٤,٣٤١

(٤) الحكومة العالمية للإمام المهدي :ناصر مكارم الشيرازي ،ط١,١٣٨٤،مدرسة الامام علي للنشر ،قم ،٨٧

(٥) ظ: المهدي المنتظر: إبراهيم المستوخي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، مكتبة المنار ـ الأردن ، ١٢٠ .

(٦) سورة يونس ، الآية : ١٠٢ .

حكم بالعدل وارتفع في ايامه الجور وأمنت به ويعترفوا السبل وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام بالإيمان ..(صلى الله عليه وأله وسلم)[١] .

إن أول ٰمايقوم به للإمام المهدي(عج) حين ظهوره الشريف يضع يده على رؤوس الناس فتكتمل عقولهم، فهذه العدالة الفريدة والشاملة لا يمكن تحقيقها في مجتمع جاهل ، ولا يمكن تحقيقها ما لم تكتمل تلك العقليات، وهذا من موجبات العدالة[٢]، وكذلك أول ما ينطق به الإمام من قول ليُعرف الناس عليه هذه الآية (صلى الله عليه وأله وسلم)﴿ **بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣] ، وإن (صلى الله عليه وأله وسلم) المراد به من إبقاء في الأرض من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) لهداية الخلق، أو الأوصياء والأئمة الذين هم بقايا الأنبياء في أممهم فعن أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر الحجج والكنايات التي وردت لهم في القرآن: هم بقية الله، يعني المهدي (عليه السلام)الذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً(صلى الله عليه وأله وسلم)[٤] .

وعنه (صلى الله عليه وأله وسلم) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)حديث طويل يذكر فيه القائم (عليه السلام) يقول فيه : فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فأول ما ينطق به هذه الآية (صلى الله عليه وأله وسلم) بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين (صلى الله عليه وأله وسلم) ثم يقول : انا بقية الله وحجته وخليفته عليكم فلا يسلم إليه مسلم الا قال : السلام عليك يا بقية الله في أرضه(صلى الله عليه وأله وسلم)[٥] ، وحينها ينشر العدل ويظهر الله

---

(١) موسوعة الإمام المهدي :محسن عقيل ، ط١ ، ٢٠١١م ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، ٧٦٠ ، وكذلك الإرشاد : المفيد ، ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(٢) ظ: ذلك يوم الخروج : السيد حسين المدرسي ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار أنصاريان ـ قم ، ٣١٦ .

(٣) سورة هود: الآية : ٨٦ .

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ، ٢٤ / ٢١١ .

(٥) تفسير نور الثقلين: الحويزي ، ٢ / ١٩٢ .

دينه على أرضه (صلى الله عليه وأله وسلم) **ويظهره على الدين كله**(صلى الله عليه وأله وسلم)[١] ، هو الإمام الذي يظهره الله على الدين كله فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجورا[٢].

وقد روي عن الشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم الثقفي قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) يقول : القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوي له الأرض وتظهر له الكنوز ، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون(صلى الله عليه وأله وسلم)[٣]، فكيف لا يتمكن من تحقيق العدالة وهو سليل الرسل والمتمم لدعوتهم (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ..)**[٤] ، فهذه الآية تبين عدل الرسل وتمكينهم منه، وكذلك مهمة من جاء من بعدهم من الصالحين الذين يقيمون العدل بين الناس ، والذي وردت أحاديث كثيرة وبألفاظ واضحة على عدله وسخاء نفسه ، إذ أن المهدي (عليه السلام) يعمل بسنة جده (صلى الله عليه وأله وسلم) السنة العادلة، ومن سار على هذا فإن الناس لا يسعهم إلا عدل وكرم ولا يملئ قلوبهم ونفوسهم إلا الرضى بالمنهج الحق منهج التمكين للعدالة[٥]،**إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** [٦]، وهذا متى يكون ؟ يكون إذ لا مانع من تمكينه وتتم المقدمات، وتكون الأرضية جاهزة والقاعدة مستعدة، فيمكن أن يكون غداً ويمكن أن يكون بعد غد وهكذا ..... فتكون حكومته كحكومة داوود (**عليه السلام**) يقضي بينالناس بالعدل[٧] .

---

(١) ظ: تفسير القمي : القمي ، ٢ / ٣١٧ .

(٢) ظ: البرهان : البحراني، ٥ / ٣٦٧ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة : محمد بن علي بن بابويه الصدوق ، ط١ ، ١٣٦٣ ، جماعة المدرسين ـ قم ، ١ / ٣٣٠ .

(٤) سورة الحديد : الآية : ٢٥ .

(٥) ظ : المهدي المنتظر : إبراهيم المستوخي ، ١١٩ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢١٤ .

(٧) ظ: الإمام المهدي : السيد علي الحسيني الميلاني ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، مركز الابحاث العقائدية ـ قم ، ٣٤.

وهذا وعد غير مكذوب وهذا وعد مؤكد وقاطع من الله تعالى بقوله :(**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى)**[١]،والتي جاء في تفسيرها وهم طائفة خاصة من المسلمين ظاهر أعمالهم يوافق باطنها، وما في مرتبة أعمالهم من الدين يحاذي وينطبق على ما عند الله سبحانه من الدين المشرع، فتمكين دينهم المرضى لله سبحانه لهم إكمال ما في علم الله وإرادته من الدين المرضى بإفراغه في قالب التشريع، و جمع اجزائه عندهم بالانزال ليعبدوه بذلك بعد إياس الذين كفروا من دينهم [٢]، وبهذه الصيغ وردت كلمات الله مؤكدة بحروف التأكيد ونحن واثقون بقرب تحقيق دولة العدل الإلهي وقدومه وقت الذي يختاره الله والوقت الذي يحدده[٣] ، فوراثة الصالحين وتمكينهم عهد من الله (**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)**[٤] ، فالرواية في المهدي العادل الذي لابد من ظهوره ولو كان ما تبقى من الدنيا يوم واحد فتكون الأرض كل الأرض تحت عدالته بعدما كانت ملؤها الظلم والجور[٥] .

إن سنة الله في خلقه لا تتغير ولا تتبدل وقوانين التمكين التي أوجدها الله تتسم بالثبات والاستمرارية [٦]، **(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)**[٧] ، أي تحويلاً أو تغيير لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها؛ لأنه هو القادر[٨] على تمكين الصالحين في أرضه وتحقيق العدالة بين خلقه، وهذا الوعد يتطلب تظافر الجهود من المنتظرين لتحقيق قواعد التمكين من أجل خلاصهم من الظلم والجور، وتمتعهم

---

(١) سورة النور : الاية ٥٥.

(٢) الميزان : الطباطبائي ، ٥/٢٠٠.

(٣) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ١٦٦ .

(٤) سورة الأنبياء: الآية : ١٠٥ .

(٥) ظ: الميزان: الطباطبائي ، ١٤ / ٣٣٧ .

(٦) تطلعات المسلمين نحو التمكين: حسين احمد ، ٢٤ .

(٧) سورة فاطر: الآية : ٤٣ .

(٨) ظ: مجمع البيان: الطبرسي ، ٨ / ١٨٢ .

بالأمن والعدل على يد إمام عادل يتخذ من نهج رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) منهجاً له، كي يملأ الأرض عدلاً بعد غياب العدالة، وهذا الأمر ممكن أن يتحقق قريباً شرط توفر شروطه .

المبحث الثالث : واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن :

إن الأصل في تعامل الرعية مع الحاكم المُمَكّن من إدارة شؤونها هو (العدالة) انطلاقاً من قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)** [١] .

فالآية الكريمة بمعناها العام فيها أمر واضح للرعية بالطاعة لله ولرسوله وامتثال أوامرها ، وكذلك الامتثال لأمر القادة والحكام الممكنين من أمرهم واجتناب نواهي الله ورسوله ، وكذلك اجتناب نواهي الحكام الممكنين والقادة ، وهذا ظاهر الآية [٢] . وعلى ما يبدو أن الآية هي إنكار على من يبادر للتصرف بعيداً عن أوامر الله ورسوله والحاكم المُمَكن العادل ، فيجب على المسلم أن يرجع في جميع أموره ومنها السياسية إلى ما قاله رسول الله ، ثم أولي الأمر [٣] .

فلابد للحاكم المُمَكن في دولة التمكين من منهج عمل واضح يتخذ من العدل والعدالة بين الرعية أساساً له لا يميز بين القوي والضعيف، فيأخذ لكل ذي حق حقه، ويأخذ صاحب كل جُرم عقوبة تناسب جرمه، وهنا يشعر الرعية بعدل الحاكم فيطيعوه فتتحرك عجلة الحياة ويشعر الفرد بالأمن والأمان في ظل الحاكم المُمَكن العادل، فتعمل الناس وهي واثقة بأن حقوقها مكفولة فلن يصادر لأي شخص حق أو كلمة أو رأي، وحينها تكون الطاعة واجبة للحاكم المُمَكن العادل ما دام هو مصداق لقول الله ورسوله فتكون الأمة عزيزة ومصانة وكريمة تحت راية العدل، وهذا هو الأصل في

---

(١) سورة النساء : الآية : ٥٩.

(٢) ظ: تفسير القرطبي: القرطبي ، ط١ ، ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان ، ٥ / ٢٥٩ .

(٣) ظ: تفسير ابن كثير: ابن كثير ، ٢ / ٣٦٥ .

الحاكم [١]، وأما عند إنحراف الحاكم عن جادة الصواب يكون التعامل معه بشكل آخر وهذا هو ما أراد الله ورسوله من الحُكام المُمَكنين، ويمكن بيان المبحث في مطلبين:

المطلب الأول : واجبات الرعية تجاه الحاكم المُمَكن العادل :

إن من أبرز صفات الحاكم المُمَكّن العادل هو رضا الله ومحبة المواطنين ، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ((وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ،و المحبة لهم ،واللطف بهم ، فلا تكونن عليهم سبعاً ضارياً على الرعية تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان من ، أما أخٌ لك في الدين أو نظير له في الخلق [٢] .

إذن لابد للحاكم المُمَكن أن يضع العدالة نصب عينية وأمامه ، وأن يكون مصداقاً للآية (صلى الله عليه وأله وسلم)(**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**) [٣] ، وقد روي (صلى الله عليه وأله وسلم) عن علي بن أبي طالب قال : (**(حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله – وأن يؤدى الأمانة - فإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له - وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دُعوا))** [٤] ، فطاعة الولاة مقيدة بإنصاف الحاكم للرعية فقد ورد ((**أمر الله الولاة والحكام أن يحكموا بالعدل والنصفة ، ونظيره قوله : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق**))(٤) أي ياءيها الحكام الممكنين ألزموا طاعة الله سبحانه فيما أمركم به ، ونهاكم عنه [٥] .

إن أفضل ما يكون عليه الحاكم المُمَكّن أن يرتفع بمستواه فيحترم حقوق الرعية لديه، وأن يكون أميناً يعيش خارج ذاته، يعيش في محيط الحق وأفق الصدق ومستوى

---

(١) ظ: مراحل التمكين: رمضان زكي ، ٦٤ .

(٢) مآثر الأناقة في معالم الخلافة ،أحمد بن علي القلقشندي ٣ج،ص٧ .

(٣) سورة النساء: الآية : ٥٨.

(٤) الميزان: الطباطبائي ، ١ / ١١٣ .

(٥) سورة ص : الاية ٢٦

(٦) بحار الانوار ٢٣ج ص ٢٧٤

العدالة [١] ، الحكم بالحق والابتعاد عن النفس الأمارة بالسوء من سمات الحاكم المُمَكن العادل (**فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**) [٢] .

والآية مخصوصة بالحكام ، غير أن خصوص الآخر لا يرفع التعلق بعموم الأول ، فعن مالك بن أنس عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال ((لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت)) [٣] .

فالمعيار في الحكم عند أهل البيت (**عليهم السلام**) وشروط الحاكم المُمَكن العادل هو الالتزام بحكم الله (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) [٤] .

فعن ابن عباس أنه قال ((.. وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبدا ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح به ومالي من سائمة))[٥]، إن طاعة الرعية للحاكم المُمَكّن مشروطة بالعدالة، عن أبي عبد الله قال: أمر الله الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام، وأمر الله والأئمة أن يحكموا بالعدل وأمر الناس أن يطيعوهم [٦] .

وهنا يمكن القول إذا استقام الحاكم المبسوط اليد في حكمه وطبق ما عليه من أحكام أمام الله والرعية، فهنا يتعين على الرعية واجبات كثيرة اتجاه هذا الحاكم أو ذاك، ومنها أن يعضد الرعية الحاكم المُمَكن العادل في حكمه، والأخذ بيده نحو الإصلاح وتوفير كل متطلبات التمكين، والوقوف معه من أجل مصلحة البلاد والعباد، ويمكن بيان واجباته على النحو الآتي

---

(١) ظ: أحداث رمضانية : محمد تقي المدرسي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، دار محبي الحسين ـ طهران ، ٢٠ .

(٢) سورة ص :الآية : ٢٦ .

(٣) أحكام القرآن: الطبري ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ، ٢ / ٤٧١ .

(٤) سورة النحل: الآية : ٩٠ .

(٥) أحكام القرآن: الجصاص ، ط١ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان ، ٢ / ٢٦٣ .

(٦) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي ، ١ / ٢٤٩ .

الواجب الأول: إبداء الولاء له وتقديم النصح له والسعي في نصرته :

يتصف الحاكم في الحكومة الإسلامية بصفات عدة إذا انطبقت عليه تلك الصفات وجب على الرعية واجبات اتجاهه من النصرة والتأييد والتعضيد، ومنها أن يكون عاقلاً بالغاً حسن المشورة والتدبير، هذا بشكل عام أضف إلى ذلك لابد أن يكون للحاكم المُمَكن معرفة بالقضاء الإسلامي حتى تجب طاعته [١]، .

ولابد أن تكون هذه الآية نصب عين الحاكم المُمَكّن العادل ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾[٢] حتى وإن كان في رعيته غير المسلمين ، فالأمر هنا لرسوله (لى الله عليه وآله وسلم) والمعنى عام لكل الحكام ، فكل أحد من الرعية يجازى بحسب عمله لافرق بين مسلم وغير مسلم يجمع الله بين الجميع يوم القيامة [٣] .

فالاية ﴿**إن الله يحب المقسطين** ﴾(٤) آمرة بحل الخلافات بالعدل وهذا واجب الحاكم الممكن العادل، وهو من يعيد الحياة إلى الدين بعدله، وأن يبذل الحاكم قصارى جهده من أجل أن يكون في الاستقامة بطريق التمكين ولعل الجملة أمرت لأعدل فيها إشارة واضحة للحكام أن يحكموا بالقسط بين الناس ، وهذا يوجب إبداء الولاء لهم والسعي في نصرتهم [٤] .

فالحاكم العادل هو المتقي القريب من الله ورسوله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) [٥] ،فالعدل هو الفيصل بين الحاكم الممكن العادل والحاكم الممكن الظالم ، فيبين القاسط والمقسط تطبيق حكم الله على الأرض

(١) ظ: الحكومة الإسلامية : روح الله الخميني ، ط١ ، ١٣٨٩ ، جمعية المعارف الإسلامية ، ٤٥ .

(٢)ٌبحار الانوار ٩ج:٥٢

(٣) ظ: تفسير الصافي: الفيض الكاشاني ، ٤ / ٣٧٠ .

(٤) سورة المائدة :٤٢

(٦) ظ: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٥ م ٤٩٧ـ ٤٩٨ .

(٥) سورة المائدة : الآية : ٨ .

(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [1]، فالله عز وجل يأمر أنبياءه **(عليهم السلام)** وينهاهم، وهذا تشريع لمن جاء بعدهم وتشريع لأممهم كذلك، ولذلك كانت الأوامر متشابهة بين الأنبياء فيما أمر به الله نبينا أمر به النبي داوود **(عليه السلام)** من قبل وما نهى عنه الله نبينا نهى عنه داوود فكانت الآيات التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم بمثابة التشريع للأقوام عن طريق الأنبياء [2] ، فالله عز وجل عادل يحب العدل ومقسط يحب المقسطين أي: العادلين [3] ،إذ هناك شروط يجب أن يتصف بها الحاكم المُمَكن العادل ليكون مثالاً للأنبياء وخليفة بعدهم في أرضه ، فإذا كانت تلك الصفات متوفرة فيه وجب على الرعية الوقوف بجانبه والسعي في نصرته وإبداء الولاء له .

الواجب الثاني: بذل الجهد من أجل نصرته :

لابد للفئة المؤمنة من نصرة الحاكم المُمَكّن العادل والوقوف معه وتعضيده والجهاد بين يديه، ، والتي ورد في تفسيرها إنهم فئة لا تلهو ولا تلعب كالجبابرة بعد انتصارها، ولا يأخذها الكبر والغرور، إنما ترى النصر سلما لارتقاء الفرد والجماعة، وأنها لن تتحول إلى طاغوت جديد بعد وصولها إلى السلطة ، لارتباطها القوي بالله، والصلاة رمز هذا الارتباط بالخالق، والزكاة رمز للالتحام مع الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامتان قويتان لبناء مجتمع سليم، وهذه الصفات الأربع تكفي لتعريف هؤلاء الأفراد، ففي ظلها تتم ممارسة سائر العبادات والأعمال الصالحة، وترسم بذلك خصائص المجتمع المؤمن المتطور[4] .

فالآية وضحّت ما عليه الرعية من واجب اتجاه الذين يسعون للتمكين الحق ، والذين يسعون للتمكين من أجل نصرة دين الله ، فمعنى الآية أن سلطانهم في الأرض ومكناهم أدوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من زكاة وكانوا مصداقاً

(١) سورة المائدة: الآية : ٤٢.

(٢) ظ: أضواء البيان: الشنقيطي ، ٣٤٠ .

(٣) ظ: الأساس في التفسير : سعد حوي ، ١٣٩٣ .

(٤) الامثل: ناصر مكارم الشيرازي ، ١٠ / ٢٦٠ .

للحاكم المُمَكن العادل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والذي يجب تعضيده من أجل مصلحة الرعية(صلى الله عليه وأله وسلم) [١] .

فالتمكّين بحد ذاته ابتلاء للمُمَكّنين (**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**) [٢]، والله عز وجل حكيم جعل الأجيال الجديدة ومكنها وجعلها خلائف في الأرض للأجيال السابقة المُمَكنة في أرضه بعد هلاك الظالمين المُمَكنين ليبتلي الأجيال التي بعدهم فينظر كيف يعملون ، فالعمل الصالح للحاكم للمُمَكن هو سر بقاؤه والعمل غير الصالح هو سر الهلاك .

المطلب الثاني : صفات الحاكم الظالم :

قبل التعرف على واجبات الرعية اتجاه الحاكم المُمَكّن الظالم لابد من معرفة المعيار بين الظلم والعدل لتشخيص الحاكم المُمَكن الظالم من الحاكم المُمَكن العادل ، وبما أننا مجتمع إسلامي فلابد أن يكون القرآن الكريم والسيرة النبوية هي المعيار والفيصل، فمن الآيات التي خصت الحاكم المُمَكن الظالم هي الآية (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)**[٣]، فمن خالف حكم الله فقد تعدى وظلم ، فالله عز وجل هو العادل وما سواه ظلم ، فمن لم يحكم بما أنزل الله فهو الحاكم الفاسق وهو الحاكم الظالم الخارج عن طاعة ربه ، المائل إلى الباطل التارك للحق المتبع لهواه المخالف لمولاه الحق[٤] ، فمنهم من قال أن الآية ناظرة إلى أهل الكتاب وتختص باليهود الذين كانوا مُمَكنين في الأرض ولم يحكموا بما أنزل الله في التوراة .. لكن من المُمكن أن تُحمل الآية على العموم في كل من لم يحكم بما أنزل الله وحكم بخلافه بأنه يكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب[٥]، أن ما يجعل الحاكم يقع في الظلم هو مطاوعة نفسه الأمارة بالسوء ، قال تعالى : (**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ**

(١) مجمع البيان: الطبرسي ، ٧ / ١٥٨ ..

(٢) سورة يونس: الآية : ١٤ .

(٣) سورة يونس: الآية : ١٤ .

(٤) ظ: الأساس في التفسير : سعد حوي ، ٣ / ١٣٩١ .

(٥) ظ: التبيان: الطوسي ، ٣ / ٥٣٩ .

خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[1]، وهذا خطر كبير فهوى النفس ستار كبير وسميك يعض بصيرة الإنسان فتكون العدالة بعيدة عنه، فيضله هوى النفس عن سبيل الله، ومن أتبع هوى نفسه فإن عاقبته الضلال فيفرط بمصالح وحقوق الناس لأجل مطامعه، وعلى هذا تكون حكومة الحاكم المُمَكن الظالم حكومة مضطربة ومصيرها الانهيار والزوال، كل هذا بسبب هوى النفس، وهذا ما نشاهده في عالمنا اليوم للحكومات الممكنة الظالمة [2] فما هي إلا مسألة وقت، قال تعالى : **(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)**[3]، ولا تظن أن الله عز وجل غافلاً، فهو يعلم ويشاهد الظالمون ويعطيهم من النعم والترف في العيش كي يبلوهم وهو يشاهد افسادهم في الأرض، إنما يمهلهم ويؤخر عقوبتهم بشكل مؤقت، فالآية فيها تحذير مبطن للظالمين من الحكام الممكنين في الأرض ، الذين خرجوا عن ما أراد الله من تمكينهم [4] ، يعززه قوله تعالى :**(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)**[5]، والتي جاء في تفسيرها ولا تميلوا ، أيها الناس ، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ، (فتمسكم النار)، بفعلكم ذلك ، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم ووليّ يليكم ، (ثم لا تنصرون) ، يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخلّيكم من نصرته ويسلط عليكم عدوّكم[6]، إذا فالوعيد للحاكم المُمَكّن الظالم فيه تسليه للمظلوم، إنما الله يؤخر عذاب الظالمين الذين تمكنوا

(١) سورة ص ، الآية : ٢٦ .

(٢) الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ١٤ / ٤٩٥ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٤٢.

(٤) ظ : الميزان : الطباطبائي ، ١٢ / ٨٢ .

(٥) سورة هود : الآية ، ١١٣.

(٦) تفسير الطبري ، الطبري ، ٢٣٤.

من رقاب الناس ليوم تشخص فيه الأبصاركما ان فيه نحذير للمظلوم من اتباعه والركون اليه [١].

فهذه الآية تصف حال الحكام الظالمين يوم القيامة ذلك اليوم الذي يحاسب فيه الظالمون على كل متعلقات الدنيا، والله ليس بظالم ولا غافل عن الظالمين من الحكام وغيرهم [٢] ، قال تعالى : **(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)**[٣]،فالله سبحانه لم يظلم ولم يحب الظالمين ، فهو يعذب الظالمين بعدله ؛ لأنه لا يظلم عباده في عقوبتهم [٤] .

إن أشد أنواع الظلم هو ظلم الحاكم للرعية لا سيما ظلم الحاكم المبسوط اليد ؛ وذلك لأنه يمتلك كل الإمكانيات لظلم الرعية وفي الوقت نفسه هو خائن للأمانة التي أعطاه الله له ، وأشد أنواع الظلم عندما يدعي الحاكم أنه مسلم وأن كل ما يصدر منه هو ما يصدر من السماء ، فيضيف ظلمه إلى الله عز وجل ، وبذلك ينفر الرعية منه وربما يبتعدون عن الدين بسببه ، وهنا يتوجب على الرعية واجبات كثيرة بدل الاستسلام تتدرج الواحدة بعد الأخرى من أجل السعي لعدم تمكينه ؛ وذلك لأن وجوده وتمكينه يمثل ضرراً عاماً للرعية ولا مصلحة للأمة ويمكن بيان الواجبات والتدرج بها على النحو الآتي:

الواجب الأول : إبداء النصح وتذكيره بعاقبة الظلم :

لابد من التدرج في التعامل مع الحاكم الظالم ؛ وذلك من أجل ان لايكون له عذراً أو حجة أمام الله والرعية انطلاقاً من قوله تعالى :**(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)**[٥]، فجواز الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) ظ : تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ٣ / ٩٥ .

(٢) ظ : الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٧ / ٢٣٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية :١٨٢ .

(٤) ظ : تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ٢ / ٣٠٩ .

(٥) سورة طه: الآية :٤٣ ـ ٤٤ .

المنكر بطريقة لينة اتجاه الحاكم الظالم ؛ وذلك يكون باللين أولاً؛ لأنه يمتلك القوة وحينما يحصل النصح للحاكم بهذه الطريقة ربما يكون الظفر من خلالها[١]، وعلى الرغم من ان فرعون ظالمٌ لكن الله أمر موسى وأخيه أن يكنيانه بكنيته لعله يرتدع عن طغيانه ، والمنع من أن يكلمانه بخشونة وعنف ، وهو أوجب آداب الدعوة للحاكم الظالم للدخول في دين الله [٢]، وهذا يعني إلقاء الحجة على الظالم المتمكن ((**ولا ينبغي تعظيم صاحب دنياه ، فمن عظم صاحب دنيا وأحبه طمع في دنياه سخط الله عليه وكان في درجتة مع قارون في التابوت الأسفل من النار، وكذلك من تقرب متجاوزاً النصيحة أو تخضع له كان قرينة في النار**))[٣] .

فالحاكم في الأمة الإسلامية لابد من نقده ومراجعته ونصحه وتقويمه إن رأوا فيه ميلاً للباطل وابتعاداً عن الحق ، ولابد أن لا يكون له تأييد مطلق كي لا يقع في الغرور ، وهذه أحكام الإسلام في الحاكم ا الظالم منهم ، لكن نرى اليوم نقد الحاكم الظالم جريمة وخيانة قد تؤدي بحياة صاحبها أو قطع رزقه ، فبعض المفكرين والعلماء المسلمين وضعوا أحكاماً وشروطاً للحاكم المسلم ونصوا على حالات يستوجب فيها النصح للحاكم المُمكّن[٤]، فالدين النصيحة وأوجب ما تكون النصيحة هي للحاكم من رقاب الناس ، فبذل النصيحة له سراً وإن أستوجب علناً [٥] .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) قال :((الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة والمسلمين وعامتهم))[٦]، وعليه فلابد من التدرج بالواجبات اتجاه الحاكم الممكن الظالم قبل الخروج عليه .

---

(١) ظ: تفسير القرطبي : القرطبي ، ٣١٤ .

(٢) ظ: تفسير الميزان : الطباطبائي ، ١٤ / ١٥٤ .

(٣) وسائل الشيعة : الحر العاملي ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ١٢ / ١٣٠ ـ ١٣١ ، باب ٤٢ .

(٤) ظ: حول الدين والدولة : نجيب الكيلاني ، ط٢ ، ١٩٧١م ، دار النفائس ـ لبنان . ٢٦ ـ ٢٩ .

(٥) ظ: الخروج على الحاكم الظالم : رقية خالد السيد ، ٧ .

(٦) ميزان الحكمة : محمد الريشهري ، ٤ / ٢٢٧٨ .

الواجب الثاني: مقاومة ظلمه والأخذ على يده :

بعد فشل المرحلة الأولى من إبداء الرأي والنصيحة للحاكم الظالم ، لابد من الانتقال إلى مرحلة الوقوف بوجه ظلمه وبوسائل عدة بحسب توجيهات القرآن الكريم ، قال تعالى : (**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**) [١] .

فهذه إشارة إلى أنهم قد نكثوا التعهدات بينهم وبين الأمة بعد تمكينهم ، فخرجوا عن العدالة وأصبحوا لا إيمان لهم وليكن الغرض من قتالهم هو نهيهم عما هم عليه حتى لا يصل أذاهم إلى الرعية ، وهذا غاية كرم الله [٢] .

ومن علامات نضج الأمة هو الوقوف بوجه الظلم وخصوصاً ظلم الحاكم ؛ لأنه أكثر خطراً على مصير الأمة، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) يقول : ((إذا رأيت أمتي تهاب الظالم ولاتقول له أنت ظالم فقد تودع منهم))[٣] .

فالله عز وجل ينهى عن ظلم الرعية ، قال تعالى : (**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**) [٤]،

---

(١) سورة التوبة: الآية :١٢ .

(٢) ظ: التفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، ٣ / ٢٢٤ .

(٣) مجمع الزوائد : أبي بكر الهيثمي ، طبعة ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ٧ / ٢٦٢ .

(٥) سورة الكهف :٥١

وفي الوقت نفسه لا يظلمهم ويحثهم على ايقاظ الحاكم الظالم من غفلته ، وإرشاده عند تقصيره وهفوته حفظاً لدينه ، فإن لم يرتدع وجب تحذيره وإعلامه والوقوف بوجهه وتذكيره بسيرة أعماله وبالذمة المترتبة عليه إزاء ذلك الظلم [١] .

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وأهل بيته **(عليهم السلام)** أسوة في الوقوف بوجه الحاكمْ الظالم .

الواجب الثالث : إثارة الرأي العام ضده وضد أعوانه :

لابد للمؤمن من الوقوف بوجه الحاكم الظالم ، وذلك بعدم مؤازرته ونصرة المستضعفين وعدمْ الركون إليه، قال تعالى : **(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)** [٢] .

إن فطرة الخلق قائمة على الصدق والهداية والصحة ، والذي يقوم بتلويث تلك الفطرة هو الحاكم الظالم في الأرض، فلابد أن لا يكون له مكان في إدارة هذا النظام ؛ لأنه يسير في اتجاه معاكس لما أراده الله للكون ، وأنه مخرب ومدمر وليس مصلحاً متكاملاً ، يقضي بغير ما أراد الله [٣] .

إن الأمة هي مصدر السلطة في الإسلام ؛ وذلك لأن الأمة هي من تنصب الحاكم، وهي من تُمكّنه من شؤونها وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي من تعضده وهي من تثير الرأي العام عليه في حال انحرافه عن طريق الحق طريق التمكين العادل ، فمتى ما رأت الأمة من مصلحتها عزله تعزله [٤] ، والمعيار هو حدود الله ، قال تعالى : **(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)** [٥]، فالحاكم الظالم يظلم نفسه ويظلم الآخرين ، وإن الله عز وجل سيجزي

(١) ظ: الخروج على الحاكم الظالم ، رقية خالد السيد ،١٨ ٢٢) سورة آل عمران : الآية :١٨٢ .

(٢) سورة الكهف: الآية : ٥١ .

(٣) ظ: الأمثل : ناصر مكارم الشيرازي ، ٩ / ١٩٧ .

(٤) ظ: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية : محمد عمارة ، ٢٨ .

(٥) سورة الطلاق: الآية : ١ .

الناس على أعمالهم ، فالظالم سيجزى الخزي والعار وهو النار ، ولا راد لحكم الله ولا راد لمصلحة العقاب لبطشه في الدنيا بمن كان مؤتمن عليهم [١] .

فإهلاك الظالمين سنة ربانية ودفع الناس بعضهم ببعض ، قال تعالى : **(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)**[٢]، وذلك لتداول الأيام بين الناس ، فإهلاك الظالمين من الحكام الممكنين كان بسبب كفرهم بالحق وظلمهم للناس واضطهادهم للمستضعفين في الأرض بغير الحق ، ففي الآية وعد للمؤمنين بهلاك ظالميهم ووعيد للظالمين وللكافرين بالإذلال والهزيمة ، وقد حقق الله هذا في الأمم الماضية وسيحققه في هذه الأمة [٣] .

والسياسة اتجاه الرعية نوعان ، سياسة عادلة يخرج فيها الحاكم المُمَكّن الحق من الباطل يخرج الحق من الظلم الفاجر وتعد هذه السياسة من الأحكام الشرعية عَلمَها من عَلِمَها من الحكام المُمَكّنين في الأرض ، حكام العدل والعدالة ، وجَهلِهَا من جهلها من الحكام المُمَكنين بغير الحق ، فالشريعة الإسلامية تحرم نوعاً من التمكين وتدعم نوعاً من التمكين ، فالمعنيان غير متباينان وبينهما عامل يكاد يكون مشتركاً ألا وهو الحكم ، لكن الفارق هو الكيفية التي يدار بها ذلك الحكم [٤] .

وقد اتفقت جميع المذاهب على طاعة الحاكم العادل الذي هو مصداق لقوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)** [٥]، لكنهم اختلفوا في مدى طاعة الحاكم الظالم وكيفية تشخيصه

---

(١) ظ: الميزان : الطباطبائي ، ٤ / ٨٨ .

(٢) سورة يونس: الآية : ١٣ .

(٣) ظ: وعود القرآن الكريم بالتمكين للإسلام : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ٨٣ .

(٤) ظ: السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية : عبد الوهاب خلاف ، ط١ ، ١٩٧٧م ، دار الأنصار ـ القاهرة ـ مصر ، ٦ .

(٥) سورة النساء: الآية : ٥٩.

(صلى الله عليه وأله وسلم) فكان الرأي المعروف لدى جملة من فقهاء الصحابة والتابعين، وجوب الطاعة ما لم يأمر الحاكم المُمَكّن بمعصية الله تعالى، فإذا أمر بمعصية فلا طاعة له ، ومعنى ذلك وجوب طاعة الحاكم الظالم الذي يجاهر بالظلم والإفساد ومعصية الله .... فيما ذهب جمهور الإمامية إلى حرمة طاعة أئمة الجور حتى في غير معصية الله تعالى ووجوب الخروج عليهم حسب الإمكان ووجوب الكفر بهم ورفضهم وإعلان البراءة منهم ، وهذا ما ذهب إليه فقهاء الإمامية (صلى الله عليه وأله وسلم) [1] .

وخلاصة القول أن المعيار في الحكم هو مدى طاعة الله من عدمها، فإذا كان الحاكم المُمَكن مُطيعاً لله وسائراً على نهج رسوله (صلى الله عليه وأله وسلم) وجب على الأمة طاعته وتمكينه ، وإذا كان الحاكم المُمَكن بعيداً عن طاعة الله وبعيداً عن طريق رسوله (صلى الله عليه وأله وسلم) وجب على الأمة الوقوف بوجهه والعمل على سلب كل مسببات تمكينه؛ وذلك لوجود مصلحة عامة للأمة في الحالتين ..

(١) ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة : الشيخ محمد مهدي الآصفي ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب ـ طهران ـ إيران ، ٢٣٩ .

الخاتمة

الخاتمة

أ: النتائج

الحمد الله على عظيم نعمائه وسوابغ آلائه والحمد لله كل الحمد على العناية الالهية التي رافقت الباحث في رحلة بحثه ومكّنته من خوض البحر القرآني فكان لها الفضل الاكبر في تذليل صعاب البحث، وختاما لابد من ذكر اهم ما توصل اليه الباحث من نتائج وعلى النحو الاتي :

اولا: لقد ثبت للباحث ان التمكين هو سنة من السنن الالهية التي جرت على الامم السابقة وكذلك تجري على الامة الاسلامية، و القرآن الكريم قد وضع الاسس المتكاملة وهذا واضح من الآيات التي جاءت حاكية عن ذلك .

ثانيا : ان الامة الاسلامية لم تكن بعيدة من الامم السابقة فقد شملها التمكين القرآني وخير دليل على ذلك ما تحقق من تمكين على يد النبي محمد ((صلى الله عليه وألـه وسلم)) للأمة في ذلك الزمان كان بسبب مساندة وتعضيد الرعية للصالحين والوقوف معهم واليوم مُمكن العودة لذلك التمكين في حال دعم الفئة المؤمنة.

ثالثا: يمكن الوصول الى التمكين المنشود الذي لا يمكن أن يأتي عن طريق الأمنيات فلا بد من السعي الجاد من خلال بذل اقصى الجهود، والتمكين الموعود هو ارادة الهية خاصة بعباده الصالحين .

رابعا: لم يقتصر التمكين على نوع واحد ولم يكن بصورة مطلقة بل كان على انواع منها العسكري والاقتصادي والديني وهكذا، كما ان التمكين لم يقتصر على الصالحين فقط بل شمل غير الصالحين لاهداف وغايات منها الإختبار وغيرها .

خامسا: لم يصل التمكين العادل إلاصالحين من الأنبياء ومن سار على نهجهم وما ننتظره من تمكين يعم العالم لابد أن يكون من هذه السلالة الطاهرة.

سادساً: إن الأمة الإسلامية اليوم قد أصابها الكثير من النكبات والأزمات كونها جانبت طريق التمكين وفرطت بأسباب التمسك به وتركت الحبل المتين الذي ما ا نتمسكت به يجعلها ممكنة على مر الزمان وهذا يستدعي مزيد من الجهود كي ترجع لطريق الصوابعبر الاخذ بتلك الاسباب والرجوع اليها وتثويرها ، وإن كان صعباٍ لكن ليس بمستحيل ....

سابعًا: من المتيقن ان عودة التمكين للامة الاسلامية متتحققة لامحالة لان هناك وعد إلهي بوراثة الارض قبل يوم القيامة وهذا التمكين هو جامع مانع لانه يشمل كل انواع التمكين الاخرى اي ان الامة الاسلامية ستكون ممكنة سياسيا ودينيا وعلميا ... .

تثامنًا :هناك فئة من الائمة الإسلامية إتبعت منهج أهل البيت عليهم السلام في جميع نواحي الحياة وهذه الفئة لم يفارقها التمكين قطعا بل تعد هي السبب الرئيس لبقاء التمكين الاسلامي الصحيح وعلى يديها سيظهر يوما من الايام واعني بهم ائمة الهدي (عليهم السلام) .

تاسعا : من المهم دعم المؤسسات الدينية والمرجعيات منخلال الانصات الى وصاياها والسير في هديها .

ب: التوصيات

اولا: يوصي الباحث القائمين على هذه الأمة من توجيه قواعدهم الجماهيرية توجيها عقائدياً يكون اصلاح الحاكم أولى أولوياتهِ وعدم الاكتفاء بالبحث والتأليف فإصلاح الحاكم يعني تمكين الأمة من دينها ودنياها..

ثانيا : الى الطبقة المثقفة من أستاذة وأكاديميين تعريف الطلبة بأهمية التمكين بجميع جوانبهِ والسعي بهمة للتمكين المنشود.

ثالثا: إذا أرادة هذه الأمة الخلاص من التبعية السياسية والاقتصادية والتحرر من دول الاستكبار فلابد لها من دعم طاقاتها الداخلية وتوحيد صفوفها حتى تتمكن من الخلاص من الاستعمار ومن ثم قيادة العالم

رابعا : رفد المناهج الدراسية بما يشجع الطلبة على ان يكونوا قاعدة جماهيرية تؤمن بالتمكين لهذه الأمة وتسعى لأجله

خامسا: التأكيد على الدور السياسي للأمة فعامل السياسة يكاد يكون اهم وسائل التمكين المنتظر.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١.ابتلاءات الأمم : سعيد أيوب ، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان .
٢.ابكار الأفكار في أصول الدين : سيف الدين الأمدي ت ٦٣١، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، دار الكتب ـ القاهرة .
٣.أبهى المراد في شرح مؤتمر بغداد : مقاتل بن عطية ت ٣٧٨، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان .
٤.الاحتجاج : احمد بن علي الطبرسي ت ٥٤٨، ط١ ، ١٩٦٦م ، دار النعمان للطباعة ـ النجف الاشرف.
٥.أحداث رمضانية : محمد تقي المدرسي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، دار محبي الحسين ـ طهران .
٦.أحكام القرآن : محي الدين ابن عربي ت ٦٣٨، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان .
٧.أحكام القرآن :أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص ت ٣٧٠، ط١ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ـ لبنان .
٨.أخبار مكة في القديم من الدهر والحديث : محمد بن إسحاق الفاكهي ، ط٤ ، مكتبة الأسدي ـ مكة.
٩.الأخلاق في القرآن الكريم : ناصر مكارم الشيرازي ، ط٣ ، ١٤٢٨هـ ، مدرسة الإمام علي للنشر ـ قم ـ إيران .
١٠.أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين : هادي المدرسي ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، دار العلوم ـ لبنان .
١١.الإرشاد : الشيخ المفيد ت ٤١٣، ط٢ ، ١٩٩٣م ، دار المفيد للطباعة ، بيروت ـ لبنان .

١٢.إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن : محمد السبزواري النجفي ت ١٤١٤، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، دار المعارف ـ لبنان .

١٣.إرشاد العقول إلى مباحث الأصول تقريرات الشيخ جعفرالسبحاني : محمد حسين العاملي ،مؤسسة الامام الصادق ، قم .

١٤.أساس البلاغة : أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ت ٥٣٨، ١٩٧٩م ، دار الفكر .

١٥.الأساس في التفسير : سعيد حولي ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، دار السلام ـ مصر .

١٦.أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم : أبو المجد سيد نوفل ، المجلة الإسلامية في المدينة المنورة ، العدد ٤٩ .

١٧.أساليب الرسول في الدعوة والتربية : الشهيد يوسف خاطر حسن ت ٢٠٢٢، كتاب الكتروني .

١٨.أسباب النصر والهزيمة في ضوء القرآن الكريم : عبد الله إبراهيم المغلاج ، كتاب الكتروني .

١٩.الاستخلاف بين الفهم القرآني والواقع المائل دراسة دعوية : د. إبراهيم احمد نور الدين ، جامعة الرباط ، العدد ٢٨ ، رمضان ١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤م .

٢٠الاستكبار والاستضعاف من وجهة نظر القرآن الكريم : محمد تقي رهبر ، ط١ ، ١٩٨٧م ، منظمة الإعلام الإسلامي ـ إيران .

٢٠.الإسلام ما هو .. ؟ : مصطفى محمود ، د.ط ، د.ت .

٢١.الإسلام والعلم : د. محمود احمد أبو سمرة ، جامعة الخرطوم ، أ.د عماد احمد البرغوثي جامعة القدس ، ٢٠١٦م ، د.ط .

٢٢.الإسلام يقود الحياة : محمد باقر الصدر ت ١٩٨٠، ط٢ ، ١٤٣٤هـ ، دار الصدر ـ تراث الشهيد الصدر .

٢٣.أصول الاقتصاد الإسلامي : د. رفيق يونس المصري ، ط١ ، ٢٠١٠م ، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبد العزيز .

٢٤.أضواء البيان : الشنقيطي ت ١٩٧٤، ط١ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر للطباعة ـ القاهرة .

٢٥.الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام : فيصل بالي ، كتاب الكتروني .

٢٦.أعلام القرآن : عبد الحسين الشبستري ت ٥٤٨، ط١ ، دفتر تبليغات إسلامي ـ حوزة علمية .

٢٧.أعلام الورى بأعلام الهدى : الطبرسي ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم .

٢٨.الإعلام في صدر الإسلام : عبد اللطيف حمزة ، ط١ ، دار الفكر العربي ـ القاهرة .

٢٩.أعيان الشيعة : محسن الأمين ت ١٣٧١، ط١ ، د.ت ، دار المعارف للمطبوعات ـ لبنان .

٣٠.اقتصادنا : محمد باقر الصدر ت ١٩٨١، ط٢ ، ١٤٠٠هـ ، دار تراث الشهيد الصدر .

٣١.الأقسام القرآنية : ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، دار الإمام علي .

٣٢.الإمام الصادق حياته عصره آراؤه الفقهية : محمد أبو زهرة ،د.ط، د.ت، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣٣.الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : أسد حيدر ت ١٩٨٥، ط١ ، ٢٠٠٤م ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي .

٣٤.الإمام المهدي : السيد علي الحسيني الميلاني ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، مركز الابحاث العقائدية ـ قم .

٣٥.الإمام جعفر الصادق : صالح بن عبد الله الدويش ، دار ابن الجوزي ،الدمام ـ السعودية .

٣٦.الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، مدر.سة الامام علي بن ابي طالب ع

٣٧.الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ك محسن الخزازي ، ط١ ، ١٤٣٤هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم .
٣٨.الأمن العسكري في السنة النبوية دراسة موضوعية :نهاد يوسف شكري ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية ـ غزة ، ٢٠٠٧م .
٣٩.الأمن في الإسلام : د. احمد عمر هاشم ،دار المنار ، القاهرة ، مصر .
٤٠.أنباء ذي القرنين : سامح محمد البلاج ، مقالة ـ شبكة الألوكة ، ٢٠١٣م ، العدد ١٢٠٩٧ .
٤١.الانحرافات الكبرى : سعيد أيوب ، ط١ ، ١٩٩٢م ، دار الهادي للطباعة والنشر ـ بيروت .
٤٢.الإنسان وآفاق المسؤولية : محمد تقي المدرسي ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، دار محبي الحسين .
٤٣.أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين : هاشم حسن ناصر ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار أنباء للطباعة ـ النجف .
٤٤.الإيمان بالقدر : د. علي محمد الصلابي ، ط٢ ، ٢٠١١م ، دار المعرفة ، منتدى اقرأ الثقافي .
٤٥.بحار الأنوار : المجلسي ت ١١١٠، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، مؤسسة الوفاء ـ لبنان .
٤٦.البدء والتاريخ : احمد بن سهل البلخي ، ط١ ، ١٩٠٣ ، الفرنسوية كلمات هوار.
البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ت ٧٧٤ ،مطبعة السعادة ، القاهرة ـ مصر .
٤٧.بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم : صابر طعيمة ، ط١ ، ١٩٨٤م ، عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان .
٤٨.التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم ـ المنهج الاقتصادي في التخطيط للنبي يوسف (عليه السلام) : نواف صالح الحليسي ، ط٤ ، ١٩٩٤ .
تاريخ الامم والملوك : محمد ابن جرير الطبري، ط بريل ، ليدن منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان

تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط٢ ، ١٩٩٧م ،محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر .

٤٩.تأملات إيمانية في سورة يوسف : د. ياسر برهامي ، د.ط ، ٢٠٠٤م ، دار الإيمان ـ الإسكندرية ـ مصر .

٥٠.التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي ٤٦٠ت ، احمد حبيب قيصر العاملي ، ط١، ١٤٠٩هـ،داراحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان .

٥١.تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين : تقديم : محمد صفوت نور الدين ، تأليف : الدكتور سيد بن حسين العفاني ، دار ماجد عسيري .

٥٢.تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم :ابن جماعة ت٧٣٣، تحقيق محمد العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، ط٣.

٥٣.الترتيبات المالية في تاريخ غزوة خيبر : د. صلاح التيجاني ، محمد حمودي ،

٥٤.تصوير هلاك المكذبين في القرآن الكريم من زمن نوح (عليه السلام) إلى بداية عهد موسى دراسة في أسرار التنوع ، رسالة ماجستير ، محمد بن صالح العلياني ، اشراف : محمود بن توفيق بن محمد ، ١٤٣٠هـ ، جامعة ام القرى ـ السعودية ، كلية اللغة العربية .

٥٥.تفسير الإمام الصادق : د. خضير محمد نبها ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، دار الهادي للنشر.

٥٦.تفسير البرهان : هاشم الحسيني البحراني ت ١١٠٧ ، مؤسسة البعثة ، قم ـ ايران .

٥٧.تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي ت ١٥٠٥، ط١ ، ١٢٧٨هـ ، القاهرة .

٥٨.تفسير الصافي : الفيض الكاشاني ت ١٠٩١ ، ط١ ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة الهادي ـ قم ـ إيران .

٥٩.تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي ت ٣٢٠ ، تحقيق السيد هاشم الرسلي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران .

٦٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ط ١ ، ـ١٩٩٠م

٦١.تفسير القرطبي : القرطبي ت ٦٧١، ط١ ، ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي ـ لبنان .
٦٢.تفسير القمي : علي بن إبراهيم القمي ت ٣٢٩ ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ ، قم ـ ايران .
٦٣. التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ت ١٤٠٠، دار الانوار للطباعة، تونس ، ط٤ ، بلا. ت.
٦٤.تفسير الكشاف : أبو القاسم عمر بن محمود الزمخشري ،تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود ن علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان
٦٥.تفسير خواطري : الشعراوي ت ١٩٩٨، ط١ ، ١٩٩١م ، أخبار اليوم ـ جامعة الأزهر
٦٦.تفسير سورة يوسف (عليه السلام) : محمد رشيد رضا ، ط١ ، ٢٠٠٧م ـ ، دار المنار .
٦٧.تفسير شبر : السيد عبد الله شبر ، ط٢ ، دار الكتب ـ القاهرة ـ مصر .
٦٨.تفسير فرات الكوفي : فرات بن إبراهيم الكوفي ت ٣٥٢، ط١ ، ١٩٩٠م ، طهران .
٦٩.تفسير نور الثقلين : عبد علي بن جمعة الحويزي ت ١١١٢ ، تحقيق السيد علي عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي .
٧٠.التكامل الاقتصادي والسوق الإسلامي المشتركة : أ.د يوسف إبراهيم يوسف ، مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ـ جامعة الأزهر ـ مصر ، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرين .
٧١.التمكين الشيعي ، صادق جعفر ، ط١ ، ٢٠١٥م ، منشورات الرضا .
٧٢.التمكين للأمة في ضوء القرآن الكريم ، محمد يوسف ، دار السلام للنشر والتوزيع .
٧٣.تنزيه نبي الله داوود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات : د. فتحي محمد الزغيبي ، ط٢ ، ٢٠١٠م ، دار البشائر الإسلامية .

٧٤.التوكل على الله : الحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا ت٢٨١، تحقيق : جاسم الفهيد الدوسري ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان .

٧٥.الثبات في وجه الظالمين في ضوء القرآن الكريم : جهاد احمد ، إشراف زكريا إبراهيم ، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م ، الجامعة الإسلامية ـ غزة .

٧٦.جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ت ٩٢٣: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٧.الحكومة الإسلامية : روح الله الخميني ، ط١ ، ١٣٨٩ ، جمعية المعارف الإسلامية.

٧٨.الحكومة العالمية للإمام المهدي : ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، ١٣٨٤ ، مدرسة الإمام علي للنشر ـ قم .

٧٩.حلية الأولياء وطبقات الأفياء : أبو نعيم احمد الاصفهاني ت ٤٣٠ ، دار الكتب العلمية ، مصر ، ١٩٩٨م.

٨٠.حول الدين والدولة : نجيب الكيلاني ، ط٢ ، ١٩٧١م ، دار النفائس ـ لبنان .

٨١.حياة الصحابة (رض) : محمد يوسف الكاند ، ١٩٦٩م ، دار النهضة للطباعة ـ القاهرة .

٨٢.الخروج على الحاكم الظالم : رقية خالد السيد ، مجلة الكترونية ، العدد ١٦ ، ٢٠١٩م .

٨٣.الخصال : محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق ت ٣٨١، ط١ ، ١٤٠٣هـ ، قم ايران .

٨٤.داوود (عليه السلام) بين خبر العهد القديم ونبأ القرآن الكريم : عبد الله محمد، رسالة ماجستير في التفسير والحديث ، ١٤١٩هـ ،جامعة الملك سعود .

٨٥.داوود وسليمان في القرآن والسنة : عويد بن عباد المطرفي أطروحة دكتوراه ، ١٩٧٩ م .

٨٦.دروس العقيدة في تكريس الأمن الفكري : د. احمد محمود عابد ، بحث الكتروني

٨٧.الدعوة إلى الله بالطرق غير اللفظية : د. خولة بنت يوسف المقبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، مجلة العلوم الشرعية ، العدد السابع عشر ، شوال ١٤٣١هـ .
٨٨.دور النبي حزقيل في الأسر البابلي من خلال القرآن الكريم : احمد لفته محسن ، كلية اللغات ـ جامعة بغداد ، التاريخ القديم ٢٠١٨م ، حوليات آداب عين الشمس ، العدد ٤٦ .
٨٩.الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية : محمد عمارة ، ط١ ، ١٩٨٨م ، دار الشروق ـ مصر .
٩٠.ذلك يوم الخروج : السيد حسين المدرسي ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار أنصاريان ـ قم.
٩١.ذو القرنين وسد الصين : محمد راغب الطباخ ،رافع عبد الرحمن النجدي ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، دار غراس ـ الكويت .
٩٢.ذي القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ : محمد رمضان يوسف ،ط٢ ، ١٩٩٤م ، دار القلم ـ دمشق .
٩٣.الرحيق المختوم : صفي الدين المباركفوري ، دار ابن خلدون للنشر ـ مصر .
٩٤.الرقابة المالية : د. محمد خير العكام ، ط١ ، ٢٠١٨م ، الجامعة الافتراضية السورية ـ دمشق .
٩٥.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ابي الثناء محمود الحسيني الالوسي ت ١٢٧٠، تحقيق، علي عبد الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ.
٩٦.روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء وشيء من أخبارهم : أبي عبد الله محمد العقيقي ، راجعه :أبو عبد الله مصطفى العدوي ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٢ ـ ١٤٢٣ هـ .
٩٧.الرؤية السياسية عند الإمام علي (ع) قراءة في عهد إلى مالك الأشتر : د. شاكر مجيد كاظم ، ط١ ، ٢٠١٧م ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ـ العتبة الحسينية .
٩٨.رياض الصالحين : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت ١٢٧٧، تحقيق شعيب الانؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ، ط٣، ١٩٩٨م.

٩٩.سلسلة القصص القرآني ـ سورة يوسف دراسة تحليلية : د. احمد نوفل ، ط١ ، ١٩٨٩م ، دار الفرقان ـ عمان ـ الأردن .
١٠٠.سليمان (عليه السلام) في القرآن الكريم : همام حسن يوسف ، إشراف خالد علوان ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ـ فلسطين ، ٢٠٠٦م .
١٠١.سليمان صرخة في وجه الخرافة التوراتية : د. حسن الباش ، ط١ ، ٢٠١٠م ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع .
١٠٢.السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية : د. عبد الكريم زيدان ، ط١ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١٠٣.السياسة الاقتصادية للإمام علي (ع) ودورها في بناء الإنسان : بلال كاظم ـ د. حيدر قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الامريكية.
١٠٤.السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية : عبد الوهاب خلاف ، ط١ ، ١٩٧٧م ، دار الأنصار ـ القاهرة ـ مصر.
١٠٥.السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة : زمان عبيد وناس ـ مروة حمزة كاظم ، المجلة العربية للنشر ، العدد ٩ ، ٢٠١٩م ، جامعة كربلاء ـ كلية التربية ـ قسم التاريخ .
١٠٦.السيرة البوية : ابن هشام الحميري ت ٢١٨، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط١، ١٩٦٣، مكتب محمد علي صبيح وأولاده ، الازهر مصر.
١٠٧.السيرة النبوية دروس وعبر : د. مصطفى السباعي ، دار السلام ، مصر .
١٠٨.سيرة أمير المؤمنين : علي الكوراني ، ط١ ، ١٤٣٩هـ ، دار المعروف ـ قم ـ إيران .
١٠٩.شخصية فرعون في القرآن الكريم : قاسم توفيق قاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ـ كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٣م .
١١٠.شخصية نوح (ع) في القرآن الكريم : حسن محمد حسين ، إشراف د. محسن سميح الخالدي ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح غزة .

١١١.شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ت ٦٥٦، ط١ ، ١٩٥٩م ، دار إحياء الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .

١١٢. الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ

١١٣.الصحيح من سيرة الإمام علي (ع) : جعفر مرتضى العاملي ، المركز الإسلامي للدراسات .

١١٤.طوفان نوح في القرآن الكريم : منصور عبد الحكيم ، ط٢ ، ٢٠١٣م .

١١٥.العدالة الاجتماعية في الإسلام : سيد قطب ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، دار الشروق ، بيروت .

١١٦.عدالة الحكام وطاعة المحكومين في القرآن والقانون : د. ماجد راغب الحلو ، جامعة الإسكندرية ، مجلة الحقوق للبحوث القانونية ، عدد خاص ، ديسمبر ، ٢٠١٢م .

١١٧.عقود المرجان في تفسير القرآن : نعمة الله الجزائري ت ١١١٢ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ، مؤسسة نور ـ قم .

١١٨.علل الشرائع : أبي جعفر محمد بن علي القمي : تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، دار المتقين ، ١٩٩٦م.

١١٩.علل الشرائع : الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، ١٣٨٥هـ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٧٠/١.

١٢٠.عوامل النصر على الأعداء في ضوء الإسلام : محمد هلال الصادق ، كتاب الكتروني .

١٢١.العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ت٧٨٩ ، دار الهجرة ، قم ـ ايران ، ط٢، ١٤٠٩هـ .

١٢٢.غزوة خيبر دروس وعبر : أمين محمد ، مكتبة خالد بن الوليد ـ صنعاء ـ اليمن .

١٢٣.الفروق في اللغة : ابوهلال حسن بن عبد الله العسكري ت ٩٩٣، دار الافاق الجديدة، بيروت ـ لبنان ،ط١، ١٤٠٠هـ .

١٢٤.فضائح الباطنة : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ١١١١، ط١ ، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان .

الفقه السلم والسلام : محمد الشيرازي ت ٢٠٠١، دار العلم ـ مركز القائمية ـ اصفهان ، ايران .

١٢٥.فك أسرار ذي القرنين (صلى الله عليه وأله وسلم) اخناتون (صلى الله عليه وأله وسلم) ويأجوج ومأجوج : حسين بن حمزة الجهني ، ط٢ ، ٢٠٠٧م ، مكتبة الفهد الوطنية ـ الرياض .

١٢٦.الفكر الرقابي عند الإمام علي (ع) : رحيم علي صباح ـ عبد الحميد حمودي ، مجلة جامعة بابل ، العدد ١ ، ٢٠١٤م ، المجلد ٢٢ .

١٢٧.قصص الأنبياء : ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤، تحقيق : عبد الحي الفرماوي ، ط٥ ، ١٩٩٧م ، مؤسسة النور للنشر والإعلان ـ مصر .

١٢٨.قصص الأنبياء : أبي إسحاق احمد بن محمد النيسابوري ت ٤٢٧، ١٤٣٧هـ ، مكتبة الجمهورية العربية، مصر .

١٢٩.قصص الأنبياء المسمى بالعرائس : أبو اسحق احمد النيسابوري ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر .

١٣٠.قصص الأنبياء والمرسلين : السيد نعمة الله الجزائري ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، مؤسسة الأعلمي .

١٣١.القواعد والقيم من خلال قصة قارون في القرآن الكريم : د. منال احمد عبد الله ،

١٣٢.القواعد والقيم من خلال قصة قارون في القرآن الكريم : منال احمد عبد الله ، مجلة القلم ، جامعة القرآن الكريم ، فرع المكلا ، العدد ٢٠ ، سنة ٢٠٢٠م .

١٣٣.الكامل في التاريخ : ابن الأثير الجزري ت ٣٦٠، تحقيق عمر، عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،ط١ ، ١٩٩٧م.،

١٣٤.الكشف والبيان في تفسير القرآن : احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ت ٨٧٥، تحقيق ابي محمد بن عاشور ، ط١، ٢٠٠٢م ، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٣٥.الكشف والبيان في تفسير القرآن : عبد الرحمن الثعالبي ، ط١ ، دار إحياء التراث ـ لبنان .

١٣٦.كمال الدين وتمام النعمة : محمد بن علي بن بابويه الصدوق ، ط١ ، ١٣٦٣ ، جماعة المدرسين ـ قم .

١٣٧.لسان العرب : ابن منظور، محمد بن مكرم، ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع - دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

١٣٨.مائة قصة من نهاية الظالمين : هاني الحاج ، د.ط ، د.ت ، المكتبة التوقيفية .

١٣٩.مبدأ المساواة في الإسلام : د. فؤاد عبد المنعم احمد ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، المكتب العربي الحديث ـ الإسكندرية .

١٤٠.مجمع الزوائد : أبي بكر الهيثمي ت ٧٣٥، طبعة ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤١.مختصر تاريخ العرب : القطب محمد طبلية المعلبكي ، ط١ ، ١٩٦١م ، دار العلم للملايين ـ بيروت .

١٤٢.مراحل التمكين دراسة قرآنية : د. رمضان خميس زكي الغريب ، جامعة الأزهر ـ كلية العلمين ـ المملكة العربية السعودية .

١٤٣.مرويات الإمام جعفر الصادق : عبد الشافي احمد ، مجلة الدراسات العربية ـ كلية العلوم ـ جامعة مينا ، العدد ٢٢ ، ٢٠٠٤م .

١٤٤.المسؤولية الجماعية في العدل والحرية في القرآن والسنة : أ . نبيل محمد مقبل النشمي ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد ٣٠ ، ٢٠١٥م.

١٤٥.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : احمد بن محمد الفيومي ، دار الهجرة ، قم ، ط٢، ١٤١٤هـ .

١٤٦.معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير الغوي) : الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط ١، ١٤٢٠ه، دار احياء التراث ، بيروت ـ لبنان.

١٤٧.معجم التعريفات : علي بن محمد الجرجاني ت ٤٧١ ، تحقيق ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة

١٤٨.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤م.

١٤٩.معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ١٤٠٤هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي .

١٥٠.المفردات : الراغب الأصفهاني ٥٠٢، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، منشورات دفتر كتاب ـ قم ـ إيران .

١٥١.مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم دراسة مصطلحية : عبد العظيم انعلوم ،كتاب الكتروني .

١٥٢.مفهوم العدل في الإسلام ونماذج من روائعه : د. الخضر بن قومام ، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية ، العدد التجريبي ، ٢٠١٧م .

١٥٣.المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى (عليه السلام) وفرعون مقارنة عقائدية : د. زاهية راغب الدجاني ، ط١ ، ١٩٩٨م ، دار التقريب بين المذاهب ـ بيروت ـ لبنان .

١٥٤.الملكة بلقيس التاريخ والأسطورة والرمز : تقديم جبرا إبراهيم جبرا ، د.ط ، د.ت .

١٥٥.ملوك الدنيا الأربعة الملك نمرود أول جبابرة الأرض : منصور عبد الحكيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان .

١٥٦.من بلاغة التنزيل في ذكر جدال الطواغيت قارون والسامري والنمرود : كمال سليم محمد ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، بني سويف ، العدد ١٣ .

١٥٧.منهج الرسل الكرام والدعوة إلى الله في القرآن الكريم : إعداد احمد محمد عبيد، ١٤٠٣هـ ، الجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الدراسات العليا.

١٥٨.المهدي المنتظر : إبراهيم المستوخي ، ط١ ، ١٩٨٣م ، مكتبة المنار ـ الأردن.

١٥٩.المهدي المنتظر عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة : فوزي آل سيف ، ط١ ، ٢٠٢٠م ، دار الطيف للنشر .

١٦٠.مواقف بعض الرسل في القرآن الكريم : الشيخ محمد علي سلامة ، مطبعة استراتر الحديثة ـ مصر .

١٦١.مواقف وعبر في غزوة خيبر : د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، ط١ ، ٢٠١٦م ، جامعة أم القرى ـ مكتبة الملك فهد .

١٦٢.موسوعة الإمام المهدي : محسن عقيل ، ط١ ، ٢٠١١م ، مؤسسة المعارف الإسلامية .

١٦٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ط١،١٩٦٣م، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٤/ ٢٤٠.

١٦٤.ميزان الحكمة : محمد الريشهري، تحقيق دار الحديث، الناشر دار الحديث، قم ـ ايران، ط١، بلا. ت.

١٦٥. الميزان في تفسير القران : محمد حسين الطباطبائي ت ١٩٨١، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ـ ايران، بلا. ط، بلا. ت.

١٦٦.نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق .م : حياة إبراهيم محمد ، ١٩٨٣م ، المؤسسة العامة للإرشاد والتراث ـ العراق .

١٦٧.النصر الإلهي سنن النصر في القرآن الكريم : جمعية المعارف ـ بيروت ، اعداد مركز نون للتأليف والترجمة ، ٢٠١٥م ـ ١٤٣٦هـ .

١٦٨.النصر والتمكين آت بإذن الله : جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة ، علي بن نايف ، ط١ ، ٢٠١٢م ـ ١٤٣٣هـ .

١٦٩.نفحات الرحمن تفسير القرآن : الشيخ محمد النهاوندي ، ط١ ، مؤسسة البعثة ـ إيران.

١٧٠.النكت والعيون (تفسير الماوردي) : ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري ، تحقيق السيد ابن عبد المقصود ، بلاط، بلات، دار احياء الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .

١٧١.وسائل الدعوة وأساليبها في ضوء القرآن الكريم : أ .د احمد عبد الهادي شاهين ، ٢٠٢٢م ، ص ١٠ ، د.ط .

١٧٢.وسائل الشيعة : الحر العاملي ت ١١٠٤، ط٢ ، ١٤١٤هـ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٧٣.وفيات الأعيان :أبو العباس احمد بن محمد ابن خلكان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان .

١٧٤.ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة : الشيخ محمد مهدي الآصفي ت ١٤٣٦، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب ـ طهران ـ إيران .

Conclusion

Praise be to God for His great bounties and the prerequisites of His bounties. The divine providence that accompanied the researcher in his research journey and enabled him to delve into the sea of the Qur'an had the greatest merit in overcoming the difficulties of the research. In conclusion, the most important findings of the researcher must be mentioned, as follows :

First: It has been proven to the researcher that empowerment is one of the divine laws that took place on the previous nations, as well as on the Islamic nation, and the Holy Qur'an has laid the integrated foundations for this theory, and this is clear from the verses that came narrating about that .

Second: The Islamic nation was not an innovation from the previous nations, as it was included in the Qur'anic empowerment .

Third: Empowerment can be divided into the desired empowerment, which cannot come through wishes, so we must strive hard to reach all kinds of empowerment through making maximum efforts, and the promised empowerment, which is a divine will for the worship of the righteous .

Fourth: The righteousness of the ruler is one of the elements of empowerment, so the Muslim community must choose the

righteous ruler in order to lead them to the expected empowerment, as well as standing up to the unjust ruler .

Fifth: Only the righteous among the prophets have achieved just empowerment, and those who follow their path, and what we expect in terms of empowerment pervading the world, must be from this pure lineage .

The Repuplic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientifie Research

University of Kerbla / college of Islamic Sciences

Department of Quranic and Jurisprudence

The theory of empowerment in the Holy Qur'an an interpretive study

A letter submitted to the council of the college of Islamic Sciences/ University of Kerbala It is part of the require ments for obtaining a Masters degree in sharia and Islamic sciences

Written by a student

Raad Nazim Nasrallah

Supervisor

a .Dr Muhammad Hussein Al-Taie

Septemp AH 2023 Rabi al Awwal AD 1445